ادعاءات نصرانية وردود إسلامية

(رحلة من الشك إلى اليقين)

لا إله إلا الله محمد رسول الله

لبنى شاكر

مكتبة النافذة

ادعاءات نصرانية

و

ردود إسلاميـــة

(رحلة من الشك إلى اليقين)

لبنى شاكر

مكتبة النافذة

ادعاءات نصرانية وردود إسلامية

لبنى شاكر

الطبعة الاولى :2012

رقم الإيداع : 10636 / 2012

الترقيم الدولى :3- 318- 436- 977- 978

الطباعة

دار طيبة للطباعة

الناشر

مكتبة النافذة

1المستشار حسن دياب (برج مكة3)المنشية -الطالبية -فيصل -الجيزة

تليفون :37241803- **فاكس** 37241565

محمول :01223595973 -01007265885

Email:alnafezah @hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا اللهّ ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون اللهّ فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ آل عمران (٦٤)

صدق الله العظيم

إهـــداء..

أهدي كتـــابي هـــذا..

- إلى كل مَن كان عونًا لي على الطريق

- إلى كل حائر وتائه يريد طوق نجاة

- إلى كل مَن ساندني ودعمني نفسيًّا ومعنويًّا وفكريًّا

وأخص بالذكر أمي رمز العطاء ... وروح أبي رحمه اللّه

داعية من اللّه عز وجل أن يسكنه فسيح الجنان

كما أخص خالي الدكتور ميسر الشافعي

الذي هداني إلى فكرة هذا الكتاب

ولما كان له من الفضل في دعمي النفسي والفكري

وأخيـــــرًا..

فإنني أتمنى من اللّه عز وجل أن يكون كتـــابي هذا مصباحًا

ينير العقول والقلوب ... وواحة ظليـــــــلة لكل حائر

فنفعنا اللّه به وإياكم، وتقبل منا ومنكم صالح الأعمال

مقدمة

لقد ميّز اللّه سبحانه وتعالى الإنسان بالعقل، ومنحه الحرية المطلقة ليختار الطريق الذي يسير فيه بمحض إرادته دون قهر أو إجبار، فأعطاه حرية العقيدة "أي حرية الإيمان والكفر".

فها هو المولى سبحانه وتعالى يمنح الشيطان الحرية في رفض السجود لآدم، الأمر الذي ترتب عليه تواجدنا نحن في هذه الدنيا. تلك الحرية التي تكشف معدن كل إنسان وخفايا نفسه، والتي لولاها ما تمكّنّا من معرفة أنفسنا المعرفة الحقيقية.

فنحن قد نخطئ أحيانا حين نقول على فلان أنه منحرف، أما فلان الآخر فهو تقي وورع، ولكي نكون منصفين حين نتهم فلانًا بالانحراف وننعت الآخر بالورع كان لازمًا علينا أن نضعهم تحت ظروف مشابهة تمامًا ومغريات مماثلة، ونمنح كلًّا منهما نفس القدر من الحرية لنرى سلوك كل منهما في الموقف عينه. وفي هذه اللحظات فقط نستطيع أن نميز الخبيث من الطيب، وقد تأتي النتائج على عكس التوقعات تمامًا، فما نعتقد أنه خبيث قد يتجلى لنا معدنه النفيس، ومن نعتقده طيبًا قد يكون هو الخبث بعينه.

لهذا فقد قررت يومًا أن أمنح لنفسي هذه الحرية بعمل هذا الكتاب الذي بين أيديكم، وهي نفس الحرية التي سبق وأعطاها الإخوة النصارى لأنفسهم حينما هاجموا الدين الإسلامي ونبي هذه الأمة بكل ضراوة، ولكن دوري هنا قد جاء مختلفًا تمامًا عما قاموا هم به، فدوري هنا هو صد الهجوم والعدوان الذي يقومون

به على ديننا، وليس بدافع التضليل لفرقهم أو الادعاء الكاذب لنصرة ديننا. وقد جاءتني فكرة هذا الكتاب حينما تطرقت إلى إحدى المواقع البحثية على الإنترنت. راغبة في الحصول على بعض المعلومات التي تخص ديني.... أي وأنا داخل إحدى المواقع الإسلامية، ووجدت شيئًا عجيبًا للغاية. فقد اختلط عليّ الأمر وبدأت أتساءل: هل كانت الكلمة المفتاحية التي قمت بكتابتها تخص ديني أم تخص دين النصارى؟ لا والله، إنه لشيء عجيب. فهي نفس الكلمة التي رغبت في البحث عنها ولا علاقة لها بالدين المسيحي، فوجدت نفسي في أحد المواقع المسيحية والتي تهاجم الدين الإسلامي بضراوة عن طريق أناس وظيفتهم البحث في القرآن وفي كتب المسلمين عما يشكك المسلمين في عقيدتهم. وهو الأمر الذي صرح به الشماس جمال زكريا أرمانيوس (سابقا) وجمال زكريا إبراهيم حاليًّا بعد اعتناقه للإسلام في كتابه "لماذا اخترت الإسلام". والذي يوضح كيف أن الكنيسة تقوم بعمل جماعات تقوم فيها بتجنيد النصارى الذين تتوسم فيهم الولاء للدين المسيحي للعكوف على قراءة القرآن لاستخراج الآيات التي تحتمل اللبس، حيث يقومون باقتصاصها من جذورها دون ربطها بما قبلها ولا ما بعدها من الآيات، بهدف تشكيك المسلمين في دينهم.

وكيف أن الشماس خلال رحلته البحثية استطاع أن يصل إلى أن الخلل إذا كان موجودًا فهو لا ينتمي إلى الدين الإسلامي، ولكنه ينتمي إلى الدين المسيحي، وهذا هو ما أخبرنا به الشماس المسيحي سابقًا والمسلم حاليًّا، جمال زكريا أرمانيوس سابقًا، وجمال زكريا إبراهيم حاليًّا.

لذلك فإن ما سأفعله في هذا الكتاب هو طرح رأي الدين الإسلامي فيما هو منسوب إليه من الادعاءات من قبل الإخوة النصارى في القضايا محط الخلاف، تاركة الحكم للقارئ، فهذه هي الحرية التي منحنا الله إياها، والتي أتاحت لي أن أكون على ديني، وغيري على دين آخر، وهناك ثالث على دين غير هذا وذاك. وهكذا، وهي نفسها

الحرية التي منحها الإخوة النصارى لأنفسهم حينما قرروا الهجوم على نبي المسلمين، وعلى الكتاب الذي أُنزِل عليه بالحق، وما أقوم أنا بفعله الآن مدوّن بالشروح والتفاسير القرآنية. فما أفعله في هذا الكتاب لم يكن ابتداعًا أو اختلاقا لردود ليس لها جذور أو أساس من الصحة، بل ستأتي الإجابة مستندة إلى كتب أهل العلم وكتب التفسير وكتب السنة النبوية المشرفة. فضلا عن رؤيتي الشخصية لبعض الأسئلة التي لا تتطلب رجال الدين، وإنما فقط تحتاج إلى العقل والمنطق وبعض الإلمام بالكتاب المقدس، وما كان مني سأورده بعد عبارة: "ولكم أقول".

وقد عمدت أن يكون السؤال كما أوردوه تماما لتحقيق المصداقية، لذا فسيأتي هذا الكتاب على هيئة سؤال وجواب. فلعل اللّه أن ينفع به الخلائق في كل مكان وزمان، ولعله يكون هاديًا لمن أصابهم خلل في عقيدتهم بعدما وجدوا أنفسهم بين براثن هذه المواقع المُضَلِّلَة.

الكلام الناسخ والمنسوخ في القرآن

*** ادعاء**

تقولون: إن الإله عند المسلمين ينسخ كلامه ويغيره حينما يتبين له خطؤه. مستندين على الآيات الآتية قائلين:

جاء في سورة البقرة ٢: ١٠٦ ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

وجاء في سورة النحل ١٦: ١٠١ ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.

وجاء في سورة الرعد ١٣: ٣٩: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾.

وجاء في سورة الحج ٢٢: ٥٢ ﴿**فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ**﴾.

*** الرد:**

ويزيل لنا الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله هذا اللبس وهذا الفهم الخاطئ في تفسير الشعراوي (المجلد الثالث عشر) ص ٨٢١٧، **الآية ١٠٦ من سورة البقرة**، حيث يقول: إن بعض البداء يعتقد أن النسخ كأن الله تعالى أعطى حكمًا ثم تبين له خطؤه، فعدل عنه إلى حكم آخر.

ويقول: نقول لهؤلاء: لقد جانبكم الصواب في هذا القول، فمعنى النسخ إعلان انتهاء الحكم السابق بحكم جديد أفضل منه، وبهذا المعنى يقع النسخ في القرآن الكريم، ومنهم من يقف عند قول الحق تبارك وتعالى: (**نأت بخير منها أو مثلها**)، فيقول: (نأت بخير منها) فيها علة للتبديل، وضرورة تقتضي النسخ وهي الخيرية.

فما علة التبديل في قوله (أو مثلها)؟

(أولا): في قوله تعالى: ﴿**نأت بخير منها**﴾ قد يقول قائل: ولماذا لم يأت بالخيرية من البداية؟

نقول: لأن الحق سبحانه حينما قال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ حق تقاته**﴾ (١٠٢) آل عمران. هذه منزلة عالية في التقوى، لا يقوم بها إلا الخواص من عباد اللهّ. شقّت هذه الآية على الصحابة وقالوا: من يستطيع ذلك يا رسول اللهّ؟ فنزلت ﴿**فاتقوا اللهّ ما استطعتم**﴾ (١٦) التغابن.

وجعل اللهّ تعالى التقوى على قدر الاستطاعة، وهكذا نسخت الآية الأولى مطلوبًا، ولكنها بقيت ارتقاءً، فمن أراد أن يرتقي بتقواه إلى (حق تقاته) فبها ونعمة، وأكثر اللهّ من أمثاله وجزاه خيرًا، ومن لم يستطع أخذ بالثانية، ولو نظرنا إلى هاتين الآيتين نظرة أخرى لوجدنا الأولى: ﴿**اتقوا اللهّ حق تقاته...**﴾ (١٠٢ - آل عمران) وإن كانت تدعو إلى كثير من التقوى إلا أن العامِلين بها قلة، في حين أن الثانية ﴿**فاتقوا اللهّ ما استطعتم**﴾ (١٦ - التغابن) وإن جعلت التقوى على قدر الاستطاعة إلا أن العاملين بها كثير، ومن هنا كانت الثانية خيرًا من الأولى، كما تقول: قليل دائم خير من كثير منقطع.

(ثانيا): أما في قوله تعالى ﴿أو مثلها﴾ أي أن الأولى مثل الثانية، فما وجه التغيير هنا، وما سبب التبديل؟ نقول: سببه هنا اختبار المكلف في مدى طاعته وانصياعه إن نُقِلَ من أمر إلى مثله، حيث لا مشقة في هذا، ولا تيسير في ذلك، هل سيمتثل ويطيع أم سيجادل ويناقش؟

مثل هذه القضية واضحة في حادث تحويل القبلة، حيث لا مشقة على الناس في الاتجاه نحو بيت المقدس، ولا تيسير عليهم في الاتجاه نحو الكعبة، الأمر اختبار للطاعة والانصياع لأمر اللهّ، فكان من الناس من قال: سمعًا وطاعة، ونفذوا أمر اللهّ

فورًا دون جدال، وكان منهم من اعترض وأنكر واتهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالكذب. ومن ذلك أيضًا ما نراه في مناسك الحج مما سنّه لنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، حيث نُقَبِّل الحجر الأسعد وهو حجر، ونرمي الجمرات وهي أيضًا حجر، إذن هذه أمور لا مجال للعقل فيها، بل هي لاختبار الطاعة والانقياد للمُشَرِّع سبحانه وتعالى، ثم يقول تعالى في الآية (١٠١ من سورة النحل): ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون**﴾، و"بل" حرف يفيد الإضراب عن الكلام السابق وتقرير كلام جديد. فالحق سبحانه وتعالى يلغي كلامهم السابق فأكثرهم لا يعلمون، ويتهمونك بالكذب والافتراء، فإن غير الأكثرية يعلم أنهم كاذبون في قولهم: ﴿**إنما أنت مفتر**﴾ (١٠١)، وما داموا اتهموك بالافتراء فقُلْ ردًّا عليهم: ﴿**قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين ءامنوا وهدى وبشرى للمسلمين**﴾ (١٠٢).

أما بالنسبة للآية (٥٢) من سورة الحج: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطن في أمنيته، فينسخ اللّه ما يلقى الشيطن ثم يحكم اللّه ءايته، واللّه عليم حكيم﴾.

فسنجد رأي أقطاب الدين وتفسيرهم لهذه الآية في تفسير الشعراوي المجلد السادس عشر، حيث ذكر لنا فضيلة الشيخ ما قاله ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (٣ / ٢٢٩) قائلًا: "قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق، ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح". وقال القرطبي في تفسيره (٦/ ٤٦١٢): "الأحاديث المروية في نزول هذه الآية ليس منها شيء يصح". وقال القاضي عياض في كتاب "الشفا بتعريف حق المصطفى": هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه بسند سليم متصل ثقة، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم".

ويقول فضيلة الإمام في تفسيره: "أثارت هذه الآية جدلًا طويلًا بين العلماء، ودخل فيه كثير من الإسرائيليات، خاصة حول معنى (تمنى)، وهي تَرِد في اللغة بمعنيين: الأول: **قرأ**، والثاني: **أحب أن يكون الشيء**، والثاني هو المعنى المشهور في لغة العرب، أما بمعنى "قرأ" فهو غير شائع.

كما أنه كيف تستقيم عباراتهم: (والغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى) مع قول الله تعالى: ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى**﴾ (سورة النجم)... كيف ينسجم هذا وذاك، فهذا الفهم في تفسير الآية لا يستقيم، ولا يمكن للشيطان أن يدخل في القرآن ما ليس منه، لكن يحتمل تدخل الشيطان على وجه آخر: فحين يقرأ رسول الله القرآن وفيه هداية للناس وفيه مواعظ وأحكام ومعجزات، أتنتظر من عدو الله أن يخلي الجو للناس حتى يسمعوا هذا الكلام دون أن يشوش عليهم، ويبلبل أفكارهم ويحول بينهم وبين سماعه، فإذا تمنى الرسول يعني: قرأ، ألقى الشيطان في أمنيته، وسلّط أتباعه من البشر يقولون في القرآن: سحر وشعر وإفك وأساطير الأولين، فدور الشيطان – إذن – لا أن يُدْخِل في كلام الله ما ليس منه، فهذا أمر لا يقدر عليه ولا يُمَكِّنُه الله من كتابه أبدًا، إنما يمكن أن يلقي في طريق القرآن وفهمه والتأثر به العقبات والعراقيل التي تصد الناس عن فهمه والتأثر به، وتفسد القرآن في نظر من يريد أن يؤمن به.

ولكن الله دائمًا يخيب سعي الشيطان، فلم تقف محاولاته عقبة في سبيل الإيمان بالقرآن والتأثر به، لأن القرآن وجد قلوبًا وآذانًا استمعت وتأملت فآمنت وانهارت لجلاله وعظمته، وخضعت لأسلوبه وبلاغته، فآمنوا به واحدًا بعد الآخر، ثم يقول تعالى: ﴿**فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم**﴾ يعني: ألغى وأبطل ما ألقاه الشيطان من الأباطيل والعقبات التي أراد بها أن يصد الناس عن القرآن، وأحكم الله آياته، وأوضح أنها منه سبحانه، وأنه كلام الله المعجز

الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. وهذا على قول من اعتبر أن (تمنى) بمعنى: قرأ.

أما على معنى أنها الشيء المحبوب الذي نتمناه. فنقول: إن الرسول الذي أرسله الله تعالى بمنهج الحق إلى الخلق. إن كان قادرًا على تطبيق المنهج في نفسه فإن أمنيته أن يُصَدَّق وأن يُطاع فيما جاء به. وأمنيته أن يسود منهجه ويسيطر ويسوس به حركة الحياة في الناس. وينفذ إلى الناس. وما كان الشيطان ليدع القرآن ينفذ إلى قلوب الناس أو حتى آذانهم. أليس هو صاحب فكرة: **﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾** (فصلت). إن الشيطان لو لم يُلْقِ العراقيل في سبيل سماع القرآن ويشكك فيه لآمن به كل من سمعه؛ لأن للقرآن حلاوة لا تقاوَم، وأثر ينفذ إلى القلوب مباشرة. ومع ذلك لم يَفُتّ ما ألقى الشيطان في عضد القرآن، ولا في عضد الدعوة. فأخذت تزداد يوما بعد يوم، ويزداد عدد المؤمنين بالقرآن المصدقين به. المهم أن نتنبه كيف نستقبل القرآن، وكيف نتلقاه. لا بد أن نستقبله استقبال الخالي من هوى. فالذي يفسد الأحكام أن تستقبل هو أن تدخل على هوى سابق. وسبق أن قلنا: إن الحيز الواحد لا يسع شيئين في وقت واحد. لا بد أن تخرج أحدهما لتدخل الآخر. فعليك – إذن – أن تخلي عقلك وفكرك تمامًا، ثم تستقبل كلام الله وتبحث فيه كما شئت. فسوف تنتهي إلى الإيمان به شريطة أن تصفي له قلبك فلا تبق في ذهنك ما يعكر صفو الفطرة التي خلقها الله فيك. عندها سيأخذ القرآن طريقه إلى قلبك. فإذا أشرب قلبك حب القرآن فلا يزحزحه بعد ذلك شيء. ولنا في إسلام سيدنا عمر بن الخطاب مثال وعظة. فلما سمع القرآن من أخته لأول مرة وقد أغلق قلبه على كفره لم يتأثر به. وضربها حتى أدمى وجهها. وعندها رق قلبه. وتحركت عاطفته نحو أخته وكأن عاطفة الحب زحزحت عاطفة العداوة. وكشفت عن صفاء طبعه. فلما سمع القرآن بعدها آمن به على الفور.

(أولا) العيوب التي يرونها في الناسخ والمنسوخ

* ادعاء

تقولون: إن القرآن وحده من دون سائر الكتب الدينية يتميز بوجود الناسخ والمنسوخ فيه. مع أن كلام اللّه الحقيقي لا يجوز فيه الناسخ والمنسوخ لأن:

١ - الناسخ والمنسوخ في كلام اللّه هو ضد حكمته وصدقه وعلمه. فالإنسان القصير النظر هو الذي يضع قوانين ويغيرها ويبدلها بحسب ما يبدو له من أحوال وظروف. لكن اللّه يعلم بكل شيء قبل حدوثه. فكيف يقال إن اللّه يغيّر كلامه ويبدله وينسخه ويزيله؟ أليس من الأوفق أن نُنَزِّه اللّه فنقول: لَيْسَ اللّهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ. وَلَا ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ؟ (عدد ٢٣: ١٩).

٢ - لأن الناسخ والمنسوخ ليس له وجود في اليهودية ولا المسيحية. قال المسيح: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الكُلُّ (متى ٥: ١٧-١٨).

٣ - لأن الناسخ والمنسوخ يفتح باب الكذب والادعاء. فإذا قال مدّعي النبوة قولًا وظهر خطؤه. أو إذا اعترض سامعوه عليه قال: إنه منسوخ ويأتي بقولٍ آخر ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ (سورة الحج ٢٢: ٥١). كما ينسخ إله محمد ما يلقيه عليه من قرآن (سورة البقرة ٢: ١٠٦).

* الرد:

أما النقطة الأولى وهي:

١- الناسخ والمنسوخ في كلام اللّه هو ضد حكمته وصدقه وعلمه. فالإنسان القصير النظر هو الذي يضع قوانين ويغيرها ويبدلها بحسب ما يبدو له من أحوال وظروف. لكن اللّه يعلم بكل شيء قبل حدوثه. فكيف يقال إن اللّه يغيّر كلامه

ويبدله وينسخه ويزيله؟ أليس من الأوفق أن نُنَزِّه الله فنقول: لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلَا ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ؟ (عدد ٢٣: ١٩).

فلكم أقول: إن حكم الناسخ والمنسوخ هو حكم معلوم لله تعالى منذ البداية، ولكنه يتبع المصلحة العامة. كما أن القرآن ليس الكتاب الوحيد الذي به ناسخ ومنسوخ. وإليكم أمثلة من الناسخ والمنسوخ من كتابكم المقدس:

- فقد تواجد حكم النسخ منذ بدأ الخليقة حينما أباح الله زواج الإخوة شريطة ألا يكونوا من بطن واحدة – أي ألا يكونوا توائم– ثم نسخ هذا الأمر بأمر آخر وهو عدم تزاوج الأبناء على وجه الإطلاق سواء أكانوا من بطن واحدة أو غير ذلك. فصاحب التشريع الأول هو نفسه صاحب التشريع الثاني. فقد أعطى الله لآدم هذه الصلاحية وهي تزاوج بناته وبنيه لهدف "وهو إعمار الكون". فلما انقضى الهدف نسخ الله الحكم إلى حكم آخر أكثر صلاحا للأرض، حتى يتحقق السلام داخل الأسرة، فيجلس الأخ إلى جوار أخته، والأب إلى جوار ابنته، والأم إلى جوار ابنها تحكمهم شريعة تكفل السلام النفسي، بدلا من الحياة البهيمية التي كان لا بد منها بداية لإعمار الكون. فلنحيا الآن في سلام نفسي وفطرة سليمة.

٢ – لأن الناسخ والمنسوخ ليس له وجود في اليهودية ولا المسيحية. قال المسيح: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الكُلُّ (متى ٥: ١٧-١٨).

ولكم أقول: إننا إذا بحثنا في كتابكم المقدس بعهديه القديم والجديد فسنجد أمثلة واضحة وجلية من النسخ. ففي العهد القديم:

- أباح الله لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ هذا بتحريم أكل بعضها.

- وها نحن نجد يعقوب (إسرائيل) يتزوج من (ليئة وراحيل) وهما أختان، واللتان كان من نسلهما مع جاريتهما (بلهة وزلفة) الأسباط الاثنى عشر الذين هم اليهود اليوم، ثم نسخ اللّه هذا الحكم فيما بعد سواء في الديانة المسيحية أو الإسلامية، فقد حرم اللّه الجمع بين الأختين إلا ما قد سلف.

- وفي كتابكم المقدس ألم ينسخ اللّه حكمه بذبح بكر إبراهيم أبيكم قبل ذبحه مباشرة رحمة بعبده، حيث كان يختبر ولاءه وصبره، وقد نجح في الاختبار، فنسخ اللّه حكم الذبح فلم يكن اللّه بقاطع رقاب، ولكنه سبحانه يريد أن يختبر بعض عباده ويعلم آخرين.

- وها هو الرب يحرم العمل وممارسة الحياة بشكلها الطبيعي في يوم السبت بعد أن كان مباحًا.

ثم إننا نجد أن عيسى عليه السلام نفسه يقول في مواضع من الإنجيل: "**ما جئت لأنقض الناموس بل لأكمله**"، ثم نجده في مواضع أخرى ينسخ بعض الأحكام التي أتت في شريعة موسى، والأمثلة كثيرة، ولنعرض بعضها:

- جاء في شريعة موسى أن الطلاق جائز وتعطى المطلقة كتاب طلاق، أما عيسى عليه السلام فقال في العهد الجديد في (إنجيل متى الإصحاح ٥ : ٣١-٣٢): "**٣١ وقيل في شريعة موسى من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق. ٣٢ وأما أنا فأقول لكم: إن طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني**". على الرغم من أن طلاق المرأة لأي سبب في أيام موسى عليه السلام كان واردًا، وكذلك إمكانية زواج المطلقة ثانية.

- ونجد أن التعدد في شريعة موسى عليه السلام كان موجودًا ومنصوصًا عليه، حتى أن موسى نفسه كان متزوجًا من اثنين وربما أكثر، ونجد أن سليمان الحكيم كما يذكر العهد القديم كان متزوجًا من ألف امرأة..... وحينما أتى عيسى

حرم الزواج إلا من واحدة. ونجد أن بولس يريد أن ينسخ ذلك إلى أن عدم الزواج أفضل. كما جاء عندكم في أعمال الرسل.

- كان الجمع في النكاح بين الحرة والأمة واردًا في أيام سيدنا إبراهيم وسيدنا يعقوب بدليل جمعهما بين الحرائر والإماء. فقد جمع سيدنا إبراهيم بين سارة الحرة وهاجر الجارية. وجمع سيدنا يعقوب بين ليئة وراحيل وهما أختان حرائر مع بلهة وزلفة وهما إماء لهما. ولكننا نجد أن التوراة قد نسخت هذا الحكم وحرمت ذلك فيما بعد.

- نقرأ في التوراة أنه حينما مرض ملك اليهود حزقيال أوحى اللّه تعالى إلى أشعياء عليه السلام بأن حزقيال سيموت في مرضه هذا. فأخبر أشعياء حزقيال بهذا الأمر. فبكى حزقيال وتضرع إلى اللّه. فأوحى اللّه إلى أشعياء أنه يقوم من علّته وينزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام. وقد زاد عمره حوالي خمسة عشر عامًا. فقد نسخ اللّه أمره القديم بموت حزقيال وزاد في عمره.

وإذا أفسحنا المجال للحوار عن النسخ في العهدين القديم والجديد فسنجد الأمثلة كثيرة. ولكني أجد أن ما ذكرته كافٍ. ولذا فقولكم أن الناسخ والمنسوخ في كلام اللّه هو ضد حكمته وصدقه وعلمه. وأن الإنسان القصير النظر هو الذي يضع قوانين ويغيرها ويبدلها بحسب ما يبدو له من أحوال وظروف. وأن اللّه يعلم بكل شيء قبل حدوثه. وبالتالي فلا يمكن أن يغيّر اللّه كلامه ويبدله وينسخه ويزيله. وأنه يجب أن ننزه اللّه فنقول لَيْسَ اللّهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ. وَلَا ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ (عدد ٢٣: ١٩) لا سبيل له من الصحة.

ولكم أقول في هذا الصدد أنه عليكم أن تقبلوا أحد الخيارات الآتية:

(١) فإما أن كتابكم المقدس يحتوي على عبارات مدخولة متمثلة في الموضوعات السابقة التي تم نسخها. والتي ذكرتها آنفا.

(٢) أو أن تقبلوا حقيقة أن النسخ وارد من الله عز وجل، وبالتالي فعليكم أن تقبلوا النسخ في القرآن.

وبالتالي ستصبح دعواكم السابقة من أن كلام الله لا نسخ به هي دعوة مرفوضة.

٣ – لأن الناسخ والمنسوخ يفتح باب الكذب والادعاء، فإذا قال مدَّعي النبوة قولًا وظهر خطؤه، أو إذا اعترض سامعوه عليه قال: إنه منسوخ ويأتي بقولٍ آخر ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ (سورة الحج ٢٢: ٥١). كما ينسخ إله محمد ما يلقيه عليه من قرآن (سورة البقرة ٢: ١٠٦).

ولكم أقول: إن الناسخ والمنسوخ يفتح باب الكذب والادعاء لمدعي النبوة، أما محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكن قط مدعيًا نبوة، ذلك الرجل الذي يثبت الكتاب الذي نزل عليه مصداقيته في كل يوم وليلة، ذلك الكتاب الذي يحبو العلم في أثره حتى الآن ومنذ ١٤٠٠ سنة، ذلك الكتاب الذي شهد له العرب والعجم على حد سواء، فقد قال عنه المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون، كما قال عن المصطفى من الله رحمة للعالمين: "إن محمدًا هو أعظم رجال التاريخ". وقال عن القرآن الكريم: "حسب هذا الكتاب جلالة ومجدًا أن الأربعة عشر قرنًا التي مرّت عليه لم تستطع أن تجفف من أسلوبه الذي لا يزال غضًّا كأن عهده بالوجود أمس، ولم يكن هذا النبي الجليل داعيًا للآخرة وحدها، بل أمر أتباعه بأن يأخذوا نصيبهم من الحياة".

وقال عنه عالم البحار جاك إيف كوستو: "الآن أشهد وأعتقد يقينا أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمدًا نبي الله ورسوله، وأن العلم المعاصر يحبو في أثر ما جاء به في أناة وصبر على فترة أربعة عشر قرنا مضت".

ثانيًا: أمثلة للناسخ والمنسوخ

(١) السلم في سبيل الدعوة

- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ (سورة البقرة ٢: ٢٥٦).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ (التوبة ٩: ٧٣).

لقد ورد في كتب التفسير أن **الآية ٢٥٦ من سورة البقرة** نزلت في رجل من النصارى من بني سالم يقال له الحصيني، وكان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلًا مسلمًا، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا أستكرههما، فإنهما قد أَبَيَا إلا النصرانية، فأنزل الله فيه هذه الآية السابقة. ويقول الشيخ الشعراوي في مجلده الثاني: إن الإكراه هو أن تحمل الغير على فعل من الأفعال لا يرى فيه هو الخير بمنطق العقل السليم، والحق يريد أن يعلم من يأتيه محبًّا مختارًا وليس مقهورًا، فالمجيء قهرًا يثبت له القدرة، ولا يثبت له المحبوبية، ولكن من يذهب له طواعية وهو قادر ألا يذهب فهذا دليل على الحب، وهذا هو ما يريده المولى سبحانه وتعالى.

أما بشأن **الآية ٧٣ من سورة التوبة** ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾، فنجد أن موضوعها مختلف تمامًا، فالمولى سبحانه وتعالى هنا يتحدث عن المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ويطلب الغلظة عليهم إذا أظهروا النفاق، وقال ابن مسعود: **(جاهد الكفار والمنافقين)**، قال: بيده، فإن لم يستطع فليَكْفَهِرّ في وجهه، فقد كان هؤلاء المنافقون يتآمرون مع الكفار لإيذاء المسلمين، فماذا نتوقع إذًا من رد فعل المسلمين أمام كل هذه التآمرات، فلتجيبوا أنتم.

ونرى مما سبق أن الآية الأولى نزلت في مناسبة، إلا أنها صارت مبدأ عامًّا فيما بعد، وهو عدم إكراه أحد على اتباع هذا الدين، حيث إن الله يريد أن يأتيه من يأتيه محبًّا مختارًا وليس مكرهًا، أما الثانية فهي تتحدث عن مبدأ التعامل مع المنافقين

الذين يثيرون الفتن والبلابل من أجل إجهاض هذا الدين. وشتان ما بين موضوع الأولى والثانية، فلم تنسخ إحداهما الأخرى.

وها هو الكتاب المقدس يشهد بقتال أنبياء الله. فقد دخل الأنبياء مع بني إسرائيل الأرض المقدسة محاربين بأمر إلهي، كما نجد أن داود وسليمان كانا رجالًا حربيين، فقد حارب داود جالوت، وحارب سليمان أهل الكفر والضلال. ومن هذا يتضح أن القتال هو سنة الله تعالى، وعادته لإجلاء الحق وإدحاض الباطل. ونحن في هذا الطريق سائرون. فلِمَ تنكرون علينا طريقًا سرتم فيه قبلنا.

(٢) قصاص الحبس للزانيات

* ادعاء

- قصاص الجلد للزانيات

- ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (سورة النساء ٤: ١٥).
- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (سورة النور ٢٤: ٢).

* الرد:

قرأت في مختصر التفسير لابن كثير المجلد الأول: ... كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حُبِسَت في بيت فلا تُمَكَّن من الخروج منه إلى أن تموت كما ورد في الآية (حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا). والسبيل الذي جعله الله هو الناسخ للإمساك في البيوت حتى الموت. حيث قال ابن عباس رضي الله عنه: "كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم". وهو أمر متفق عليه. روى مسلم وأصحاب السنن عن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن

سبيلا، **البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مائة وتغريب عام، والثَّيِّبُ بالثَّيِّب جَلْد مائة والرجم**".

وقوله تعالى: ﴿**واللذان يأتيانها منكم فأذوهما**﴾، **أي**: واللذان يفعلان الفاحشة فآذوهما، قال ابن عباس: أي بالشتم والتعيير والضرب بالنعال، وكان الحكم كذلك حتى نسخه اللّه بالجلد أو الرجم، وقال مجاهد: نزلت في الرجلين إذا فعلا اللواط، وقد روى أهل السنن عن ابن عباس مرفوعًا قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به".

وقوله: ﴿**فإن تابا وأصلحا**﴾، **أي**: أقلعا ونزعا عما كانا عليه وصلحت أعمالهم وحسنت ﴿**فأعرضوا عنهما**﴾ أي لا تعنفوهما بكلام قبيح بعد ذلك، لأن التائب من الذنب كمن لاذنب له، ﴿**إن اللّه كان توابا رحيما**﴾، وقد ثبت في الصحيحين: "**إذا زنت أَمَةُ أحدكم فليجلدها الحد ولا يُثَرِّب عليها**"، أي: لا يُعَيِّرها بما صنعت بعد الحد الذي هو كفارة لما صنعت.

(٣) ثباتُ الواحد للعشرة

*** ادعاء**

- ثباتُ الواحد للاثنين

- ﴿**إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**﴾ (**سورة الأنفال ٨: ٦٥**).
- ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**﴾ (**سورة الأنفال ٨: ٦٦**).

*** الرد:**

لقد نزلت هذه الآيات بشأن إحدى غزوات الرسول صلى اللّه عليه وسلم وهي غزوة بدر، آمرة للمؤمنين ومبشرة لهم، فهذه الآية تأمر المؤمنين بالجهاد في سبيل اللّه، وقال عبد اللّه بن المبارك عن ابن عباس: لما نزلت ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين**﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض اللّه عليهم أن لا يفر

واحد من عشرة، ثم جاء التخفيف، فقال: **﴿الآن خفف الله عنكم﴾**، إلى قوله: **﴿يغلبوا مائتين﴾**.

وغزوة بدر هذه لم تكن إلا محاولة لرد جزء من حقوق المسلمين المسلوبة، حينما أجبروا على ترك كل شيء وراءهم حينما خرجوا من مكة، فأذن الله أن ترد الصفعة إلى سادات قريش بهذه الغزوة لنصرة المسلمين والإعلاء من روحهم المعنوية، وضياع هيبة هؤلاء السادة عبدة الأصنام بين القبائل **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**. فما حدث لهم في غزوة بدر لم يكن إلا بما كسبت أيديهم.

وقد نسخت الأولى بالثانية تخفيفًا على المسلمين، ورحمة من الله بهم، وحتى يعلموا أن الله إلى جوارهم ومؤيدًا لهم في كل وقت وحين، ما داموا على الحق.

(٤) أمر الزوجة المتوفَّى عنها زوجها بالاعتداد سنةً كاملة.

*** ادعاء**

- أمر الزوجة المتوفَّى عنها زوجها بالاعتداد أربعة أشهر وعشرة أيام

- **﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (سورة البقرة ٢: ٢٤٠).
- **﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**. (سورة البقرة ٢: ٢٣٤).

*** الرد:**

الحقيقة أنه لا يوجد ناسخ ومنسوخ هنا، وإنما الآيتان مختلفتان في الموضوع من

الأساس. فآية منهما تتحدث عن عدة امرأة التي مات عنها زوجها والأخرى تتحدث عن حق من حقوقها وهو المكوث في المسكن، ويجيبنا عن هذا الموضوع مختصر التفسير لابن كثير الجلد الأول حيث يقول: "لقد أسند البخاري عن ابن عباس أن هذه الآية لم تدل على وجوب الاعتداد سنة كما زعمه الجمهور حتى يكون ذلك منسوخًا بالأربعة الأشهر وعشر، إنما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاة بالزوجات أن يُمَكَّن لهن السكن في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولا كاملا إن اخترن ذلك. ولهذا قال تعالى: ﴿**وصية لأزواجهم**﴾، أي: يوصيكم اللّه بهن وصية كقوله: ﴿**يوصيكم اللّه في أولادكم**﴾ الآية. ﴿**غير إخراج**﴾، فأما إذا انقضت عدتهن بالأربعة أشهر والعشر أو بوضع الحمل واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فإنهن لا يُمنعن من ذلك لقوله: ﴿**فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف**﴾. وهذا القول وجيه جدًّا، وفي اللفظ مساعدة له، وقد اختاره جماعة كثيرة من العلماء منهم الإمام ابن تيمية.

(٥) الخمر إثم وفيها منافع للناس.

*** ادعاء**

- الخمر رجس من عمل الشيطان

- **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾** (سورة البقرة ٢: ٢١٩).
- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (سورة المائدة ٥: ٩٠).

*** الرد:**

ولكم أقول: إنني أرى أن الخمر مثل الإدمان مثل السجائر. تركها لمن اعتاد عليها

ليس بالأمر الهين، ولأن الله هو الأدرى بعباده، فهو يعلم جيدًا أن تحريم الخمر مباشرة بدون تمهيد قد لا يستساغ عند الكثيرين. فالأمر يحتاج إلى تمهيد نفسي، وليس أعظم من هذا التمهيد الإلهي للوصول إلى الهدف المرجو في النهاية وهو التحريم الكامل للخمر.

وقد قال الإمام أحمد عن أبي هريرة: حرمت الخمر ثلاث مرات؛ قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر. فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾، فقال الناس: ما حَرّمها علينا، إنما قال: ﴿فيهما أثم كبير ومنافع للناس﴾، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يومًا من الأيام صلى رجل من المهاجرين أمّ أصحابه في المغرب، فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها: ﴿ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾، ثم نزلت آية التحريم المطلق للخمر: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فقالوا: انتهينا ربنا.

وإثم الخمر في الدين، أما المنافع فدنيوية، من حيث إن فيها نفع البدن، كتهضيم الطعام وإخراج الفضلات، وتشحيذ بعض الأذهان، ولذة الشدة المطربة التي فيها قال (حسان بن ثابت) في جاهليته:

ونشربها فتتركنا ملوكًا

وأسدًا لا يُنَهْنِهُنَا اللقاء

وكذلك بيعها والانتفاع بثمنها، وما يربحه بعضهم من الميسر فينفقه على نفسه أو عياله، ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾.

ولكم أقول: إنني أرى أن الحق سبحانه وتعالى قد استخدم أسلوب التمهيد والتدرج في الحكم لمشاركة عباده في اتخاذ القرار. فلم يرسل الله أنبياءه وشرائعه لتعذيبهم وإنما لخيرهم. ولعلمه القديم بمدى تعلقهم بشرب الخمر وهم يجدون فيها منافع كثيرة لهم كما ذكرت آنفًا. فأراد أن يخبرهم أن فيها إثم أيضًا. فليست كلها منافع. ثم تأتي حادثة إمام الصلاة الذي شرب الخمر وأخطأ في الصلاة ليريهم هذا الإثم. فيصدر قراره بألّا يقربوا الصلاة وهم سكارى. والصلاة خمس صلوات في اليوم. فمن يرد أن يصلي عليه ألا يشرب الخمر طيلة النهار. فكان هذا شبه تحريم. ولكن ليس بالطريق المباشر. وبعد أن جهز عقولهم وقلوبهم لهذا الأمر الإلهي أنزل آية التحريم التي لا تقبل الشك. والتي قال فيها سبحانه وتعالى: ﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**﴾. وهذا ما فعله رب العزة. فقد تركهم وهو يعلم مدى حبهم له ولنبيه. ليروا من يخطأ في كتاب الله وهو في حالة السكر. ومن تزني وهي في حالة السكر. ومن يسب. ومن يقتل. ليرفضوا هم هذا المنكر ولكن بالإرادة الكاملة والحب المطلق. وهو أسلوب للتربية والتعليم يليق برب العباد؛ لأنه هو الخالق ويعرف ما بخلقه من ضعف.

وإذا سقنا مثالًا من حياتنا نحن البشر لعلمنا كيف أن القرآن هو منهج وأسلوب حياة لتربيتنا وتعليمنا كيف تكون أصول التعامل حتى مع أبنائنا. فهب أن لك ابنا يعشق الشيكولاتة ويشعر بسعادة كبيرة عند تناوله لها. ولكنك لاحظت أنها تتسبب له في الحساسية. وأكد لك الطبيب ذلك. ولكن الطفل الصغير لا يعي الأمر. فهو لا يعرف غير حبه للشيكولاته. ولكنه أيضا يتألم جدًّا عندما تنتابه نوبة الحساسية. فلو أنك قلت له (لن تأكل الشيكولاته ثانية) بدون إبداء أسباب. فسيرى أنك أب ظالم وقاسٍ. ولكنك حينما تخبره أن الآلام الشديدة التي تعتريه هي من جراء أكله للشيكولاته. فقد يمتنع. أما إذا كان صلب الرقبة فلا

مانع من أن تجعله هو يتخذ القرار. فقل له: إذا امتنعت عن أكل الشيكولاته هذا الأسبوع فإني سوف أعطيك خمسين جنيهًا لتشتري بها جميعًا شيكولاته الأسبوع القادم. فإذا أتى الأسبوع القادم أعطه المال ليأكل ويتألم ليعرف أنك لم تمنعه عن الشيكولاته لتحرمه من شيء يحبه ولكن لصالحه. فصدقني سيتركها هو بنفسه. إذا لم يكن من أجل طاعتك. فسيكون من أجل الخلاص من الألم.

ثالثًا: الأسباب الحقيقية للناسخ والمنسوخ

*** ادعاء**

تقولون: (١) لماذا نُسخ تحريم القتال في الشهر الحرام؟

جاء في سورة البقرة ٢: ٢١٧: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾.

وتقولون: جاءت هذه الآية الناسخة بعد القتال الذي قام به عبد الله بن جحش الأسدي في الشهر الحرام وإعطائه خُمس السلب لمحمد. وتعيير قريش لمحمد لسبب ارتكاب المسلمين القتال في الشهر الحرام. فلكي يُسكتهم ويُرضي أصحابه ويبرر سلبه قال بهذه الآية الناسخة!

*** الرد:**

ويقول الشيخ الشعراوي في تفسيره لسورة البقرة ص ٩٣ المجلد الثاني: نحن مُسَلِّمُون أن القتال في الشهر الحرام أمر كبير. ولكن انظروا يا كفار قريش إلى ما صنعتم مع عبادنا وقارنوا بين كبر هذا وكبر ذاك. أنتم تقولون: إن القتال في الشهر الحرام مسألة كبيرة. ولكن صدّكم عن سبيل الله وكفركم به. ومنعكم المسلمين من المسجد الحرام وإخراج أهل مكة منها أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام. فلا تفعلوا ما هو أكبر من القتال في الشهر الحرام. ثم تأخذكم الغيرة على الحرمان.

فكأن الحق أراد أن يضع قضية واضحة هي: لا تأخذوا من جزئيات التدين أشياء وتتحصنوا فيها خلف كلمة حق وأنتم تريدون الباطل. فالواقع يعرض الأشياء. ونحن نقول: نعم. إن القتال في الشهر الحرام كبير. ولكن يا كفار قريش اعلموا أن فتنة المؤمنين في دينهم وصدهم عن طريق الله. وكفركم به – سبحانه – وإهداركم حرمة البيت الحرام بما تصنعون فيه من عبادة غير الله. وإخراجكم أهله منه. إن هذه الأمور الآثمة هي عند الله أكبر جرمًا وأشد إثمًا من القتال في الأشهر الحرم لاسترداد المسلمين بعض حقهم لديكم. ولهذا يَرُدّ الحق سهام المشركين في نحورهم. (**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**). أي: إياكم أن تعتقدوا أنهم سيحترمون الشهر الحرام ولا المكان الحرام. بل (**ولا يزالون يقاتلونكم**) أي: وسيصرون ويداومون على قتالكم. (**حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**).

وتأمل قوله: (**إن استطاعوا**). إن معناها تحدٍّ لهم بأنهم لن يستطيعوا أبدًا. فـ (إن) تأتي دائمًا في الأمر المشكوك فيه. ويتبع الحق (**ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة. وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**). سيظلون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا. ثم يختم الحق الآية بقضية يقول فيها: (**ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر**).

*** ادعاء: (٢) لماذا نسخ بيت المقدس كقبلة صلاته؟**

جاء في سورة البقرة ٢: ١٤٤: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ).

وتقولون: جاءت هذه الآية الناسخة بعد أن كان المسلمون يصلون مستقبلين بيت المقدس، وأراد محمد أن يستميل العرب إليه. ولكي لا يتحولوا إلى اليهودية التي كان يقدس قبلتها، قال: إن الله غيَّر له القبلة إلى القبلة التي يرضاها. فحُكم

النسخ ليس حسب المشيئة الإلهية الثابتة بل حسب هوى محمد ورضاه!

*** الرد:**

ولكم أقول: لو أنك أجهدت نفسك قليلا لتقرأ الآية التي تسبق هذه الآية مباشرة (١٤٣)، لعلمت الحكمة من هذا النسخ حيث قال تعالى: ﴿**وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه**﴾... فالهدف هو التسليم المطلق لإرادة الله، وخاصة أن هذا الأمر مذكور في كتب أهل الكتاب، ولكنهم ينكرونه اليوم، فقد قال: ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾، أي: واليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون أن الله تعالى سيوجهك إليها بما في كتبهم عن أنبيائهم من النعت والصفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته، وما خصه الله تعالى به وشرّفه من الشريعة الكاملة العظيمة، ولكن أهل الكتاب يتكاتمون ذلك بينهم حسدًا وكفرًا وعنادًا، ولهذا تَهَدَّدَهم تعالى بقوله: ﴿**وما الله بغافل عما يعملون**﴾. (مختصر التفسير لابن كثير المجلد الأول).

*** ادعاء:**

(٣) لماذا نسخ الامتناع عن النساء وقت الصيام؟

جاء في سورة البقرة ٢: ١٨٧: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾.

وتقولون: جاءت هذه الآية الناسخة بعد اعتراف أصحاب محمد، ومنهم عمر بن الخطاب أنهم خانوا نظام الصيام المتبع بإتيانهم نساءهم بعد صلاة العشاء، فجعلت الآية الناسخة الممنوع ممكنًا والمحرَّم محلَّلًا!

*** الرد:**

ولكم أقول: لم يكن (عمر بن الخطاب) سوى بشر يخطئ ويصيب. فلماذا تريدون أن تجعلوه هو والصحابة في مرتبة الملائكة؟ ثم لماذا تريدون من اللهّ أن يكون جلادًا؟ فإذا كان الصحابة والتابعون عجزوا عن اتباع أمر ما. فكيف بالعوامّ والأناس العاديين. فلا بد وأن عدم قدرتهم على التحمل ستكون أكبر بكثير. ولم يأتِ اللهّ بشرعه لتعذيب البشر. لذا فقد نزلت هذه الآيات للتخفيف. واللهّ سبحانه وتعالى يعرف أزلًا عدم مقدرة الصحابة على احتمال هذا الشرط؛ لأنه خالقهم ويعرف قدرتهم. ولكن ليدخل السرور على قلوبهم باستجابته لطلبهم.

فالنسخ في القرآن قد يكون له سبب آخر إضافة إلى ما ذكره فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي سابقًا. والذي قد يتفق فيه البعض معي وقد يختلف. فأنا أرى أن النسخ مؤشر لرضاء الرب عن عباده. وقد يتساءل البعض: كيف ذلك؟ لذا فسأضرب لكم مثلا يوضح هذا الرأي. إذا أتى ابن لنا يطلب منّا أمرًا ما. وكان هذا الابن مطيعًا ونملك القدرة على تحقيق طلبه. فلن نتردد في ذلك على سبيل المكافأة له. أما إن كان عاصيًا. فقد نرفض تحقيق مطلبه من باب العقاب. حتى وإن امتلكنا القدرة على تحقيقه. فالاستجابة لرغبة الناس ومطالبهم ما هو إلا برهان لرضاء الرب. ومؤازرة من الرب لعباده. فيخفف عنهم ما هم مثقلون به. فيدخل به السرور على قلوبهم.

كما أن أمر عودة الرب عن شيء قاله أو فعله لهو أمر وارد في كتابكم المقدس. كما في سفر التكوين (٥- ٥: ٨). **"ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ٦ فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه. ٧ فقال الرب: " أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء. لأني حزنت أني عملتهم".**

وإذا كنتم ترون ما فعله عمر إخلالًا لبند من البنود المفروضة من قبل اللهّ ...

فماذا ترون في قوم موسى الذين أخلوا بجوهر وصلب العقيدة، وهو الوحدانية واتجهوا إلى عبادة الأوثان حينما صنعوا العجل الذهبي وعبدوه بعد كل ما شاهدوا من المعجزات مع موسى حينما ذهب لمناجاة ربه؟ ونجد في سفر الخروج (٣٢ – ١٢) أن اللّه أراد أن يفنيهم لما عبدوا العجل الذهبي، فما كان رد موسى على ربه إلا أن قال: "لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟ "ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك.... ١٤ فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه". وهذه إشارة واضحة إلى إمكانية تغيير اللّه لكلامه من كتابكم المقدس. فهل ما زلتم ترون أن النسخ ضد حكمة اللّه وعلمه؟

*** ادعاء:**

(٤) لماذا نسخ تحرم العبث بأشجار الأعداء وقت الحرب؟

جاء في سورة الحشر ٥٩: ٥: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ[1] أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وتقولون: لما حاصر محمد يهود بني النضير بجوار يثرب قطع نخيلهم، فنادوه من الحصون: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ فارتاب بعض الصحابة بجواز هذا الفعل وتأثروا من اعتراض بني النضير، فأتى الناسخ وجعل هذه الأفعال الفاسدة بإذن اللّه!

*** الرد:**

وللإجابة على هذا السؤال سأوجه لكم سؤالًا: أليس للّه أن يعاقب المفسد والمسيء بالطريقة والكيفية التي يراها هو، وليس التي تراها أنت.

ونجد في مختصر التفسير لابن كثير (المجلد الثالث، ص ٤٧١) الرد على هذا

---

[1] – اللينة: النخلة التي ثمرها من دون نوى.

السؤال، حيث قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصر يهود بني قريظة أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرعابًا لقلوبهم. فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك تنهى عن الفساد. فما بالك تأمر بقطع الأشجار؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة. أي ما قطعتم من لينة أو تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشيئته وقدره ورضاه، وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم، وإرغام لأنوفهم.

ولكم أقول: إذا كان محمد ينهى عن الفساد والخراب والتدمير والإحراق جل الأوقات، فلا بأس من استخدام أسلوب آخر إذا اقتضت الضرورة لإهانة وإرعاب العدو. فنحن نعلم أن المسيح عليه السلام كان ينادي بالتسامح، ولكن إذا نظرتم إلى الجزء الأول من كتابكم المقدس فستجدون العهد القديم ينادي بأن "العين بالعين والسن بالسن". بل والأكثر من ذلك أننا نجد في سفر العدد الإصحاح (٣١) الآيات من (٧- ١٠) أن موسى عليه السلام يخبرهم بأن الله أمرهم بالانتقام من المديانيين وأرسلهم ألفا من كل سبط إلى الحرب. فأتوا مديان "٧ **فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. ٨ وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم: أوى وراقم وصور حور ورابع، خمسة ملوك مديان. وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف. ٩ وسبى بنو اسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم، وجميع مواشيهم وكل أملاكهم، ١٠ واحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم، وجميع حصونهم بالنار** ".

وهذا ما كان يفعله موسى للانتقام من بعض المدن التي يدخلونها. وكما نرى أن ذلك كان بأمر إلهي، ورب التوراة هو رب الإنجيل وهو نفسه رب القرآن. فما علة الإحراق للمدينة بعد قتل الذكور وسبي الأطفال والنساء سوى الإمعان في الإذلال. فهذا هو ما أمر الله به نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم في حصاره لبني النضير. ونجد أن هذا كان هو الأسلوب المتبع في أيام موسى ومن بعد موسى. فها هو يشوع الذي تولى أمر بني إسرائيل بأمر إلهي بعد موسى يسير على نفس النهج السابق. فنجد أن الكتاب المقدس يذكرنا بحادثة الحرب بين يشوع ورجال عاي في سفر يشوع

(٨: ٢٣-٢٨): "**وأما ملك عاي فأمسكوه حيًّا وتقدموا به إلى يشوع ٢٤ وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا، أن جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحد السيف ٢٥ فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفا جميع أهل عاي.... ٢٨ وأحرق يشوع عاي وجعلها تلًّا أبديا خرابا إلى هذا اليوم**".

وهي نفس الطريقة التي اتبعها موسى عليه السلام، فلماذا تنكرون ما فعله محمد بيهود بني النضير؟ على الرغم من أن ما فعله محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن نظامًا متبعًا في الحرب في المطلق، فإذا كان المسيح نزل برسالة التسامح، وأن "**من صفعك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر**"، ونزل قبله موسى بأن "**العين بالعين والسن بالسن**"، أما محمد فقد نزل برسالة وسط، فدينه هو **دين الوسطية**، فهو ينهج منهج التسامح والعفو عند المقدرة أغلب الوقت، ولكن لا بأس من إرعاب العدو إذا لزم الأمر، ذلك الرجل الذي قال عنه الأديب الإنجليزي برنارد شو: "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في مثل تفكير محمد، هذا النبي الذي لو تولى أمر العالم اليوم لوُفِّق في حل مشكلاتنا بما يُؤَمِّن السلام والسعادة التي يرنو إليها البشر".

والذي قال عنه الأديب البريطاني جورج ويلز: "محمد أعظم من أقام دولة للعدل والتسامح".

* ادعاء

(٥) لماذا نسخ الصلاة على غير المسلم؟

- جاء في سورة التوبة ٩: ٨٤: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

وتقولون: جاءت هذه الآية بعد فراغ محمد من صلاته على جثة المنافق عبد الله

بن أبي ابن سلول وإقامته على قبره حتى نهاية دفنه. وكان عمر يمانع محمدًا من الصلاة عليه بسبب نفاقه فلم يمتنع. ولكن إرضاءً لعمر نزل الناسخ ليوقف تأثير الصلاة.

ويتحدث الإخوة النصارى عن هذا الموقف قائلين: بأن هذه الآية نزلت إرضاء لعمر بن الخطاب.

* الرد:

ولكم أقول: إن هذه الآية هي أكبر دليل على رحمة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم. فليتكم ذكرتم شيئًا يعيبه. ولكنكم تعيبون عليه أنه يرجو من اللّه أن يرحم الجميع حتى الرجل المنافق والذي يعلم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم نفاقه. ولكن هي الرحمة التي كانت تملأ ما بين جوانحه صلى اللّه عليه وسلم.

ثم أقول: هل يحاول القرآن إرضاء عمر على حساب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؟ هل كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يخاف من عمر مثلا؟

كفاكم افتراءات وبُعد عن الحقائق من أجل تشويه صورة الإسلام وصورة نبي الرحمة في أعين المسلمين. فقد نزلت هذه الآية بالفعل لنهي النبي صلى اللّه عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين بعد أن صلى على عبد اللّه بن أبي ابن سلول رأس المنافقين. وهو الموقف الذي تعجب له بالفعل عمر بن الخطاب محدثًا رسول اللّه قائلًا: أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "**إنما خيّرني اللّه فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر اللّه لهم﴾، وسأزيده على سبعين**".

فأراد أن يزيده عن سبعين لعل اللّه أن يغفر له. وهذا ما يليق بنبي الرحمة الذي لا يرجو سوى الخير لأمته حتى المسيء منهم. فقد طمع محمد في المغفرة لهذا الرجل استنادًا على تخيير اللّه له. ولأن كثيرًا من آيات القرآن نزلت في مناسبات. والآية

السابقة هي إحدى هذه الآيات التي نزلت للنهي عن الصلاة على المنافقين... ولِمَ؟... لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون".

الكلام المتكرر

*** ادعاء**

وتقولون:

١- جاء في سورة الرحمن ٥٥: ١٣: (فبأي آلاء ربكما تكذّبان). وتكررت هذه العبارة ٢٩ مرة في آيات السورة وعددها ٧٨ آية، في آيات ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧.

*** الرد:**

وقد أجابنا على هذا السؤال أحد الدعاة إلى اللّه وهو "الدكتور ميسر الشافعي" حيث قال:

إن لهذا التكرار ضرورة بلاغية.... "للإثبات، والإشهاد، والتحدي، والتأكيد".

- **فالإثبات** لما أقرّه اللّه، بحيث لا ينازعه فيه أحد، فكل حالة ذكر بعدها (فبأي آلاء ربكما تكذبان) هي حالة مستقلة بذاتها تستدعي الإثبات.

- **والإشهاد**، جاء إشهاد بعد كل آية لكل ما ورد فيها، بقوله سبحانه وتعالى: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، لمن وجّه إليه الخطاب، وكان دائما يأتي الرد ممن وجه إليه الخطاب: ولا بأي آلائك رب نكذب.

- **والتحدي**: حيث إن كل آية منهم تحدٍّ منفصل استوجب التكرار.

- **والتأكيد**، ومن الجانب اللغوي، فإن التكرار يعطي معنى التأكيد.

*** ادعاء:**

(١) القرآن به الكثير من التكرار اللفظي، كما في سورة الرحمن، أو التكرار المعنوي كما في قصص الأنبياء، فضلًا عما فيه من سجع متكلف، فمثلا: قصة آدم تكررت في سورة البقرة، وسورة صَ، وسورة طه، وسورة الأعراف.

وقصة نوح تكررت في سورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة هود، وسورة الأنبياء، وسورة الفرقان، وسورة الشعراء، وسورة العنكبوت، وسورة الصافات، وسورة نوح، وسورة القمر وسورة المؤمنون.

وقصة إبراهيم تكررت في سورة آل عمران، وسورة الأنبياء، وسورة مريم، وسورة إبراهيم، وسورة هود، وسورة الحجر وسورة الذاريات، وسورة الأنعام، وسورة الصافات.

وقصة موسى تكررت في سورة القصص، وسورة طه، وسورة الشعراء، وسورة الأعراف، وسورة البقرة، وسورة يونس، وسورة النساء.

وقصة عيسى تكررت في سورة آل عمران، وسورة مريم، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الحديد، وسورة الصف، وسورة يس، وسورة الزخرف.

وقصة خلق اللّه آدم وأمره تعالى الملائكة بالسجود له حسب القرآن مكررة في خمس سور.

وقصة نوح والطوفان مكررة في عشر سور وحديث إبراهيم بإنذاره عبثًا قومَه وتبشيره بإسحاق مكرر في ثماني سور وحديث لوط بإنذاره عبثًا قومه وهلاك سدوم مكرر في تسع سور وقصة يوسف سورة بِرُمَّتِها، وحديث موسى بإرساله من اللّه لفرعون مكرر في ١٢ سورة.

ونحن نسأل: أليس في هذا التكرار عيب الخلل والملل والبعد عن ضروب البلاغة؟

*** الرد:**

ولكم أقول: إنني حينما بحثت عن إجابة هذا السؤال وجدت كتابين تحدثا عن

التكرار القصصي في القرآن، ووجدت أن الإجابة بداخلهما غاية في البلاغة، فالذي تعتبرونه عيبًا لم يكن إلا ميزة ودلالة على الإبداع الإلهي في الأسلوب القصصي، فيقول الدكتور (سيد قطب) في كتابه (التصوير الفني في القرآن): "إن خضوع القصة في القرآن للغرض الديني ترك أثرًا واضحًا في طريقة عرضها، وفي مادتها وتأثيرها النهائي، وكان أول أثر لهذا الخضوع أن ترد القصة الواحدة في معظم الحالات مكررة في مواضع شتى، ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها غالبًا، وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها، ومعظمه إشارات سريعة لمواضع العبرة فيها، أما جسم القصة كله فلا يكرر إلا نادرًا، ولمناسبات خاصة في السياق، وحين يقرأ الإنسان هذه الحلقات المكررة، ويلاحظ السياق الذي وردت فيه، يجدها مناسبة تمامًا لهذا السياق ويجدها منطبقة عليه، وموحية بما يوحي به، وملتحمة بمعانيه ودالّة عليه، ويقع ذلك بغير إخلال بالسمة الفنية، بل ولعل هذا الذي يقع يسند قيمًا فنية كامنة، ويبرز قيما فنية خافية".

أما الكتاب الآخر الذي قرأت فيه عن التكرار القصصي في القرآن، فقد كان كتاب (أنبياء اللّه) لأحمد بهجت، وقد أجاب هذا الناقد الفني إجابة تملؤك بالإعجاب والسعادة بهذا الكتاب الذي بين أيدينا - (القرآن) - فما تعتبرونه عيبًا نتيجة لعدم إلمامكم بفن الكتابة والإبداع الفني فقد اعتبره نقاد الفن ميزة وجمالًا وإبداعًا، فلنرى سويًّا ما قاله أحمد بهجت في هذا الصدد عن الغرض الديني للتكرار قبل تناوله للغرض الفني، فيقول أن:

"القصة خضعت في القرآن للغرض الديني، فكان من أثر هذا الخضوع أن تُقَدَّم بالقدر الذي يكفي لأداء هذا الغرض، وأن تُعْرَض بالشكل الذي تتفق معه، وهكذا تعرض القصة مرة من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، وتارة تعرض كاملة، وتارة يكتفى ببعض حلقاتها، وتارة تتوسط بين هذا وذاك حسبما تكمن العبرة، متجاوزة بذلك الهدف التاريخي، ذلك أن القرآن الكريم ينطوي على قدر من التاريخ،

لكنه ليس تاريخًا، إنما هو كتاب دعوة إلى الله. فهناك قصص لأنبياء بدء عرضها بميلاد هؤلاء الأنبياء، وركزت على مولدهم لخطورة هذا الميلاد وأثره الموحي، مثل آدم الذي جاء ميلاده بالأمر الإلهي ونفخة الروح، ومثل عيسى الذي جاء ميلاده من غير أن يلمس أمه الصِّدِّيقة رجل، ومثل موسى الذي جاء مولده في عصر يذبح فيه قصر الفرعون كل مولود ذكر لبني إسرائيل، فيشاء اللّه أن ينجو موسى بلجوئه وهو رضيع إلى قصر الفرعون ذاته، وهو مصدر الخطر، وبذلك يولد الأمن في أحضان الخطر، ويتم تدبير اللّه، وتنفذ مشيئته. وهناك قصص أنبياء تعرض، فإذا هي تتجاوز ميلاد النبي وتبدأ القصة من صباه أو وهو فتى، لما لهذا الأمر من علاقة وثيقة بالقصة، فقصة يوسف تبدأ بحلم يراه وهو صبي، بعدها تلعب الأحلام دورًا رئيسيًّا في حياته، حتى تفسير رؤياه بعد ذلك بسجود إخوته الذين كادوا له وكادوا يقتلونه من قبل.

وقصة إبراهيم تبدأ وهو فتى ينظر إلى السماء ويفكر كيف يعبد الناس الكواكب والنجوم والشمس وهي جميعًا مخلوقات تظهر ثم تغيب.

ثم يقول أحمد بهجت – كناقد فني – متحدثًا عن الغرض الفني للتكرار: إن القرآن يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، انظر كيف تتنوع طريقة عرض القصص... مرة يذكر ملخصًا للقصة يسبقها، ثم يعرض التفصيلات بعد ذلك كقصة أهل الكهف، ومرة يذكر عاقبة القصة ومغزاها ونهايتها ثم يبدأ من أولها ويسير بالتفصيل، مثل قصة موسى في سورة القصص... ومرة تبدأ القصة برؤيا في المنام، ثم تسير القصة وكأنما هي تأويل للرؤيا، حتى إذا تحققت الرؤيا أنهى القصة هذا الختام الدقيق، ولم يَسِر فيها كما سارت التوراة... ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص... ومرة تتحول القصة إلى مسرحية، فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع الحوار يكمل القصة... ومرة تتحول القصة إلى فيلم سينمائي يبدأ

بحلم وينتهي بتأويله مثل قصة يوسف التي قسمت إلى ٢٨ مشهدًا، يمكن لكل مشهد أن ينطوي على عديد من التفصيلات الدقيقة الموحية، وهناك أسلوب القطع بين المشاهد، وهذه النقلات سريعة وخاطفة، تترك بين المشهد والمشهد مساحة تتيح للخيال أن ينطلق وينشط.

وهذا هو ما قيل عن **التصوير الفني في قصص الأنبياء**، ولكن هناك أيضًا ما يعرف بالتعبير الفني في القرآن، وريشة مبدعة لا تكاد تلمس اللوحة الحية حتى تدب الحياة في المشهد، ويتحرك الحدث واقعًا يجري أمام عينيك، ثم تجيء صدمة موحية، صدمة للتطهير، كما يقولون في دنيا الأدب المسرحي، ثم تمضي أمامك شخصيات الأنبياء في القصص، كل شخصية منها رُسِمَت وأُبْرِزَت بشكل يجعل خصائص هذا النبي وتكوينه النفسي وملامح روحه تبرز أمامك بشكل حي.

أما بشأن **التكرار في القصص القرآني من الناحية الأدبية** فيقول أنه من المعروف أنه يستحيل على كاتب قصة بشري مهما تكن درجة كفاءته ونبوغه ككاتب أن يحكي لك نفس القصة ثلاث مرات أو خمس مرات أو عشر مرات، ثم يحتفظ بنفس مستواه في المرات العشر، لا بد أن يهبط مستواه في تسعة أعشار ما يحكيه، ولا بد أن يكرر نفس ما قاله بنفس التأثير الأول، ولا يمكن أن يأتي بجديد.

غير أنك تنظر في قصص القرآن، فيروعك أن ترى القصة مقدَّمة عشر مرات يحكيها الله عشر مرات أو خمس عشرة مرة، نفس القصة بنفس المستوى، بتأثير مختلف، فيظل مستوى القصة في الذروة رغم تكرارها، ويتغير تأثيرها وإيحاؤها بكلمة تضاف أو جزء يحذف أو عبارة جديدة، أو كلمة لم تكن موجودة، أو مجرد ظل لخاطر نفسي لم يقدم قبل ذلك، شيء معجز يقطع بأن صاحب قصص القرآن ليس هو النبي البشر، إنما هو رب العالمين سبحانه.

<u>ويقول أحمد بهجت: كثيرًا ما توقفت كناقد أدبي أمام قصص القرآن، كنت أقرأ القصة بحس الناقد الذي يريد أن يعثر على ثغرة ينفذ منها ليقول شيئًا، وكنت</u>

أخضع القصص لمقاييس النقد الأدبي القديم والحديث، وكنت أعود من رحلتي دائمًا بإحساس يقيني ومطلق بالسجود، ليست هذه القصص من اختراع بشر، ليست كتابة بشرية، "أبطالها من البشر، أحداثها وقعت في تاريخ البشر، كل ما فيها بشري، غير أن فيها شيئًا غير بشري"، الرؤيا التي تتناولها، الطريق التي تقدم بها، الأسلوب الذي تحكى به القصة، تركيب هذا الأسلوب وسبكه، هذا هو الشيء الإلهي فيها.

ولهذا السبب كان الله يحكي القصة مرة أو مرتين وعشرين، وفي كل مرة يعطيك تأثيرًا معينًا، ويملؤك بإيحاء خاص، يختلف عما سبق أن أعطاه لك، وهذه معجزة في فن الكتابة لا ترى مثيلًا لها في أي كتاب على الأرض غير هذا الكتاب الكريم الذي أسلمه لنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وهو رجل لم يكن يكتب ولم يكن يقرأ.

وإذا أخذنا مثالًا لقصة موسى عليه السلام، فسنجد أنها أكثر القصص التي تكررت في القرآن، وعلى الرغم من ذلك كانت من أغنى قصص الأنبياء في القرآن، وباستثناء ستة مواضع اقتضى السياق فيها تكرار القصة نرى الحلقات الأساسية لم تكرر، فإذا كررت حلقة منها جاءت بشيء جديد في تكرارها، شيء تحسبه خلا، فإذا تملّيته وجدت نفسك تمتلئ بتأثير جديد كل الجدة، مدهش غاية الدهشة، مُوحٍ أعظم الإيحاء، وينطبق هذا على كل قصص الأنبياء التي تتكرر لحكمة عليا وأسباب وجيهة.

وأعتقد أن ما سبق هو إجابة كافية عما يخصنا نحن كمسلمين وهو دفاعنا عن كتابنا الذي بين أيدينا، يبقى دوركم أنتم كيهود ونصارى لتدافعوا عن كتابكم المقدس.

فنحن إذا نظرنا في الكتاب المقدس نجد أن العهد القديم الذي يؤمن به اليهود

والنصارى على حد سواء على أنه كتاب منزل من الله مليء بالتكرار. ولن أتحدث عن غير ما تتفقون عليه جميعًا يهودًا ونصارى بكافة طوائفهم – أعني أنها ليست من الأسفار التي هي مسار جدل عند الإخوة النصارى مثل أسفار الأبوكرافيا – فنحن إذا قرأنا الأسفار الخمسة الأولى (التكوين – الخروج – اللاويين – العدد – التثنية) فسنجد أنه يمكن الاستغناء عن أكثر من ثلاثة أرباع السفر لتكرارها نصًّا في الأسفار التي تسبقها، أو الاستغناء عن أجزاء كبيرة من سفر الخروج وسفر العدد وسفر اللاويين لذكرهم في التثنية، وهو تكرار بلا هدف ولا يضيف جديدًا ولا يخدم الهدف الديني. فأنا أشعر عند قراءتي لما تسمونه بأسفار موسى بالاختناق الشديد لكثرة التكرار المثير للملل، والذي حاولت أن أجد له تفسيرًا أو سببًا يكون منطقيًّا ولكني لم أجد.

والحقيقة أن هذا هو ما يؤكد تحريف التوراة؛ لأن الكتاب المنزل من عند الله مهما حوى من عبارات متكررة، أو قصص مكررة، لا ينبغي له أن يكون مصدرًا للرتابة والملل لقارئه؛ لأنه من عند رب العباد، رب الشعر والنثر والأساليب الأدبية على اختلافها، ولا أدلّ على ذلك مما قاله موسى عليه السلام بنفسه في سفر التثنية (٢٧ – ٨) محدثًا بني إسرائيل موصيهم بتدوين الناموس على الحجارة نقشًا قائلًا: "**وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشًا جيدًا**". والسؤال الآن: كم من الحجارة يحتاج بنو إسرائيل لتدوين الناموس إذا كان بوضعه الحالي؟ فلتجيبوا أنتم!

الكلام المنقول

* ادعاء

وتقولون: (أولا): ما أخذه محمد من أشعار امرئ القيس

امرؤ القيس هو أحد شعراء الجاهلية المتوفَّى سنة ٥٤٠م (أي قبل ميلاد محمد بثلاثين سنة) كانت له قصيدة مشهورة اقتبس القرآن كثيرًا من فقراتها كما ترى:

دنت الساعة وانشق القمر	عن غزال صاد قلبي ونفر
أحورٌ قد حِرتُ في أوصافه	ناعس الطرف بعينيه حوَر
مرّ يوم العيد بي في زينة	فرماني فتعاطى فعقر
بسهامٍ من لحاظٍ فاتك	فرَّ عنّي كهشيم المحتظر
وإذا ما غاب عني ساعة	كانت الساعة أدهى وأمر
كُتب الحُسن على وجنته	بسحيق المسك سطرًا مختصر
عادةُ الأقمارِ تسري في الدجى	فرأيتُ الليل يسري بالقمر
بالضحى والليل من طرته	فرقه ذا النور كم شيء زهر
قلت إذ شقّ العذار خده	دنت الساعة وانشق القمر

فورد الشطر الأول من البيت الأول في سورة القمر (٥٤: ١) ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

وورد الشطر الثاني من البيت الثالث في القمر (٥٤: ٢٩) ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾.

وورد الشطر الثاني من البيت الرابع في القمر (٥٤: ٣١) ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾.

وورد الشطر الأول من البيت الثامن في الضحى (٩٣: ١ و٢) ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا

سَجَى).

وقال امرؤ القيس أيضًا:

أقبـــل والعشـــاق مـــن خلفـــه	كـــأنهم مـــن كـــل حـــدب ينســـلون
وجـــاء يـــوم العيـــد في زينتـــه	لمثـــل ذا فليعمـــل العـــاملون

فورد الشطر الثاني من البيت الأول في سورة الأنبياء (٢١: ٩٦) (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ).

وورد الشطر الثاني من البيت الثاني في الصافات (٣٧: ٦١) (لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ).

*** الرد:**

ولكم أقول: لقد وجدت الإجابة على هذا السؤال داخل إحدى الملفات على شبكة الإنترنت تحت عنوان "**القرآن الكريم وشعر امرئ القيس**" (لفضيلة الشيخ عبد الوهاب الطريري)، حيث أجاب عن هذا الادعاء الكاذب بقوله: إن هذه الشبهة منقوضة بأكثر من عشرين وجهًا.

وسأكتفى بذكر بعض ما قدمه فضيلة الشيخ الطريري، فضلًا عما قدمه (المهتدي بالله) داخل إحدى الملفات التي تحمل عنوان "**امرؤ القيس.. وجهل النصارى**"، للرد على هذه الشبهة.

وقد قال الشيخ الطريري:

- إن هذه الأبيات ليس لها وجود في كتب اللغة والأدب، وقد بحثنا في عشرات من كتب البلاغة والأدب واللغة والشعر المتقدمة، ولم يذكر أحد شيئًا من الأبيات السابقة أو جزءًا منها.

- أنه لا توجد هذه الأبيات في ديوان امرئ القيس على اختلاف طبعاته، ونسخه ورواياته، ولو كانت إحدى الأبيات السابقة صحيحة النسبة إليه أو حتى كاذبة

لذكرت في إحدى دواوينه.

- إن أي متخصص وباحث في الأدب العربي، وشعر امرئ القيس على وجه الخصوص يعلم أن شعر امرئ القيس قد وجد عناية خاصة وتضافرت جهود القدماء والمُحْدَثِين على جمعه وروايته ونشره، وهناك العديد من النسخ المشهورة لديوانه كنسخة الأعلم الشنتمري، ونسخة الطوسي، ونسخة السكري، ونسخة البطليوسي، ونسخة ابن النحاس وغيرها، ولا يوجد أي ذكر لهذه الأبيات في هذه النسخ، لا من قريب ولا من بعيد، فهل كان هؤلاء أعلم بشعر امرئ القيس ممن عنوا بجمعه وتمحيصه ونقده؟!

- إن الدراسات المعاصرة التي عنيت بشعر امري القيس لم تذكر شيئًا من هذه الأبيات لا على أنها من قوله، ولا على أنها مما نحلَ عليه – أي نسب إليه وليس من قوله – ومنها دراسة للأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في أكثر من ٥٠٠ صفحة حول شعر امرئ القيس، وقد ذكر فيه ما صحت نسبته إليه وما لم يصح، وما نحلَ عليه، ولم يذكر مع ذلك بيتًا واحدًا من هذه الأبيات السابقة.

- إن امرأ القيس وغيره من الشعراء قد نحلت عليهم العديد من القصائد فضلا عن الأبيات، بل نحلَ على بعضهم قصص كاملة لا زمام لها ولا خطام، وقضية نحل الشعر ونسبته لقدماء الشعراء أمر معروف لا يستطيع أحد إنكاره، فلو نسبت الأبيات التي هي موضع الشبهة إلى امرئ القيس دون سند أو برهان فلا شك حينئذ في أنها منحولة ومكذوبة عليه، ومع ذلك فإنه حتى في المنحول الذي يذكره من جمع شعر امرئ القيس وما نحل عليه لا تذكر هذه الأبيات.

- إن أي نقد يوجه إلى شيء من الأبيات المنسوبة إلى امرئ القيس يوضح ضعف سبكها، وتهلهل نسجها، وسقم معناها، وسخف بعض تراكيبها، فمثلا إذا نظرنا إلى البيت الذي فيه:

اقتربت الساعة وانشق القمر   من غزال صاد قلبي ونفر

فما المراد بالساعة واقترابها. إن كان المراد بالساعة يوم القيامة فالجاهليون لم يكونوا يؤمنون بالميعاد. فضلا عن أن يذكروه في أشعارهم أو يضعوه في قصائدهم. وإن كان المراد ساعة لقاء الحبيبة كما يزعم البعض فما المراد حينئذ بقوله (انشق القمر). فإن كان المراد انشقاق القمر فعلا فهذا كذب؛ إذ لم ينشق القمر في عهدهم أبدا. بل انشق على عهد النبي صلى اللّه عليه وسلم. كما جاءت بذلك الروايات. فإذا كان المراد بالقمر ذكر المحبوبة فليس من عادة العرب التعبير عن جمال المحبوبة بانشقاق القمر. وأي جمال في انشقاق القمر إذا انشق. وما وجه الحسن في انشقاقه ليشبه به المحبوبة. وقد دأب العرب على تشبيه حسن النساء بالبدر حين اكتماله. لا بانشقاق القمر.

- كما أن البيت الأول

اقتربت الساعة وانشق القمر   من غزال صاد قلبي ونفر

غير مستقيم من ناحية الوزن الشعري. فالشطر الأول مكسور. إلا لو أبدلنا (اقتربت) بـ (دنت).

- إن كفار قريش كانوا أعلم الناس بأشعار العرب وأحفظهم له. وأعرفهم بمداخله ومخارجه. وقد كانوا مع ذلك أحرص الناس على بيان كذب النبي صلى اللّه عليه وسلم. وأنه ما هو إلا ساحر أو كاهن أو شاعر. ومع ذلك كله لم يقل له أحد منهم: إن ما جئت به يشبه شعر امرئ القيس أو أحد غيره. فضلا عن أن يقول له: إن ما جئت به مقتبس من شعر من سبق. وإذا كانوا قد ادعوا أن النبي صلى اللّه عليه وسلم شاعر. وردّ اللّه تعالى عليهم بقوله: ﴿**وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون**﴾ فلم يستطيعوا تكذيب كلام اللّه تعالى. ولم يقدروا على أن يأتوا بدليل على كلامهم إلا التهويش والتكذيب. ولو كان ذلك الشعر من كلام امرئ القيس لكان كفار قريش وصناديد الكفر أول من يستعين به في رد كلام اللّه تعالى.

- أن الوليد بن المغيرة شهد على نفسه وقومه من قبل بأن القرآن الكريم ليس من جنس شعر العرب، فضلا عن أن يكون مقتبسًا منه. قال الوليد: "والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برَجَزه ولا قصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا".

- وفي قصة عتبة بن ربيعة حين جاء يفاوض النبي صلى الله عليه وسلم على أن يترك دعوته ويعرض عليه المال والملك والسلطان، فقرأ عليه صلى الله عليه وسلم شيئًا من القرآن، فلما رجع إلى قومه وجلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا وليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تُصِبْهُ العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلْكُه مُلْكُكم، وعِزّه عِزّكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سَحَرَك والله يا أبا الوليد بلسانه. فقال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم.

- ولما بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم ائتني.

فانطلق أخوه حتى قدم مكة وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاما ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني فيما أردت، فتزوّد وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة ليسمع منه، ثم أسلم رضي الله عنه.

- حدثنا العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله عن هذه الأبيات المفتراة قائلا: يجب أن تكون هذه الأبيات لتلميذ أو مبتدئ ضعيف في اللغة من أهل الحضر المخنثين عشاق الغلمان، فهي في ركاكة أسلوبها وعبارتها وضعف عربيتها وموضوعها بريئة من شعر العرب، لا سيما الجاهليين منهم، فكيف يصح أن تكون

لحامل لوائهم، وأبلغ بلغائهم، وهب أن امرأ القيس زير النساء كان يتغزل بالغلمان – وافرضه جدلا – ولكن هل يسهل عليك أن تقول: إن أشعر شعراء العرب صاحب (قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ) يقول:

أحــور قـــد حــرت في أوصـــافه   نـــاعس الطـــرف بعينيــه حـــور

وتضيق عليه اللغة فيكرر المعنى الواحد في البيت مرتين، فيقول: أحور بعينيه حور، أتصدق أن عربيًّا يقول: انشق القمر عن غزال، وهو لغو من القول؟ وما معنى: دنت الساعة في البيت؟ وأى عيد كان عند الجاهلية يمر فيه الغلمان متزينين؟ وهل يسمح لك ذوقك بأن تصدق أن امرأ القيس يقول: فرماني فتعاطى فعقر؟ وأي شيء تعاطى بعد الرمي، والتعاطي: التناول، وهل يقول امرؤ القيس: لحاظ فاتك؟ فيصف الجمع بالمفرد؟

وقال المهتدي بالله في هذه الأبيات:

- "دنت الساعة" معناها: "اقترب يوم القيامة"، هل كان الوثنيون يؤمنون بيوم القيامة؟... ليس هذا فحسب بل يسمونها بالساعة.

- معنى "ما أكفره" هل كان يعي الوثني معنى الكفر وهو (عدم الإيمان بالله ودين الإسلام)؟

- الواضح أن صاحب هذا الافتراء يطلق لعقله العنان ليفكر في كل شيء ويكون في حكمه ما يصل إليه، فمثلا هو لا يعرف شيئا من علوم البلاغة، ولكنه يسمح لعقله أن يحكم أن الشعر والقرآن شيء واحد، فليس بصحيح أن يقول الرجل الشعر ويقول الكلام العادي، وأسلوب القرآن وأسلوب الحديث نوعان من الكلام ليسا بالشعر بل من الكلام الذي يمكن تجاوزًا أن نقول نثرًا مثلا، كما أن الكلامين القرآن والحديث لم يختلط أسلوب حديث بأسلوب آية واحدة أبدًا، والشاعر عندما ينثر يشعر، هكذا قال أهل البلاغة، لأن أوزان الشعر تغلب على عقله وهو

يكتب. فترى نثره موزونًا ويقرب كثيرًا من الشعر الحر.

- القرآن يعلو ولا يُعلى عليه. فإذا رأينا صورة في أحد أبيات امرئ القيس. وقارنها بإحدى آيات القرآن كبلاغة وتصوير لعلمنا عظمة القرآن.

○ فها هو امرؤ القيس يقول:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا
كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

فهو هنا يصف حصانه وحركته. فحركة هذا الحصان أنه يكر ويفر ويقبل ويدبر وينحدر سريعا كما صخرة عظيمة تنحدر من شاهق يدفعها السيل فلا يستطيع أحد إيقاف اندفاعه. وحتى يكون البيت جميلا كان لا بد من الموسيقى المصاحبة للمشهد.

فجاء امرؤ القيس بكلمات تحاكي ركض الخيل. وأصلا اختار البحر العروضي الذي نظم البيت على أساسه موافقا لركض الخيل. فقال: **مكر... مفر... مقبل... مدبر**. ولو قرأتها محاولا أن تحاكي ركض الخيل لرأيتها كصوت حركة الحصان في جريه. فالبيت يعطيك الصورة الحية لحصان يركض في المعركة يكر ويفر ويقبل ويدبر في حركة واحدة مناورًا. وتلاحظ خلو البيت من الألوان. وخلوه من غير صورة واحدة هي صورة حركة الحصان يقبل ويدبر.

○ وها هي بعض آيات القرآن في نفس الموضوع. ولكن مع الفرق الهائل في القرآن والبلاغة. حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا**﴾.

ويقول: احص عدد كلمات البيت السابق تجدها عشرًا. وعدد كلمات هذه الآيات عشرًا. ولكن ماذا حوت كلمات هذه الآيات من طاقة بلاغية؟

- يقسم الحق سبحانه بالعاديات وهي الخيل التي تعدو منطلقة لساحة

المعركة. (ضبحا) والضَّبْح هو النَّفَس الحارّ الذي ينطلق من أنف الحصان وهو يركض مسرعًا. ولما كان الوقت صباحًا قبل أن تشرق الشمس وما في ذلك الوقت من برد الصباح كان يصاحب ركض الحصان البخار المتصاعد من فمه. وتحس هنا صورة حصان يركض وهو ضبح.

- **(فالموريات قدحا)** عندما يركض هذا الحصان أو هذه الخيل المنطلقة للمعركة تنقدح الأرض تحت حوافرها من شدة الركض وقوة الانطلاق فيتطاير الشرر من تحت أقدامها.

- **(فالمغيرات صبحا)** وقت إغارتها على العدو هو الصباح الباكر. وما فيه من عنصر المباغتة.

- **(فوسطن به جمعا)** أي توسطت جموع العدو وقت الصبح وباغتتهم.

فنجد فيما سبق صورة معركة كاملة من ألفها إلى يائها في عشر كلمات تثير الخيال لترى:

- **الألوان....** في الشرار المنقدح. والبخار المتصاعد من الخيل. والغبار.
- **الموسيقى....** ترى وقع الخيل وحركتها في فاصلة كل آية: (ضبحا.... قدحا.... صبحا... نقعا.... جمعا) ولو قرأتها كما ركض الخيل لرأيتها تحاكي ركض الخيل. بل إن كل آية تحاكي طريقة الحصان في الجري. ثم إن من الموسيقى أيضًا ائتلاف الكلمات وتناسقها الرهيب.

فنرى صورة فنية كاملة بالغة الروعة والدقة أيضًا. والتي رسمت لنا مشهدًا كاملًا بحركاته وتأثيراته وانفعالاته. فهذا هو القرآن!!

*** ادعاء:**

(ثانيا) ما أخذه محمد من كتب جهال المسيحية

١ - أصحاب الكهف أو السبعة النيام.......(سورة الكهف ١٨: ٨-٢٦)

تقولون: أخذ محمد عن كتاب مجد الشهداء تأليف غريغوريوس الكتاب الأول فصل ٩٥.

٢ - قصة نذر أم مريم العذراء إياها، وكفالة زكريا لها في الهيكل ومد الملائكة لها بالطعام.

(سورة آل عمران ٣: ٣١ و٣٢ و٣٨-٤٢)

تقولون: أخذ عن كتاب يروت يوأنجيليون إصحاح ٣ و٤ و٥ و٧ و٨ و١٩ و١١ و١٥

قصة نياح أبينا الشيخ النجار، فصل ٣. سيرة مريم

٣ - انتباذها من أهلها مكانًا شرقيًّا، وبشرى الملاك لها وانتباذها مكانًا قصيًّا، وتساقط جنى النخل بأمر وليدها. (سورة مريم ١٩: ٢٣ و٢٤)

تقولون: أخذ من كتاب "حكاية مولد مريم وطفولة المخلص" الفصل ٢٠

٤ - خلق المسيح للطيور من الطين.......... (سورة المائدة ٥: ١١٠)

تقولون: أخذ من كتاب يوناني اسمه بشارة هوما الإسرائيلي فصل ٢

٥ - إنكار صلب المسيح ووقوع شبهه على غيره وقت الصلب.... (سورة النساء ٤: ١٥٧)

تقولون: أنه كان حسب بدعة باسيليوس الذي قال إن المسيح ألقى شبهه على سمعان القيرواني فصُلب بدله لأن المسيح ليس له جسد حقيقي بل أخذ شبه جسد.

*** الرد:**

ولكم أقول: إنه من الواضح هنا أنكم تتحدثون عن رجل أفنى حياته في الاطلاع على كتب النصارى، لا عن رجل أمي لا يعرف القراءة والكتابة! ثم ألم تسألوا أنفسكم كم من الوقت يحتاج شخص لقراءة هذا الكم من الكتب وتحليلها

للخروج بنتائج مترابطة لا تضارب فيها؟ فالقراءة العابرة لا جدوى منها في هذه الحالة. بل الدراسة المتأنية للخروج بكتاب على هذا المستوى الأدبي والبلاغي. فأنا أعتقد أنه يحتاج الكثير من الوقت للخروج بعمل مبدع كالقرآن كما قررتم أنتم عنه من قبل حينما قلتم إن كتابة عمل كالقرآن غاية في الإبداع والبلاغة لهو بالأمر الوارد عند العرب. وقارنتم القرآن بالمعلقات وأشعار امرئ القيس وغيرها لتدللوا على وجود كتب تماثل القرآن في البلاغة والإبداع ولكن هيهات. فهذه المقارنة لصالح القرآن. فقول المولى سبحانه وتعالى لا يقارن بقول البشر.

ثم هل كان يفارق محمد أصحابه ودعوته منذ أن نزل عليه الوحي حتى يتأتى له كل هذا الوقت للدراسة والتفحيص والتمحيص في كتب النصارى؟ فالوارد عندنا أنه قد أفنى حياته في سبيل الدعوة. وهذا ما أقره التاريخ. كما يمتلئ القرآن بالمعجزات التي تجعل كونه كتابة بشرية ضرب من ضروب الاستحالة.

ولكم أقول: إنني قد أمضيت شهورًا طويلة وأنا أقرأ في كتابكم المقدس. منفرغة لهذا العمل تمامًا. قارئة للنسخة التي تعترفون بها. إضافة إلى النسخة المترجمة عن الإنجليزية التي هي بدورها مترجمة عن اليونانية. وأقول لكم: يا له من عمل مرهق يحتاج إلى وقت طويل وتفرغ كامل لإنجازه. ولكنكم جعلتم من محمد قارئًا للأناجيل المعترف بها لديكم وغير المعترف بها أيضًا. فضلا عن العدد الهائل من الكتب التي زعمتم أنه نقل عنها. فأين الوقت لهذا كله؟ وإذا كان محمد يعرف العربية فهل كان يعرف العبرية واليونانية وغيرها من اللغات المختلفة؟

وإنني أجد فيما أوردتموه سابقًا من قصص زعمتم أن محمدًا قد نقلها عن كتبكم أنه انتصار عظيم للقرآن. فكل القصص التي زعمتم أن محمدًا قد نقلها عنكم هي نفسها عين القصص التي اتهمتموه باختلافها في مواطن أخرى كثيرة. مستندين في ذلك إلى أنه لم يَرِد لها ذكر في كتابكم المقدس. وإذا أتينا إلى مجملها

سنجدها ترقي المسيح وتذكر لنا أحداثًا لصالحه وليست ضده. كخلقه الطيور من الطين والذى ذكره القرآن وذكرته بعض كتبكم كما ذكرتم آنفا. وما ذكره باسيليوس عن عدم صلب المسيح وإلقاء شبهه على سمعان القيرواني. هذا إذا تجاوزنا عن خطأ باسيليوس في تحديد الشخص الذي صلب عن المسيح. فمن صلب عن المسيح هو يهوذا وليس سمعان. ولكنكم تدّعون أن محمدًا مدعي نبوة وأنه مَن كتب القرآن بنفسه ولم يوحَ إليه. فما هو الداعي الذي يجعل من مدعي نبوة يذكر أعمالًا لصالح المسيح لم تُورِدُوها أنتم في كتبكم التي تعترفون بها. أمَا كان من المنطق أن يكتفي بما ورد في كتابكم المقدس الذي تعترفون به؟

كما أني أقول لكم: إن إحراقكم الكثير من الأناجيل التي كانت تتحدث عن نفس الأحداث السابقة يعنى وجود هذه الأحداث كحقيقة واردة عند البعض. وليس معنى اختياركم لأناجيلكم التي بين أيديكم الآن من بين عشرات الأناجيل التي أحرقتموها أن هذه الأناجيل هي الأناجيل الصحيحة.

كما أن كل ما ورد في الكتب التي ذكرتموها سابقا يتفق مع ما ورد في إنجيل برنابا، والذي تنكرونه بحجة أن به ما يرفضه المسلمون والنصارى على حد سواء. ولكنني أقول لكم: إذا كنا ننكر بعض ما جاء في إنجيل برنابا والذي قد يختلف اختلافات طفيفة عما جاء بالقرآن. فإننا ننكر بعض ما جاء بأناجيلكم التي بين أيديكم أيضًا. وقد يرجع هذا الاختلاف إلى طول الفترة الزمنية التي استغرقت قبل كتابة هذه الأناجيل. سواء الأناجيل التي بين أيديكم أو إنجيل برنابا. فإذا حدث تساوٍ في إنكارنا لبعض ما ورد عندكم في أناجيلكم التي تعترفون بها، وإنكارنا لبعض ما ورد في إنجيل برنابا، فإن تطابق الأحداث التي وردت في الكتب التي ذكرتموها آنفا والأحداث التي في إنجيل برنابا يدعم مبدأ تواجد هذه القصص كحقيقة معترف بها في زمن المسيح من قِبَل بعض النصارى على الأقل. وهو الأمر الذي يجعلنا ننكر عليكم رفضكم لهذه القصص في القرآن الكريم.

وتقولون أن الروح القدس هي التي أوحت بكتابة الأناجيل الأربعة التي بين أيديكم، ولكننا نجد بها من التضارب ما يجعلنا نجزم بعدم مصداقية هذا القول، ويجعل من الصعوبة اعتبارها موحى بها. ثم ماذا عن إنجيل برنابا والأناجيل الأخرى؟ هل أخبرتكم الروح القدس بأن إنجيل برنابا والأناجيل التي أحرقت قبل مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم كانت هي الأناجيل الخاطئة، أم أنها اقتراحاتكم الشخصية؟!

وأخيرًا أقول لكم: هنيئًا للقرآن هذا الانتصار، فما أوردتموه سابقا يعني وقوع القصة بالفعل لورودها عندكم في أكثر من كتاب، وإن زعمتم أن أصحابها من جهال المسيحيين، فالله وحده هو الذي يعلم من هو الجاهل.

فقد أجهدتم أنفسكم من أجلنا، فما ذكرتموه هو لنا لا علينا، فمحمد أمي لا يعرف القراءة والكتابة، وإذا قلتم أن غيره علّمه هذا، فلكم أقول: لو كان عندي هذا الكم من المعلومات لن أعطيه لغيري لأصبح أنا في منطقة الظل ويصبح هو في منطقة الضوء، فقياسات العقل والمنطق تنكر ادعاءاتكم.

* ادعاء

(ثالثا) ما أخذه محمد عن بحيرا الراهب المسيحي:

تقولون: أخذ محمد أصول وقوانين الإسلام وفلسفة الدين بأكمله من بحيرا الراهب المسيحي في أثناء سفره إلى الشام.

* الرد:

ويجيبنا على هذا دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم في كتابه "هجمات مغرضة على التاريخ الإسلامي" حيث يقول: يذكر النصارى قصة الراهب بحيرا بطريقة أو بأخرى حتى يتمكنوا من إثبات أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تعلم جميع أصول وقوانين الإسلام وفلسفة الدين بأكملها من راهب مسيحي أثناء سفره وعبوره إلى الشام.

كما أن المستشرقين الذين ادعوا تحليلها ونقدها لا يقولون فقط بصحة هذه القصة، بل يعتبرونها القصة الوحيدة التي تشير إلى نبوءة البعثة النبوية قبل وقوعها بحوالى ٢٨ سنة تقريبًا. وهكذا يجعلون الإسلام في صورة المستفيد من المسيحية في تشكيل الدين.

ولم تتبادر حقيقة هامة في أذهانهم: كيف أن صبيًّا عمره ١٢ سنة لم يتلق أي تعليم نظامي يمكن أن يفهم بعقليته البسيطة الأصول الفلسفية للدين وقواعد فكره العالمية وأصوله المعقدة؟ ثم أليس هناك تضاد ظاهر في القول؟ فالمسيحية التي راجت آنذاك في الشام ومصر كم كانت مختلفة عن الإسلام من ناحية العقائد والأصول. بل إن تصور الدين والعقيدة في المسيحية والإسلام تصور مختلف ومنفصل تماما كما اعترف بهذا "مونتجمري وات" والمستشرقون الآخرون.

وها هو النجاشي إمبراطور الحبشة المسيحي الذي سمع خطاب جعفر بن أبي طالب ممثل المهاجرين المسلمين لم يصدق فقط برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، بل إنه حين سمع الآيات القرآنية التي نزلت في سورة مريم في حق عيسى عليه السلام قال: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة.

وها هو عالم المدينة المنورة اليهودي عبد الله بن سلام اعترف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أول لقاء به، وقرر أن رسالته إنما هي مكملة ومتممة لنبوة وشريعة موسى عليه السلام.

*** ادعاء**

(رابعا): ما أخذه من كتب جهّال اليهود

وتقولون: هاكم جدولًا بالموضوعات التي انتحلها محمد ومكانها في القرآن ومكانها في المؤلفات اليهودية التي أخذ عنها:

١ - تعلّم قابين من الغراب كيفية دفن أخيه. (سورة المائدة ٥: ٣٠-٣٥).

كتاب فرقي ربي أليعزر فصل ٢١.

٢- طرح نمرود لإبراهيم في النار وعدم مقدرة النار على إحراقه (سورة البقرة ٢: ٢٦٠).

مدراس رباه فصل ١٤ في تفسير تك ١٥: ١٧.

٣ - اجتماع سليمان الملك بمجلسه المكون من الجن والعفاريت والطيور وإخبار الهدهد عن ملكة سبأ وكيفية إحضار عرشها لسليمان (سورة النمل ٢٧: ١٧-٤٥).

الترجوم الثاني عن كتاب أستير.

٤ - تركيب الشهوة في الملاكين هاروت وماروت وارتكابهما شرب الخمر والزنا والقتل وتعليم الناس السحر. (سورة البقرة ٢: ٩٦).

مدراس يلكوت الفصل ٤٤.

٥ - رفع الجبل فوق رءوس اليهود (سورة الأعراف ٧: ١٧٠).

عبوداه زاراه الفصل الثاني.

٦ - العجل الذهبي ذو الخوار. (سورة طه ٢٠: ٩١).

كتاب فرقى ربي ألعازار فصل ٤٥.

٧ - وجود سبع سموات وسبعة أبواب لجهنم. (سورة الإسراء ١٧: ٤٦ و٨٨).

حكيكاه باب ٩ فصل ٢ وكتاب ذوهر فصل ٢.

٨ - كان عرشه على الماء. (سورة هود ١١: ٩).

تفسير راشي في تك ١: ٢.

٩ - الأعراف وهو الحجاب الرقيق بين الجنة والنار. (سورة الأعراف ٧: ٤٤).

مدراس تفسير جامعة ٧: ١٤.

١٠ - كان الطوفان من الماء المغلي. (سورة هود ١١: ٤٢).

كتاب روش هشاناه فصل ١٦: ٢ سنهدرين فصل ١٠٨.

١١ - اللوح المحفوظ (سورة البروج ٨٥: ٢١ و٢٢).

فرقي ابوت باب ٥ فصل ٦ رابع.

*** الرد:**

ولكم أقول: هل إذا وجدت قصة حدثت بالفعل ورويتها أنت، ثم رويتها أنا، ثم رواها آخرون، فهل من الطبيعي أن يرويها كل منا بتفاصيل مختلفة أو أحداث مختلفة حتى تكون غير منقولة عن الآخر؟!

أم أن البديهي أن يرويها الجميع كما وقعت بالفعل، وأن يكون المسموح به هو اختلاف في طريقة الصياغة، أو اختلاف في الأسلوب فقط، وهو ما يميز كاتبًا عن كاتب ويعطيه صفته وشكله وإثاره الأدبي، أما إذا سرد القصة وأضاف أحداثًا، أو حذف أحداثًا لم تحدث، فإن هذا يحسب ضده لا له طالما أنها قصة واقعية.

فوجود هذه القصص في كتب اليهود هو للقرآن لا عليه، فطالما أن هذه القصص حدثت بالفعل فكان لا بد أن تَرِد في القرآن كما هي عندكم، إيمانا منا بعدم التحريف الكامل لكتبكم، فنحن نؤمن بكونها كتبًا سماوية ولكن نالتها يد التحريف والتعديل، سواء بالإضافة أو الحذف.

أما بشأن قولكم أنهم جهّال اليهود، فهذا لأنكم وجدتم أن ما ذكرته كتبهم جاءت متفقة مع ما جاء في القرآن وهذا ما لا تبغونه، فكان لا بد أن يكونوا هم الجهال.

ثم هل تعتقدون كم من الوقت يحتاج رجل لدراسة كل هذا الكم من الكتب التي

ادعيتم أن محمدًا نقل عنها، سواء كتب مسيحية أو يهودية أو الإنجيل والتوراة، أو ما قلتم من كتب العرب أو اليونان أو تفاسير مسيحية أو يهودية.... إلخ؟ إنه يحتاج إلى عمر إلى جوار عمره إذا كان متعلمًا ومثقفًا، فما بالكم لو كان أميًّا لا يعرف القراءة والكتابة، ثم أين الوقت لمحمد ليفعل ذلك وقد كانت حياته ما بين الدعوة والغزوات وتربية أبنائه وأبناء الأمة.... فهل من بينكم رجل رشيد؟!

وإذا افترضنا جدلا أن سلمان الفارسي هو الذي أملى عليه القرآن، فما الذي يجبر سلمان الفارسي أن يعطي مجهوده لغيره، وخاصة حينما يجده يسطع نجمه في كل يوم وليلة - وهذا يختلف مع الطبيعة البشرية التي فيها الغيرة والحسد - هذا إذا كان الشخص هو مَن حقق نجاحه بنفسه، فما بالكم لو أن هناك رجلًا منحه هذا النجاح، فهل كان سلمان على هذا القدر من المثالية والإيثار، فوالله لو كان هذا لكان أقدر بأن يكون نبي الأمة من الرجل الذي قَبِلَ أن يأخذ أفكار غيره... فهل من بينكم رجل رشيد؟!

وقد اعتدنا أن دولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة، فلو كان محمد مدعي نبوة وظالمًا لأنبياء الله موسى وعيسى بادعائه للنبوة، لخبى ضوءه، ولما كان دينه حتى يومنا هذا، فهذه سنة كونية... فهل من بينكم رجل رشيد؟!

* ادعاء

(خامسًا): ما أخذه من أقوال عمر بن الخطاب

وتقولون:

١ - كان لعمر بن الخطاب أرض بأعلى المدينة، وكان ممرّه عليها على مدراس اليهود، فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم، فقالوا يومًا: ما في أصحاب محمد أحب إلينا منك وإنَّا لنطمع فيك، فقال عمر: والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لأني شاكٌّ في ديني، وإنما أدخل إليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد، فقالوا: مَن صاحب

محمد الذي يأتيه من الملائكة؟ قال: جبريل. قالوا: ذلك عدونا. فقال عمر: مَن كان عدو اللّه وملائكته ورسُله وجبريلَ وميكال، فإنَّ اللّه عدُوُّه.

فلما سمع محمد بذلك قال: هكذا نزلت، وأوردها في قرآنه في سورة البقرة ٢: ٩٨. وقال محمد لعمر: لقد وافقك ربك يا عمر.

ونحن نسأل: أليس الأصحّ أن يقول محمد: إن عمرًا وافق ربه لا العكس؟ والأغرب من هذا أن محمدًا ينتحل أقوال عمر ويقول: إنها هكذا نزلت! وفي هذه الحالة: هل يُعتبر عمر نبيًّا يوحى إليه؟ أم أن محمدًا انتحل أقوال غيره وقال إنها وحي؟

٢ – روى البخاري وغيره عن عمر أنه قال: وافقت ربي في ثلاث: قلت: يا رسول اللّه، لو اتَّخذت من مقام إبراهيم مُصلًّى؟ فأخذها من لسانه وأوردها في قرآنه بأن قال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (سورة البقرة ٢: ١٢٥). وقلت: يا رسول اللّه، إن نساءك يدخل عليهن البَر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن. فأخذها محمد من لسان عمر وأوردها في سورة الأحزاب ٣٣: ٥٣. واجتمع على محمد نساؤه في الغيرة فقال عمر لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن. فأخذها محمد بنصها وأوردها في سورة التحريم ٦٦: ٥. فهل يؤخذ كلام اللّه مِن أفواه الناس؟

الرد:

(١) ولكم أقول: حتى متى ستختلقون الحكايات الكاذبة التي هي من نسج خيالكم فحسب؟ فقد وردت عدة روايات بشأن هذه الآية، ولكنها لم تكن على هذا النحو على الإطلاق. فالروايتان المذكورتان في مختصر التفسير لابن كثير لتوضيح أسباب نزول هذه الآية والتي كان عمر طرف فيها، نصت على أن محمدًا صلى اللّه عليه وسلم هو الذي أخبر عمر بالآية قبل أن يتفوه بها، وإليكم إحداهن.

يقول البعض أن سبب نزول هذه الآية كان من أجل مناظرة جرت بينهم وبين

عمر بن الخطاب في أمر النبي صلى اللّه عليه وسلم، قال عمر: كنت أشهد اليوم يوم مدراسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن، ومن القرآن كيف يصدق التوراة، فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا: يا ابن الخطاب، ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك، (قلت) ولم ذلك؟ قالوا: لأنك تغشانا وتأتينا، فقلت: إني آتيكم فأعجب من القرآن كيف يصدق التوراة، ومن التوراة كيف تصدق القرآن، قالوا: ومر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقالوا: يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم فالحق به، قال: فقلت لهم عند ذلك: نشدتكم باللّه الذي لا إله إلا هو وما استرعاكم من حقه وما استودعكم من كتابه، هل تعلمون أنه رسول اللّه؟ قال: فسكتوا، فقال لهم عالمهم وكبيرهم: إنه قد غلظ عليكم فأجيبوه، قالوا: فأنت عالمنا وكبيرنا فأجبه أنت، قال: أما إذا نشدتنا فإنا نعلم أنه رسول اللّه، قلت: ويحكم إذًا هلكتم، قالوا: إنا لم نهلك، قلت: كيف ذلك وأنتم تعلمون أنه رسول اللّه ولا تتبعونه ولا تصدقونه!! قالوا: إن لنا عدوًّا من الملائكة، وسِلْمًا من الملائكة، وإنه قرن بنبوته عدونا من الملائكة، قلت: ومَن عدوكم ومن سِلْمُكم؟ قالوا: عدونا جبريل، وسلمنا ميكائيل، قالوا: إن جبريل ملك الفظاظة، والغلظة، والإعسار، والتشديد، والعذاب، ونحو هذا، وإن ميكائيل ملك الرحمة والرأفة والتخفيف، ونحو هذا، قال، قلت: وما منزلتهما من ربهما سبحانه وتعالى؟ قالوا: أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، قال: فقلت: فوالذي لا إله إلا هو إنهما – والذى بينهما – لعدو لمن عاداهما وسِلْم لمن سالمهما، وما ينبغي لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل، وما ينبغي لميكائيل أن يسالم عدو جبريل، قال: ثم قمت فاتبعت النبي صلى اللّه عليه وسلم، فلحقته وهو خارج من خوخة لبني فلان، فقال: "يا ابن الخطاب، ألا أقرئك آيات نزلن قبل؟"، فقرأ علي: ﴿من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن اللّه﴾، حتى قرأ الآيات، قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه، والذي بعثك بالحق لقد جئت أنا أريد أن أخبرك وأنا أسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر.

وهذه هي القصة كما وردت. فهلا أفصحت عن المكان الذي أتيت منه بروايتك المختلقة؟

والرواية السابقة إن دلّت على شيء فإنها تدل على وافر علم اللّه وإحاطته بكل ما يدور في كل مجلس، حتى أنه يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء، كما تدل على أن القرآن نزل في المواقف مُعَلِّمًا وهاديًا.

أما بشأن القول الآخر والرواية الأخرى فقد أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: سمع (عبد اللّه بن سلام) بمقدم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو في أرض يخترف، فأتى النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟

قال: "أخبرني بهذه جبرائيل آنفا". قال: جبريل؟ قال: "نعم". قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقرأ هذه الآية: "(من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك). وأما أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت". قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه، يا رسول اللّه، إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني. فجاءت اليهود، فقال لهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "أي رجل عبد اللّه بن سلام فيكم؟". قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا. قال: "أرأيتم إن أسلم". قالوا: أعاذه اللّه من ذلك. فخرج عبد اللّه فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدًا رسول اللّه، فقالوا: هو شرنا وابن شرنا. وانتقصوه. فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول اللّه.

(٢) أما بشأن ما ذكرتموه في سؤالكم الثاني، فلكم أقول: إن حجة العقل والمنطق تقول أن الكثير من آيات القرآن قد نزلت في مناسبات. وليس معنى اتفاق مشيئة اللّه بما قاله عمر يعني أن اللّه قد أخذه عن عمر، فحاشا للّه. فقد قال الرسول صلى

اللّه عليه وسلم: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم". وهذا دالّ على رجاحة عقولهم مما قد يوافق الحكمة والمشيئة الإلهية. فهم يتمتعون بالفطرة السليمة التي فطر اللّه عليها البشر. غير أن عمر نفسه لم يقل أن القرآن أخذ عنه ولكنه قال: وافقت ربي. ولو رأى عمر غير هذا - ذلك الرجل الذي كان يوما من أشد أعداء الإسلام – لما استمر على دين الإسلام ولما أمتعنا بكونه ثاني الخلفاء الراشدين. ذلك الرجل الذي من فرط إجلاله وحبه للنبي صلى اللّه عليه وسلم لمّا سمع بوفاته صلى اللّه عليه وسلم أنكرها واستنكرها. وقال: حتى خطبنا أبو بكر خطبته الشهيرة: "من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات. ومن كان يعبد اللّه فإن اللّه حي لا يموت". وقتها فقط تأكد عمر يقينا بموت محمد صلى اللّه عليه وسلم. فبكاه بكاءً تَرِقّ له القلوب.

الكلام المتشابه

* ادعاء

س: جاء في سورة آل عمران ٣: ٧ (فَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَا بْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا).

وتقولون: اعترف القرآن أن به آيات محكمات لا تقبل الصرف عن ظاهرها ولا الذهاب في محتملاتها مذاهب شتى. كما قال إن به آيات متشابهات لا يتضح معناها لأنها مجملة أو غير موافقة للظاهر إلا بتدقيق الفكر. وما يعلم تأويلها إلا اللّه. وأن على أشد الناس رسوخًا في العلم أن يسلّموا بها تسليمًا أعمى.

ونحن نسأل: أليس وجود هذه المتشابهات نقصًا في البلاغة والإحكام؟ فكيف نتأكد ما لا يعلم تأويله إلا اللّه؟ قال الإنجيل: امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالحَسَنِ

(١ تسالونيكي ٥: ٢)). فهل يحتمل القرآن الامتحان؟

*** الرد:**

ولكم أقول: لا يحتمل القرآن الامتحان، وهذا ما أوضحه لنا فضيلة الإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسيره لهذه الآية في مجلده الثاني من تفسير الشعراوي.

وقبل أن نستطرد في تفسير الشعراوي للآية فسأكتب لكم الآية (٧) كاملة ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَا بْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وما يذكر إلا أولو الألباب**﴾، وقد قال فضيلة الشيخ: ماذا يعني الحق بقوله ﴿**آيات محكمات**﴾؟ إن الشيء المحكم هو الذي لا يتسرب إليه خلل ولا فساد في الفهم؛ لأنه محكم، وهذه الآيات المحكمة هي النصوص التي لا يختلف فيها الناس، فعندما يقول: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ (الآية "٣٨ " سورة المائدة).

﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما**﴾ (الآية " ٢ " - سورة النور).

هذه الآيات هي آيات محكمة، أي آيات تتضمن حكمًا واضحًا لا تختلف فيه الأفهام؛ لأن النص فيه واضح وصريح ولا يحتمل سواه، و "المتشابه" هو الذي نتعب في فهم المراد منه، وما دمنا سنتعب في فهم المراد منه فلماذا أنزله؟

ويوضح لنا سبحانه - كما قلت لك - خذ الشيء مع حكمته كي تعرف لماذا نزل، "فالمحكم" جاء للأحكام المطلوبة من الخلق، أي افعل كذا ولا تفعل كذا، وما دامت أفعالا مطلوبة من الخلق فالذي فعلها يثاب عليها، والذى لم يفعلها يعاقب، إذن فسيترتب عليها ثواب وعقاب، فيأتي بها في صورة واضحة وإلا لقال واحد: "أنا لم أفهم". إن الأحكام تقول لك: "افعل كذا ولا تفعل كذا". وأنت مخير بالطبع في

القرار حتى تستحق الثواب أو العقاب بإرادتك الحرة وأنت في كامل وعيك وبمحض اختيارك.

أما "المتشابه" فمثل ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** (١٠٣)﴾ (سورة الأنعام). فنرى أن ذلك هو كلام عام. وفي آية أخرى يقول سبحانه ﴿**وجوه يومئذ ناضرة** (٢٢) **إلى ربها ناظرة** (٢٣)﴾ (سورة القيامة). ويتكلم عن الكفار فيقول: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجبون** (١٥)﴾ (المطففين)

إذن فالعقل منشغل بقوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾. وهذا يحدث في الدنيا. أما في الآخرة فسيكون الإنسان قد تم إعداده إعدادًا آخر ليرى الله. ونحن الآن في هذه الدنيا بالطريقة التي أعدنا بها الله لنحيا في هذا العالم لا نستطيع أن نرى الله. ومسألة إعداد شيء يمارس مهمة ليس مؤهلا ولا مهيأ لها الآن أمر موجود في دنيانا. فنحن نعرف أن إنسانا أعمى يتم إجراء جراحة له أو يتم صناعة نظارة طبية فيرى. ومن لا يسمع أو ثقيل السمع نصنع له سماعة فيسمع بها.

فإذا كان البشر قد استطاعوا أن يعدوا بقدوراتهم في الكون المادي أشياء لتؤهلهم إلى استعادة حاسة ما. فما بالنا بالخالق الكريم. الإله المربي. ألا يستطيع أن يعيد خلقنا في الآخرة بطريقة تتيح لنا أن نرى ذاته ووجهه؟! إنه لقادر على كل شيء.

وما سبق من الآيات يعد من المتشابهات التي لم تأت من أجل الأحكام. إنما هي قد جاءت من أجل الإيمان فقط. ولذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم ينهي كل خلاف للعلماء حول هذه المسألة بقوله وهو الرسول الخاتم: "**إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا. فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به**".

"**فالمتشابه**" من الآيات قد جاء للإيمان به. "**والمحكم**" من الآيات إنما جاء للعمل به. والمؤمن عليه دائما أن يرد المتشابه إلى المحكم. مثال ذلك عندما نسمع قول الله

سبحانه وتعالى: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه. فمن أوفى بما عهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما (١٠)﴾**.

إن الإنسان قد يتساءل: هل لله يد؟ على الإنسان أن يرد ذلك إلى نطاق الآية **﴿ليس كمثله شيء﴾**، وعندما يسمع المؤمن قول الحق: **﴿الرحمن على العرش استوى (٥)﴾** (سورة طه)، فهل لله جسم يستقر به على عرش؟ هنا نقول: هذا هو المتشابه الذي يجب على المؤمن الإيمان به، ذلك أن وجودك أيها الإنسان ليس كوجود الله، ويدك ليست كيد الله، وأن استواءك أيضا ليس كاستواء الله، وما دام وجوده سبحانه ليس كوجودك، وحياته ليست كحياتك، فلماذا تريد أن تكون يده كيدك؟

هو كما قال عن نفسه: **﴿ليس كمثله شيء﴾**، ولماذا أدخلنا الله إلى تلك المجالات؟ لأن الله يريد أن يلفت خلقه إلى أشياء قد لا تستقيم في العقول، فمن يتسع ظنه إلى أن يئول ويردها إلى المحكم بأن الله **ليس كمثله شيء**، فله ذلك، ومن يتسع ظنه ويقول: أنا آمنت بأن لله يدًا ولكن في إطار ﴿ليس كمثله شيء﴾ فله ذلك أيضا، وهذا أسلم.

ولماذا قال الحق: **﴿هن أم الكتاب﴾** ولم يقل: هن أمهات الكتاب؟ لك أن تعرف أيها المؤمن أنه ليس كل واحدة منهن أمًّا، ولكن مجموعها هو الأم، ولتوضيح ذلك فلنسمع قول الحق: **﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وءاوينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين (٥٠)﴾**. (سورة المؤمنون).

ولم يقل الحق: أنهما آيتان؛ لأن عيسى عليه السلام لم يوجد كآية إلا بميلاده من أمه دون أب، فكلاهما معا يكونان الآية – وكذلك هن أم الكتاب، **"وأخر متشابهات"** فالمقصود بها ليس كل محكم أمًّا للكتاب، إنما المحكمات كلها هي الأم، والأصل الذي يرد إليه المؤمن أي متشابه. ومهمة المحكم أن نعمل به، ومهمة المتشابه أن نؤمن به، بدليل أنك إن تصورته على أي وجه لا يؤثر في عملك. فقول الحق: **﴿لا تدركه**

الأبصار﴾ لا يترتب عليه أي حكم، وهنا يكفي الإيمان فقط. **﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾**. فالميل صنعة القلب، فالإنسان قد يخضع منطقه وفكره ليخدم ميل قلبه، ولذلك فرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: "**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**".

لماذا؟ لأن آفة الرأي الهوى، أما القصد السليم فأمر فطري لا يرهق، ومثال ذلك: عندما يذهب واحد لإحضار شيء من منزله، فإنه لا يحس بتضارب ملكاته، أما إذا ذهب إنسان آخر لسرقة هذا الشيء فإن ملكاته تتضارب، وكذلك جوارحه؛ لأنها خالفت منطق الحق والاستقامة والواقع، لذلك فالإيمان هو اطمئنان ملكات، إنهم يبتغون الفتنة بالمتشابه، ويبتغون تأويله، ومعنى التأويل هو الرجوع، لأننا نقول: "آل الشيء إلى كذا"، أي: رجع الشيء إلى كذا، فكأن شيئا يرجع إلى شيء، فمن لهم عقل لا زيغ فيه يحاولون جاهدين أن يئولوا المتشابه ويردوه إلى المحكم أو يؤمنوا به كما هو، ونجد أن فضيلة الإمام قد أوضح وأبان الآية بطريقة رائعة كما عودنا دائما.

ولكم أقول: إن التأويل شيمة من بهم زيغ، والتأويل هو الانحراف عن المعنى الحقيقي للكلام، فحينما يقول شخص مقولة يعني بها شيئًا ما، ويفهمها الآخر فهمًا خاطئًا، يقول له: "لا تئول الكلام"، أي: لا تحرفه عن معناه الحقيقي الذي قصدته وعمدت إليه.

والسؤال الآن: هل وضع اللّه هذه المتشابهات ليحيرنا؟

يجيبنا عن ذلك أيضا الشيخ الشعراوي، حيث يقول: إن اللّه قد أتى بهذه المتشابهات حتى يأخذ العقل القدر الكافي من النشاط ليستقبل العقل العقائد بما يريده اللّه، ويستقبل الأحكام بما يريده اللّه، فيريد منك في العقائد أن تؤمن، وفي الأحكام أن تفعل. ﴿وما يعلم تأويله إلا اللّه﴾، والذين في قلبهم زيغ يحاولون التأويل وتحكمهم أهواؤهم، فلا يصلون إلى الحقيقة، والتأويل الحقيقي لا يعلمه إلا اللّه،

والحق يريد أن نؤمن به وهو الآمر. ولو أن كل شيء صار مفهومًا لما صارت هناك قيمة للإيمان. إنما عظمة الإيمان في تنفيذ بعض الأحكام وحكمتها غائبة عنك؛ لأنك إن قمت بكل شيء وأنت تفهم حكمته فأنت مؤمن بالحكمة ولست مؤمنًا بمن أصدر الأمر.

وعندما نأتي إلى "لحم الخنزير" الذي حرّمه اللّه من أربعة عشر قرنًا. ويظهر في العصر الحديث أن في أكل لحم الخنزير مضار. ويمتنع الناس عن أكله لأن فيه مضار فهل امتناع هؤلاء أمر يثابون عليه؟ بالطبع لا. لكن الثواب يكون لمن امتنع عن أكل لحم الخنزير؛ لأن اللّه قد حرمه. ولأن الأمر قد صدر من اللّه. فالعبد الممتنع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر امتثالا لأمر اللّه هو الذي ينال الثواب. أما الذي يمتنع خوفًا من اهتراء الكبد أو الإصابة بالمرض فلا ثواب له. وهناك فرق بين الذهاب إلى الحكم بالعلة. وبين الذهاب إلى الحكم بالطاعة للأمر بالحكم. فالمتشابه نزل للإيمان به لحكمة يريدها اللّه سبحانه وتعالى. وهي أن نأخذ الأمر من الآمر لا لحكمة الأمر. وعندما نأخذ الأوامر من الحق فلا نسأل عن علتها؛ لأننا نأخذها من خالق محب حكيم عادل. والإنسان إن لم ينفذ الأمر القادم من اللّه إلا إذا علم علته وحكمته فإننا نقول لهذا الإنسان أنت لا تؤمن باللّه ولكنك تؤمن بالعلة والحكمة. والمؤمن الحق هو من يؤمن بالآمر وإن لم يفهم.

﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾. المحكم من عند ربنا والمتشابه من عند ربنا.

ويضيف سبحانه ﴿**وما يذكر إلا أولو الألباب**﴾. وأولو الألباب أي أصحاب العقول المحفوظة من الهوى؛ لأن آفة الرأي الهوى.

الكلام الغريب

*** ادعاء**

تقولون: إن في القرآن كثيرًا من الكلمات الغريبة

*** الرد:**

ولكم أقول: من منا يفهم كل ما يقرأ، أو يعرف كل شيء عن كل شيء، فدرجة الفهم اللغوي تتوقف على درجة الثقافة والمعرفة والإلمام بمفردات اللغة، ولا أدَلّ على ذلك من بعض القصائد الجاهلية التي تعج بالعديد من المفردات اللغوية التي يند فهمها إلا من قِبَل المتعمق في اللغة وعلى إلمام كامل بمفرداتها، فليس معنى جهلنا ببعض الكلمات أن نعيب هذا على القرآن، إنما يعاب في ذلك على لغتنا ومستوى ثقافتنا، فنحن نعيب القرآن والعيب فينا.

وإليكم معاني الكلمات التي تقولون عنها أنها غريبة والتى قمت باستخراجها من مختصر التفسير لابن كثير في شرحه للكلمات المشار إليها في السور وهي:

﴿فاكهة وأبًّا﴾ (سورة عبس ٨٠: ٣١)

(الفاكهة)... هي كل ما يتفكه به من الثمار، وقال ابن عباس: كل ما أُكِلَ رطبًا... و(الأبّ) ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس وهو الكلأ والعشب والحشيش للبهائم.

﴿غِسْلِين﴾.. (سورة الحاقة ٦٩: ٣٦)

(الغسلين).. هو أشَرّ طعام أهل النار.

﴿وحنانًا﴾.. (سورة مريم ١٩: ١٢)

قال ابن عباس: (حنانا).... أي رحمة ومحبة وتعظيمًا.

﴿الرقيم﴾.. (سورة الكهف ١٨: ٩)

(الرقيم).... هو وادٍ قريب من أيلة. وقال الضحاك: أما (الكهف) فهو غار الوادي، و(الرقيم) اسم الوادي.

﴿كلالة﴾... (سورة النساء ٤: ١٢)

(كلالة).... أي لا ولد له ولا والد.... وفقًا لأبي بكر والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف.

﴿مُبلسون﴾... (سورة المؤمنون ٢٣: ٧٧)

(مبلسون).... أي آيسون من كل راحة، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم.

﴿حنيذ﴾... (سورة هود ١١: ٦٩)

(حنيذ)..... أي عجل مشوي على الرضف، وهي الحجارة المُحَمَّاة.

﴿حصحص﴾.. (سورة يوسف ١٢: ٥١)

(حصحص)..... حصحص الحق، أي تبين الحق وظهر.

﴿تفيؤا﴾.. (سورة النحل ١٦: ٤٨)

(تفيؤا).... كل ما له ظل يتفيأ، وقال مجاهد: سجود كل شيء فيؤه، وأمواج البحر صلاته.

﴿سريا﴾.. (سورة مريم ١٩: ٢٤)

(سريا)..... عن البراء بن عازب، وعن ابن عباس: (السري: النهر)، وقال الضحاك: هو النهر الصغير بالسريانية، والجدول بلغة أهل الحجاز.

﴿المسجور﴾.. (سورة الطور ٥٢: ٦)

(المسجور)... المقصود أنه يوقد البحر نارًا يوم القيامة كقوله: ﴿إذا البحار سُجِّرَت﴾، أي: أضرمت فتصير نارًا تتأجج محيطة بأهل الموقف.

(قمطريرا)... (سورة الإنسان ٧٦: ١٠)

(القمطرير).... هو الشديد، حيث يقال: هو يوم قمطرير ويوم قمطار، ويوم عصيب وعصبصب.

(عسعس).. (سورة التكوير ٨١: ١٧)

(عسعس).... أي: أقبل، وقال المولى بعدها (والصبح إذا تنفس) أي: أضاء، فقد أقسم اللّه بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق.

(سجيل).. (سورة هود ١١: ٨٢)

(السجيل).... هو الشديد الكبير، وسجيل وسجين اللام والنون أختان.

(الناقور).. (سورة المدثر ٧٤: ٨)

(الناقور).... هو الصور، وقال مجاهد: وهو كهيئة القرن، وفي الحديث: "كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟".

(فاقرة).. (سورة القيامة ٧٥: ٢٥)

(الفاقرة) أي: الداهية، وقال قتادة: شر.

(إستبرق).. (سورة الرحمن ٥٥: ٥٤)

(الإستبرق).... هو ما غَلُظ من الديباج، وقيل: الديباج المُزَيَّن بالذهب.

(مدهامتان).. (سورة الرحمن ٥٥: ٦٤)

(مدهامتان).... أي خضراوان، وقال محمد بن كعب: ممتلئتان من الخضرة، وقال قتادة: خضراوان من الرِّيّ ناعمتان.

(أخبتوا إلى ربهم).. (هود ١١: ٢٣)

(أخبتوا إلى ربهم).... أي اطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع، من الخبت وهي الأرض المطمئنة.

وتقولون: قرأ عمر بن الخطاب على المنبر {وفاكهة وأبًا} فقال: هذه الفاكهة وقد عرفناها، فما الأبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر. وقال ابن عباس: لا أعرف غِسلِين وحنانًا والرقيم. وتسألون: أليست هذه الألفاظ الغريبة مخالفةً للذوق السليم في فن الإنشاء؟

ولكم أقول: إنه لا يوجد من يعرف كل شيء عن اللغة، ففوق كل ذي علم عليم، وليس معنى جهل البعض ببعض المعاني والمفردات التي وردت في القرآن أنه يوجد خلل في الإنشاء القرآني، أو أنه جاء مخالفًا للذوق السليم، كما تزعمون.

وإذا ضربنا مثلا... هل عدم فهم طفل في المرحلة الابتدائية، أو صبي في المرحلة الإعدادية، أو شاب في المرحلة الثانوية لقصيدة شعرية لأبي فراس الحمداني، أو أبي نواس، أو البحتري، أو أبي تمام، أو غيرهم... أن هناك قصورًا في فن إنشاء هذه القصائد، أو أن هذه القصائد أصبحت مخالفة للذوق السليم لمجرد عدم فهم البعض لها؟ وستجيبون بالطبع لا، فنحن نعرف أنهم من كبار الشعراء الذين عرف عنهم البلاغة والفصاحة والبيان، وإذا كانت هذه هي إجابتكم، فلكم أقول: إذًا فالعيب فينا وليس في القرآن.

وإلينا هذه القصة التي توضح أن فوق كل عالم من هو أعلم منه، وليس هناك أعلم من الله سبحانه وتعالى، فقد قرأت في مجلة العربي الصادرة في شهر يوليو (١٩٩٦) موضوعًا بعنوان (آيّة بلاغة؟!! وآيّة لغة؟!):

"من نوادر البلغاء أن عبد الملك بن مروان قال في مجلسه: من يأتيني بحروف المعجم في بدنه (يقصد الأبجدية)؟ فنهض سويد بن غفلة وقال: أنا لها يا أمير المؤمنين، قال: هات، فقال (أنف، بطن، ترقوة، ثغر، جمجمة، حلق، خد، دماغ، رقبة، زند، ساق، شفة، صدر، ضلع، طحال، ظهر، عين، غبب، فم، قفا، كف، لسان، منخر، نغنوغ، هامة، وجه، يد).... وهذه آخر حروف المعجم.

فقام رجل وقال: أنا أقولها مرتين من جسد الإنسان. قال الأمير: أسمعت يا سويد؟ قال السويدى: أنا أقولها ثلاثا. قال الأمير: هات ولك ما تتمناه. قال السويدي: (أنف، أسنان، أذن، بزة، ترقوة، تمرة، تينة، ثغر، ثنايا، ثدى، جمجمة، جنب، جبهة، حلق، حنك، حاجب، خد، خنصر، خاصرة، دبر، دماغ، درادير، ذقن، ذكر، ذراع، رقبة، رأس، ركب، زند، زردمة، زبيبة، ساق، سرة، سبابة، شفة، شعر، شارب، صدر، صدغ، صلعة، ضلع، ضفيرة، ضرس، طحال، طرة، طف، ظهر، ظفر، ظلم، عين، عنق، عاتق، غبب، غلصمة، غنة، فم، فك، فؤاد، قلب، قفاء، قدم، كف، كتف، كعب، لسان، لحية، لوح، منخر، مرفق، منكب، نغنوغ، ناب، نن، هامة، هيئة، هيف، وجه، وجنة، ورك، يمين، يسار، يافوخ)...... فضحك الأمير وقال: أنعموا عليه وبالغوا في إحسانه.

وإذا نظرنا إلى ما قاله سويد نجده معلومًا تماما له، ولكن هناك بعض الكلمات التي جهلتها أنا أو جهلت معناها عند قراءتي لها مثل (تمرة، تينة، درادير، زردمة، طف، ظلم، غبب، غلصمة، غنة، نغنوغ) وهذه المعاني معلومة تماما له، ويعلمها آخرون ممن هم على مستوى ثقافته في اللغة العربية، ولكني أجهلها. فهل نعيب على الرجل وافر علمه وثقافته، أم يعاب عليّ أنا في جهلي ببعض ما قال؟! أعتقد أن المعنى الذي أردته قد وصل إليكم.

الكلام المفكّك

*** ادعاء**

جاء في سورة الإسراء ١٧: ١٠٦ ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾.

وتقولون: قال البيضاوي: ﴿وقرآنًا فرقناه﴾: نزّلناه مفرّقًا منجّمًا. ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾: على مهل وتؤدة، فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم... ﴿ونزلناه

تنزيلًا): حسب الحوادث.

وجاء في سورة الفرقان ٢٥: ٣٢ ﴿وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

وتقولون: قال البيضاوي: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن﴾. أي: أُنزل عليه كخبر بمعنى أخبر لئلا يناقض قوله ﴿جملة واحدة﴾: دفعة واحدة كالكتب الثلاثة. وهو اعتراض لا طائل تحته؛ لأن الإعجاز لا يختلف نزوله جملة أو مفرقًا، مع أن للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله: ﴿كذلك لنثبّت به فؤادك﴾ أي: كذلك أنزلناه مفرّقا لنقوى بتقوية فؤادك على حفظه حيث كان عليه الصلاة والسلام أميًّا وكانوا يكتبون. فلو أُلقي عليه جملةً لتعنَّى بحفظه ولعله لم يستتب له، فإن التلقّف لا يتأتّى إلّا شيئًا فشيئًا، ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوصًا في المعنى، ولأنه إذا نزل منجمًا وهو يتحدى بكل نجم فيه فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه، ولأنه إذا نزل به جبريل حالًا بعد حال يثبت به فؤاده، ومنه معرفة الناسخ والمنسوخ، ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية؛ فإنه يعين على البلاغة، وكذلك صفة مصدر محذوف والإشارة إلى إنزاله مفرقًا فإنه مدلول عليه بقوله: ﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾. ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة، ولذلك وقف عليه ليكون حالا، والإشارة إلى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ﴿ورتلناه ترتيلا﴾: وقرأناه عليك شيئًا بعد شيء على تؤدة وتمهُّل عشرين سنة أو ثلاثة وعشرين.

ونحن نسأل: كيف يكون القرآن وحيًا وهو منقطع مُفَرَّق، يأتي بعضه في وقت ويتأخر بعضه إلى وقت آخر؟ لقد كان محمد يرتبك عندما كان العرب أو اليهود أو النصارى يسألونه، وأحيانًا كان يحتج بأن جبريل تأخر لسبب وجود الكلاب!

*** الرد:**

ولكم أقول: نحن نعلم أن التوراة أنزلت على موسى على جبل المناجاة جملة واحدة. أما ظروف إنزال الإنجيل فهي أشبه ما يكون بظروف إنزال القرآن، وإن كان إنزال القرآن قد استغرق ٢٠ سنة أو يزيد هي مدة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد استغرقت المادة المدونة بالإنجيل أو التي كونت الإنجيل عامين كانا هما كل المدة التي مكث فيها عيسى بين قومه. فها هو الإنجيل يقص لنا قصة ولادة المسيح وهربه إلى مصر، ثم العودة إلى الناصرة والمعمودية على يد يوحنا المعمدان، وتجربة الشيطان له في البداية، ثم نبدأ أول مرحلة في دعوة المسيح بتعليمه تلاميذه عند بحر الجليل، ويصعد الجبل مرحلة أخرى – ونزوله من الجبل حيث بدأ يعمل المعجزات، ودخوله كفر ناحوم – ثم الذهاب إلى العبر.... إلخ. وهكذا أحداث كثيرة تمت في أوقات مختلفة على مدار عامين، حتى جاء ميعاد الرفع إلى الله سبحانه وتعالى، فالأحداث التي حدثت على يد عيسى عليه السلام منذ بعثته إلى بني إسرائيل وحتى رفعه إلى الله سبحانه وتعالى هي التي كوّنت هذا الإنجيل الذي بين أيديكم.

ونقرأ في تفسير الآية (٣٢) من سورة الفرقان في مختصر التفسير لابن كثير في المجلد الثاني الإجابة على هذا السؤال، حيث يقول ابن كثير: إن القرآن نزل منجمًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه من الأحكام ليثبت قلوب المؤمنين به كقوله: ﴿**وقرآنا فرقناه**﴾، ولهذا قال: ﴿**لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا**﴾. قال ابن عباس: ﴿**ولا يأتونك بمثل**﴾ أي بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول، ﴿**إلا جئناك بالحق**﴾ أي: إلا نزل جبريل من الله تعالى بجوابهم. وما هذا إلا اعتناء وكبير شرف للرسول صلى الله عليه وسلم، حيث كان يأتيه الوحي من الله سبحانه وتعالى بالقرآن صباحًا ومساء، سَفَرًا وحَضَرًا، لا كإنزال ما قبله من الكتب المتقدمة. فهذا المقام أعلى وأجلّ وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء الذين نزلت عليهم الرسالة مجمعة صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين. فالقرآن أشرف كتاب أنزله

الله. ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم نبي أرسله الله تعالى. وقد جمع الله الصفتين معًا للقرآن. ففي الملأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك إلى الأرض منجمًا بحسب الوقائع والحوادث.

روي عن ابن عباس أنه قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة. قال الله تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا). وقال تعالى: (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا).

الكلام المماثل لغيره من كلام الناس

*** ادعاء**

جاء في سورة الإسراء ١٧: ٨٨ (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا).

وتقولون: نحن نسأل: أليست المعلَّقات السبع ومقامات الحريري أفصح من القرآن؟ أوَليس امرؤ القيس أفصح من محمد؟ أليست قصائد المتنبي وابن الفارض وخطب قس بن ساعدة وغيرهم تحاكي فصاحة القرآن وتخرجه عن كونه معجزة؟ فليس القرآن من المعجزة في شيء؛ لأن المعجزة حدَثٌ يحدث خلاف مجرى الطبيعة وناموسها. فإماتة حي بطريقة ما لا يعد معجزة لحدوثه وفق ناموس الطبيعة. ولكن إحياء الميت بواسطة دعاء وأمر يُحسب معجزة. وعليه فتأليف كتاب في نهاية البلاغة والفصاحة لا يعد معجزة بل يعد من نوادر أعمال الإنسان. وإن حسبنا القرآن بناء على سمو بلاغته وفصاحته معجزة سيلزمنا أن نحسب كثيرًا من أشعار العرب وخطبهم معجزات! وإن كان القرآن يتحدى الناس جميعًا في فصاحته، فأي مسلم يقر للعرب قصائدهم العامرة وخطبهم الرنانة ويتذرع

بالشجاعة في الرأي ويعلن الحقيقة السافرة أن محمدًا كأحد هؤلاء العرب أو يقِلّ عنهم؟

وكم هم الذين يزيدون فصاحة من أدباء اليهود في اللغة العبرية ومن أدباء اليونان في اللغة اليونانية ومن أدباء الرومان في اللغة الرومانية، كما هو معروف أن لكل لغة أدباءها؟ أما معلومات القرآن فلم تزد عن أقوال العرب والمجوس واليهود والنصارى الذين أخذ عنهم.

* الرد:

ولكم أقول: نشكركم على شهادتكم بأن القرآن كتاب في نهاية البلاغة والفصاحة، ولكن ليست معجزة القرآن في بلاغته وفصاحته فحسب كما تقولون، فالكتاب يعج بالمعجزات التي يكتشفها العلم الحديث كل يوم لأشياء تم الإخبار عنها منذ ١٤٠٠ سنة، فرب كلمة تحمل المعجزة! فقد خِلْتَها أنت مجرد كلمة، ولكنها الإعجاز عينه.

وتتساءل أنت قائلا: أليست المعلقات السبع ومقامات الحريري أفصح من محمد؟ أليست قصائد المتنبي وابن الفارض وخطب قس بن ساعدة وغيرهم تحاكي فصاحة القرآن، وتخرجه عن كونه معجزة؟

ولكم أقول: بيننا أساتذة اللغة العربية والأدب المقارن، إذا استطاع أحد أن يقول مثل هذا القول أو أن يساوي بين أعمال هؤلاء كأعمال أدبية وبين القرآن كعمل أدبي قبل كونه كتابًا دينيًّا وتشريعيًّا.

ثم فلتجيبوني أنتم عن سؤالي هذا: ماذا أخبرت عنه المعلقات أو أعمال امرؤ القيس، وتحقق الأمس أو اليوم أو من المحتمل أن يتحقق غدا؟.... لا شيء.... فإذا افترضنا جدلا تساوي القرآن مع أعمال هؤلاء كبلاغة، على الرغم من أن ذلك لم يحدث؛ حيث إن ناقض القرآن يرتد دائما سهمه في نحره، فيبقى لنا المعجزات التي

لم ولن تتواجد في كتابات ومؤلفات هؤلاء.

أما بشأن قولكم أن معلومات القرآن لم تزد عن أقوال العرب والمجوس واليهود والنصارى الذين أخذ عنهم، فقد سبق وأجبت على هذه الجزئية في الأسئلة السابقة والتي تقر باستحالة حدوث أمر كهذا، فلتعودوا إليها. فللقرآن معجزات لو أني حاولت إحصاءها لتطلب الأمر مجهودًا كبيرًا وأوراقا كثيرة، ولكني سأعطي أمثلة، وبعد أن أعطي هذه الأمثلة عليكم أن تأتوني بالمعجزات في كتب امرئ القيس أو المعلقات السبع، أو مقامات الحريري، أو بأي كتاب آخر ترغبون، ولن تأتوا!

(١) يقول المولى سبحانه وتعالى فى سورة الأنعام آية ١٢٥: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾**، وقد اكتشف العلم الحديث إعجاز الله في هذه الآية التي نزلت على محمد منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة – عندما اكتشف أن الهواء يقل في طبقات الجو العليا كلما اتجهنا نحو السماء، أي كلما ارتفعنا فيها، مما يسبب ضيق الصدر، ومن أجل ذلك يتم اصطحاب أسطوانات أكسجين عند الارتفاع الهائل في بطن السماء.

(٢) يقول المولى سبحانه وتعالى: **﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها في بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾**، وقد اكتشف علماء البحار أمواجا داخلية في أعماق المحيطات، وذلك تحت مئات الأمتار عمقا، وعند دراسة هذه الأمواج اكتشفوا أنها أمواج البحر تحت البحر فسموه البحر العميق (deap sea)، ويتميز البحر العميق بأن ظلامه تام، حتى أن الكائنات البحرية في أعماقه خلقها الله بدون أعين وجعل لها خطوط إحساس (كما بالخفاش) لتتعرف على أعدائها وكيفية الهرب من أعدائها، ويمكنك أن تكتشف الحديث عن البحر العميق من هذه الآيات القرآنية السابقة التي نزلت على محمد منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة.

(٣) يقول المولى سبحانه وتعالى في سورة الروم (**غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين**). وقد اكتشف العلم الحديث المتمثل في الأقمار الصناعية والخرائط الجيولوجية بعد المسح الجيولوجي لكوكب الأرض أن أخفض منطقة على سطح الأرض هي منطقة البحر الميت. وأن مياه البحر الميت تنخفض عن مياه جميع بحار العالم بـ ٣٨٠م. ولم يتم معرفة هذا إلا في السنوات الأخيرة. أما محمد فقد أشار إليه منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة تقريبًا.

والأدنى: أي أخفض ما في الأرض (السفل) في لسان العرب.

وما قلته نقطة في بحر وجزء من كل. ولكني سأكتفي بهذا القدر. فواحدة مما سبق تكفي. فقد كانت كل واحدة مما سبق سببًا في إيمان كافر بمحمد وبالقرآن. فما بالنا بثلاثة.... من كان له أذنان للسمع فليسمع. ومن كان له أعين فليبصر.

لسان عربي مبين أم ألسنة أخرى؟

*** ادعاء**

تقولون: جاء في سورة الشعراء ٢٦: ١٩٣-١٩٥ (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**)... وجاء في سورة الزمر ٣٩: ٢٨ (**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**)... وجاء في سورة الدخان ٤٤: ٥٨ (**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**)... وجاء في سورة النحل ١٦: ١٠٣ (**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**).

*** الرد:**

ولكم أقول: إن القرآن نزل بلسان عربي مبين. وهذا ما أقرّته كل الآيات السابقة. حتى أن الآية (١٠٣) من سورة النحل والتي تجدونها مخالفة لسابقيها أقرت هذا أيضًا. وقد قام فضيلة الإمام الشيخ الشعراوي بتوضيح ما التبس عليكم

بتفسيره للآية ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ١٦/١٠٣).

فنجد في تفسير الشعراوي (المجلد الثالث عشر - ص ٨٢٢٤ - ٨٢٢٧) يقول الشعراوي رحمه الله: إن في هذه الآية اتهامًا آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وافتراءً جديدًا عليه لا يأنف القرآن من إذاعته. فمن سمع الافتراء يجب أن يسمع الجواب. فالقرآن يريد أن يفضح أمر هؤلاء، وأن يظهر إفلاس حجتهم، وما هم فيه من تخبط. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر**﴾ (١٠٣ - النحل)، وقد سبق أن قالوا عن رسول الله "**مجنون**". وبرّأه الله بقوله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم** (٤)﴾، والخلق العظيم لا يكون في مجنون، لأن الخُلُق الفاضل لا يوضع إلا في مكانه، بدليل قوله تعالى: ﴿**ما أنت بنعمة ربك بمجنون** (٢)﴾ (القلم). وسبق أن قالوا "**ساحر**"، وهذا دليل على أنهم مغفلون يتخبطون في ضلالهم، فلو كان محمد ساحرًا فلماذا لم يسحركم كما سحر المؤمنين به وتنتهي المسألة؟ وسبق أن قالوا "**شاعر**"، مع أنهم أدرى الناس بفنون القول شعرًا ونثرًا وخطابة، لم يجربوا على محمد صلى الله عليه وسلم شيئًا من ذلك، ولكنه الباطل حينما يَلِجّ في عناده ويتكبر عن قبول الحق.

وهنا جاءوا بشيء جديد يكذبون به رسول الله فقالوا: ﴿**إنما يُعَلِّمُه بشر**﴾ (١٠٣- النحل) أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتردد على أحد أصحاب العلم ليعلمه القرآن، فقالوا: إنه غلام لبني عامر بن لؤي اسمه (يعيش)، وكان يعرف القراءة والكتابة، وكان يجلب الكتب من الأسواق، ويقرأ قصص السابقين مثل عنترة وذات الهمة وغيرها من كتب التاريخ، وقد تضاربت أقوالهم في تحديد هذا الشخص الذي يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلّم على يديه، فقالوا: اسمه "عداس". وقال آخرون: "سلمان الفارسي". وقال آخرون: "بلعام"، وكان حدادًا روميًّا

نصرانيًّا يعلم كثيرا عن أهل الكتاب... إلخ.

والحق تبارك وتعالى يرد على هؤلاء ويظهر إفلاسهم الفكري، وإصرارهم على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: **﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾**.

(واللسان هنا: اللغة التي يتحدث بها، و﴿يلحدون إليه﴾ أي: يميلون إليه وينسبون إليه أنه يُعَلِّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، و﴿أعجمي﴾: أي لغته خفية، لا يفصح ولا يُبِينُ الكلام، كما نرى الأجانب يتحدثون العربية مثلا)، ونلاحظ هنا أن القرآن الكريم لم يقل (عجمي)؛ لأن العجم جنس يقابل العرب، وقد يكون من العجم من يجيد العربية الفصيحة، كما رأينا "سيبويه" - صاحب الكتاب – والذي قدم أعظم مراجع النحو حتى الآن وهو عجمي، أما الأعجمي فهو الذي لا يفصح ولا يبين، حتى وإن كان عربيًّا، وقد كان في قبيلة لؤي رجل اسمه "زياد الأعجمي"؛ لأنه لا يفصح ولا يُبِينُ، مع أنه من أصل عربي.

إذن: كيف يتأتى لهؤلاء الأعاجم الذين لا يفصحون، ولا يكادون ينطقون اللغة العربية، كيف لهؤلاء أن يُعَلِّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء بمعجزة في الفصاحة والبلاغة والبيان؟

كيف يتعلم من هؤلاء، ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم التقى بأحد منهم إلا (عداس) يقال أنه قابله مرة واحدة، ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم تردد إلى معلم، لا من هؤلاء ولا من غيرهم؟ كما أن ما يحويه القرآن الكريم من آيات وأحكام ومعجزات ومعلومات يحتاج في تعلمه إلى وقت طويل يتتلمذ فيه محمد على يد هؤلاء، وما جُرِّب على محمد شيء من هذا كله.... وهل يعقل أن ما في القرآن يمكن أن يطويه صدر واحد من هؤلاء؟ لو حدث لكان له من المكانة والمنزلة بين قومه ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم من منزلة، ولأشاروا إليه بالبنان ولذاع صيته واشتهر

أمره، وشيء من ذلك لم يحدث... وقوله تعالى: ﴿وهذا لسان عربي مبين﴾ (١٠٣- النحل)... أي لغته صلى الله عليه وسلم، ولغة القرآن الكريم عربية واضحة مبينة، ولا لبس فيها ولا غموض.

*** ادعاء:**

قولكم: (أولا) كيف يكون القرآن عربيًّا مبينًا وبه كلمات أعجمية كثيرة من فارسية وأشورية وسريانية وعبرية ويونانية ومصرية وحبشية وغيرها؟ نذكر منها:

الكلمة	السورة	اللغة
آدم	البقرة ٢: ٣٤ وأماكن أخرى	عبرية مشتقة من آدما، أي تراب
أباريق	الواقعة ٥٦: ١٨	فارسية
إبراهيم	النساء ٤: ٤ وأماكن أخرى	آشورية
أرائك	الكهف ١٨: ٣١	عربية أو فارسية
تابوت	البقرة ٢: ٢٤٧	مصرية
زنجبيل	الإنسان ٧٦: ١٧	بهلوية
سبت	النمل ٢٧: ١٢٤	عبرية
سجّيل	الفيل ١٠٥: ٤	بهلوية
سرادق	الكهف ١٨: ٢٩	فارسية
صراط	الفاتحة ١: ٤	لاتينية
طاغوت	البقرة ٢: ٢٥٧	حبشية
عدن	التوبة ٩: ٧٢	سريانية

فرعون	المزمل ٧٣: ١٥	سريانية
هاروت وماروت	البقرة ٢: ١٠٢	آرامية أو بهلوية أو عبرية
توراة		عبرية تعني الناموس أو الشريعة
إنجيل		يونانية تعني الحدث أو الخبر السارّ نسبة لأحداث يسوع المسيح

*** الرد:**

ولكم أقول: إننا إذا نظرنا إلى آدم وإبراهيم لوجدناهما أسماء لأشخاص، وقد أخذ آدم اسمه قبل أن يخلق اللّه الأرض ومن عليها. أما إبراهيم فهو أحد أبناء آدم، وإذا نظرنا إلى كتابكم المقدس لوجدناكم تتحدثون عن نوح وأبنائه حام وسام ويافث. وقد كانوا قبل أن يكون إبراهيم أبوكم وأبونا. فهل غيّرتم أسماءهم حتى تتناسب مع لغتكم أم أنها نفس الأسماء التي سماهم بها آباؤهم؟ فأنا اسمي لبنى، أفإذا سافرت إلى فرنسا أو أمريكا مثلا سيطلقون عليّ اسمًا آخر أم سأحتفظ باسمي؟ فلتجيبوا أنتم.

أما بشأن فرعون، فاسم الفرعون كان يطلق على كل ملك لمصر، وقد سبقتمونا باستخدامه في كتابكم المقدس، فقد ذكرتم اسمه في أكثر من موضع، وذكرتم أن سليمان الحكيم كان متزوجًا من ابنة الفرعون. أتعيبون ذلك علينا أم على أنفسكم؟

أما هاروت وماروت فقد ذكر القرآن أنهما كانا ملكين ببابل، وهذه أسماؤهما، فلم يذكر القرآن أنهما عربيان، بل ذكر بلادهما وأسماءهما في بلادهما. فهل تريدون

منا أن نغير أسماءهما لمجرد ذكرهما في القرآن؟! وإذا قمنا بهذا فهل ستعرف الشخصية الحقيقية التي نتحدث عنها، أم أننا سنكون قد أضفنا مبهمًا إلى المبهم؟.

أما كلمتا الإنجيل والتوراة فهما اسمان لكتابين سماويين يعرفهما العالم بأثره بهذا الاسم، فإننا إذا غيّرنا أسماءهما نكون بحاجة إلى إزالة الإبهام الناتج عن هذه الأسماء الجديدة، بأن نقول مثلا أن الراية هي اسم لكتاب النصارى المسمى بالإنجيل، هذا إذا اخترنا الراية كاسم جديد له مثلا، وما هو الدافع إلى ذلك والإنجيل والتوراة يعرفهما العالم بأسره على أنهما كتب اليهود والنصارى؟!

أما بشأن الكلمات الأخرى فلكم أقول: لو افترضنا جدلا صدق ما تدعون من أن هذه الكلمات السابقة مأخوذة عن العبرية أو السريانية أو غيرها.

- فقد يكون السبب في ذلك هو شيوع وانتشار هذه الكلمات عند أصحابها والتي قد يتعذر عليهم فهمها لو قيلت بشكل غير المألوف لهم، ولأن القرآن لم ينزل للعرب دون العبرانيين أو دون السريانيين أو غيرهم، ولكنه نزل للناس كافة بشتى لغاتهم وأجناسهم، فقد استخدم بعض الكلمات التي يصعب عليهم فهمها لو قيلت بكتابة غير هذه.

- أو قد يكون العكس هو ما حدث نتيجة التواصل التجاري للعرب مع الآخرين، فعرفوا عن الآخر هذه الكلمات حتى صارت جزءًا من لغة العرب فيما بعد، وأصبح استخدامها بالأمر الطبيعي.

وإنني أجد أنه لا عيب في ذلك، فالهدف القرآني هو وصول الرسالة الإلهية واستيعابها من قبل البشر كافة بشتى أجناسهم ولغاتهم، بأي طريقة كانت، وقد تحقق الهدف، ونجد القرآن الآن وقد وصل إلى العرب والعجم في جل البلدان تقريبًا، ونجد من العجم من يدخلون في دين الله أفواجا في كل يوم وليلة، هذا لو

افترضنا صدق ما تقولون، وإذا كان ما قلتموه صادقا، فلكم أقول: لو أنكم أمعنتم النظر فيما كتبتم في السطور السابقة لعلمتم أنكم قد سبقتمونا في ذلك. فأنتم تقولون أن كلمة **إنجيل** هي كلمة مأخوذة عن **اليونانية** وتعني الخبر السار أو الحدث نسبة لأحداث يسوع المسيح، في حين أن لغة المسيح هي السامرية، ومعنى هذا أن المسيح نفسه لم يطلق لفظة الإنجيل على ما نزل عليه من كلام اللّه طبقًا لما تقولون، والذي دوّنتموه تحت مسمى "**إنجيل متى، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا، إنجيل مرقس**"، أي أنكم قد أخذتم هذه الكلمة عن اليونانية على قياسكم السابق، ولكن **الإنجيل** نزل على عيسى على هذا المسمى، إذن فكلمة الإنجيل ليست يونانية، بل أخذها اليونانيون عن المسيح وأتباعه.

ولو نظرنا إلى كلمة أخرى مثل كلمة "**آدم" التي** قلتم عنها أنها مأخوذة عن العبرية، فلكم أقول: لقد أعطى اللّه هذا الاسم لذلك المخلوق الذي خلق من تراب وأمر الملائكة بالسجود له، والذي كان من صلبه جميع البشر قبل أن يكون العبرانيون.

ولو بحثنا في كل ما أوردتموه سابقا لوجدنا المزيد للرد عليكم، ولأدحضنا كل دعواكم، ولكني سأكتفي بما سبق فهو كافٍ حتى يعلم القارئ تلاعبكم بعقليات السذج، فإثبات الافتراء في كلمتين "الإنجيل، وآدم" يجعلنا نتشكك بشأن مصداقية أقوالكم في باقي الكلمات، وخاصة أنكم أوردتموها بدون إعلان السند أو الكتاب الذي أخذتم عنه هذه الادعاءات الكاذبة، فما هو الداعي الذي يجبرنا على التسليم بصدق ادعاءاتكم، وجميع أرصدتكم عندنا لا تحمل سوى الزيغ عن الحق ابتغاءً للفتنة، والرغبة في تشكيك المسلمين في دينهم.... ولكن قال عز مِن قائل: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾، فلتتقوّلوا علينا كما تشاءون، فرب الكتاب قادر على حفظه.

*** ادعاء**

وأما قولكم: (ثانيًا) ماذا تعني هذه الكلمات العربية المبينة:-

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (التكوير ٨١/١٧).

*** الرد:**

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: ﴿والليل إذا عسعس﴾. أي إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضا، ولكن الإقبال هاهنا أنسب، كأن الله هاهنا قد أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، حيث إن الآية التي تلي هذه الآية هي ﴿والصبح إذا تنفس﴾.

*** ادعاء**

وبشأن قولكم: (ثالثا): ماذا تعني بدايات بعض السور القرآنية مثل:

﴿كهيعص﴾.... (مريم ١٩/١).

﴿آلم﴾.. (العنكبوت ٢٩/١).

وسورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة العنكبوت، وسورة النور إلخ.

*** الرد:**

فقد أجابنا عن هذا السؤال الدكتور مصطفى محمود في كتابه، "حوار مع صديقي الملحد"، والذي قال فيه: أنا لا أقول هذا الكلام من عند نفسي، وإنما هي دراسة قام بها عالم مصري في أمريكا هو الدكتور رشاد خليفة، وبدأ يشرح لنا ما قاله الدكتور رشاد خليفة في هذا الصدد، قائلا: دعنا نأخذ سورة صغيرة بسيطة من هذه السور.. سورة "ق" مثلا ونجري تجربة، فنعد ما فيها من قافات وسنجد أن فيها ٥٧ قافًا، ثم نأخذ السورة التالية وهي سورة الشورى وهي ضعفها في الطول وفي فواتحها حرف "ق" أيضا.... سنجد أن فيها هي الأخرى ٥٧ قافًا، هل هي مصادفة؟

لنجمع ٥٧ + ٥٧ = ١١٤ عدد سور القرآن.

ثم هل تذكر كيف تبدأ سورة ق، وكيف تختم؟ في بدايتها: (ق والقرآن المجيد) وفي ختامها: (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)، وكأنما هي إشارات بأن "ق" ترمز للقرآن، "ومجموع القافات ١١٤ وهي مجموع سور القرآن".

فأجابه صديق له ملحد يتحدث إليه في لامبالاة:

- هذه أمور من قبيل المصادفات.

- فقال له الدكتور مصطفى محمود: سنمضي في التجربة ونضع سور القرآن في العقل الإلكتروني ونسأله أن يقدم لنا إحصائيات بمعدلات توارد حرف القاف في جميع السور.

- قال صديقه وقد توترت أعصابه وتيقظ تمامًا: وهل فعلوها؟

- نعم فعلوها.

- وماذا كانت النتيجة؟

- قال لنا العقل الإلكتروني: إن أعلى المتوسطات والمعدلات موجودة في سورة ق، وإن هذه السورة قد تفوقت حسابيًّا على كل المصحف في هذا الحرف. هل هي مصادفة أخرى؟!

- فقال صاحبه: غريب!

ثم قال الدكتور مصطفى محمود: وسورة "الرعد" تبدأ بالحروف "المر". قدم لنا العقل الإلكتروني إحصائية بتوارد هذه الحروف في داخل السورة كالآتي:

"ا".... ترد ٦٢٦ مرة

"ل".... ترد ٤٧٩ مرة.

"م".... ترد ٢٦٠ مرة.

"ر".... ترد ١٣٧ مرة.

هذا وفي ترتيب تنازلي: (ا... ثم... ل... ثم... م... ثم... ر). بنفس الترتيب الذي كتبت به "المر" تنازليًّا، ثم قام العقل الإلكتروني بإحصاء معدلات توارد هذه الحروف في المصحف كله، وألقى إلينا بالقنبلة الثانية: أن أعلى المعدلات والمتوسطات لهذه الحروف هي في سورة الرعد، وأن هذه السور تفوقت حسابيًّا في هذه الحروف على جميع المصحف.

نفس الحكاية في "الم" سورة البقرة.

ا.... وردت ٤٥٩٢ مرة.

ل.... وردت ٣٢٠٤ مرات.

م.... وردت ٢١٩٥ مرة.

بنفس الترتيب التنازلي "الم".

ثم يقول لنا العقل الإلكتروني: إن هذه الحروف الثلاثة لها تفوق حسابي على باقي الحروف في داخل سورة البقرة.

نفس الحكاية في "الم" سورة آل عمران.

ا.... وردت ٢٥٧٨ مرة.

ل.... وردت ١٨٨٥ مرة.

م.... وردت ١٢٥١ مرة.

بنفس الترتيب التنازلي "الم". وهي تتوارد في السورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

نفس الحكاية "الم" سورة العنكبوت.

ا.... وردت ٧٨٤ مرة.

ل.... وردت ٥٥٤ مرة.

م.... وردت ٣٤٤ مرة.

بنفس الترتيب التنازلي "الم"، ثم هي تتوارد في السورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

نفس الحكاية في "الم" سورة الروم.

ا.... وردت ٥٤٧ مرة.

ل.... وردت ٣٩٦ مرة.

م.... وردت ٣١٨ مرة.

بنفس الترتيب التنازلي "الم"، ثم هي تتوارد في السورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

وفي جميع السور التي ابتدأت بالحروف "الم" نجد أن السور المكية تتفوق حسابيًّا في معدلاتها على باقي السور المكية، والمدنية تتفوق حسابيًّا في معدلاتها من هذه الحروف على باقي السور المدنية.

وبالمثل في "المص" سورة **الأعراف**.

يقول لنا العقل الإلكتروني إن معدلات هذه الحروف هي أعلى ما تكون في سورة الأعراف، وأنها تتفوق حسابيًّا على كل السور المكية في المصحف.

وفي سورة "طه" نجد أن الحرف ط، والحرف هـ يتواردان فيها بمعدلات تتفوق على كل السور المكية، وكذلك في "كهيعص" مريم ترتفع معدلات هذه الحروف على كل السور المكية في المصحف.

كما نجد أن كل السور التي افتتحت بالحروف "حم" إذا ضم بعضها إلى بعض فإن معدلات توارد الحرف ح والحرف م تتفوق على كل السور المكية في المصحف.

وبالمثل السورتان اللتان افتتحتا بحرف "ص" وهما سورة "ص". "والأعراف المص". ويلاحظ أنهما نزلتا متتابعتين في الوحي، وإذا ضُمَّتَا معا تفوقتا حسابيًّا في هذه الحروف على باقي المصحف.

وكذلك السور التي افتتحت بالحروف "الر" وهي إبراهيم، ويونس، وهود، ويوسف، والحجر، أربعة منها جاءت متتابعة في تواريخ الوحي، وإذا ضُمّ بعضها إلى بعض أعطانا العقل الإلكتروني أعلى معدلات في نسبة توارد حروفها "المر" من كل السور المكية في المصحف.

أما في سورة "يس" فإننا نلاحظ أن الدلالة موجودة ولكنها انعكست؛ لأن ترتيب الحروف انعكس، فالياء في الأول "يس" بعكس الترتيب الأبجدي.

ولهذا نرى أن توارد الحرف "ي" والحرف "س" في السورة هو أقل من تـوارده في جميع المصحف مدنيًّا ومكيًّا. فالدلالة الإحصائية هنا موجودة ولكنها انعكست.

إذًا فالمسألة لم تعد مصادفة وإنما نحن أمام قوانين محكمة. وحروف محسوبة، كل حرف وضع بميزان.

﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾. (الشورى: ١٧)

وأي ميزان؟ نحن هنا أمام ميزان يدق حتى يزن الشعرة والحرف.

فهل بعد كل ما قيل ما زالت فكرة النبي الذي يؤلف القرآن تدق أذهانكم؟ أكان يقول لنفسه سلفا: سوف أؤلف سورة الرعد من حروف "المر". وأورد بها أعلى معدلات من هذه الحروف على باقي الكتاب، وهو لم يؤلف ذلك الكتاب بعد؟ حيث إن القرآن نزل متفرقًا. أعتقد أن هذا الظن لم يعد جائزًا، وأين هو الذي يحصي له هذه المعدلات، وهي مهمة لا يستطيع أن يقوم بها إلا العقل الإلكتروني؟ ولو تكفل هو بها فإنه سيقضي بضع سنين ليحصي الحروف في سورة واحدة يجمع ويطرح بعلوم عصره وهو حتى لا يعرف علوم عصره، وهل سيؤلف أم سيشتغل بعدّ الحروف؟

فنحن هنا أمام استحالة.

فإذا عرفنا أن القرآن نزل مفرقًا ومقطعًا على ٢٣ سنة فإنا سوف نعرف أن وضع معدلات إحصائية مسبقة بحروفه هي استحالة أخرى، وأمر لا يمكن أن يعرفه إلا العليم الذي يعلم كل شيء قبل حدوثه، والذي يحصي بأسرع وأدق من كل العقول الإلكترونية، فالله سبحانه وتعالى هو الذي أحاط بكل شيء علمًا، وما هذه الحروف المقطعة في فواتح السور إلا رموز تبين واسع علمه، بثها في تضاعيف كتابه لنكشفها نحن على مدى الزمان. ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾ (فصلت: ٥٣).

كما يقول الدكتور مصطفى محمود: لا أقول إن هذه كل أسرار الحروف، بل هي مجرد بداية لا أحد يدري إلى أي آفاق سوف توصلنا، وهذه الحروف بهذه الدلالة الجديدة تنفي نفيًا باتًا شبهة التأليف، ثم هي تضعنا أمام موازين دقيقة ودلالات عميقة لكل الحروف، فلا يجرؤ أحدنا أن يقول أن بدايات السور بلا دلالات أو أنها أي كلام.

نبي أم بشر رسول فقط؟

* ادعاء

﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (الاعراف: ٧- ١٨٨).

﴿**وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي**

السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولًا). (الإسراء ١٧ - ٩٠: ٩٣).

وتقولون: تناقضها سورة الأحزاب:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا " (الاحزاب ٣٣-٥٠).

*** الرد:**

وقد أجابنا عن هذا السؤال الدكتور ميسر الشافعي أحد الدعاة إلى الله، حيث قال: كثيرًا ما يحدث الخلط بين معنى كلمة النبي ومعنى كلمة الرسول، فكل رسول نبي، ولكن ليس كل نبي رسولًا.

فالنبي هو من يتنزل عليه وحي من الله ولكنه ليس مكلفًا بتبليغ رسالة إلى قومه، مثل يوسف الصديق، فما كان تأويله لأحلام عزيز مصر، وأحلام صاحبيه بالسجن إلا وحي من الله بمعنى هذه الأحلام، ولكنه لم يرسل برسالة إلى قومه.

أما الرسول فلا يوحى إليه فحسب، وإنما يكون أيضا مكلفًا برسالة إلى قومه، وهذا شأن محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان نبيًّا بما يتأتى إليه من الوحي، ورسولا بما كلف به من تبليغ قومه ونشر دين الإسلام في كل صوب وحدب، وبهذا فقد استحق أن يحمل اللقبين معا، ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم هو من حمل هذين اللقبين فحسب، فقد كان موسى رسولا نبيًّا، وكذلك عيسى، وغيرهما من الأنبياء الرسل، الذين هبط عليهم الوحي من الله وكذلك كُلِّفُوا بتبليغ وهداية قومهم.

أحمد أم محمد؟

*** ادعاء**

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران ٣- ١٤٤).

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح ٤٨/٢٩).

وتقولون: تناقضها سورة الصف:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف ٦١ -٦).

*** الرد:**

ولكم أقول: هل وجود عدة مسميات لنبينا يسبب لكم كل هذا القدر من الدهشة؟ إذًا فعليكم الإجابة عن سؤالي هذا قبل أن أجيبكم: **المسيح الحي، أم المسيح، أم عيسى الناصري، أم يسوع، أم ابن الله، أم ابن الإنسان؟** فكل هذه مسميات عندكم وفي كتابكم المقدس تخص عيسى عليه السلام، كما نقرأ أسماء أخرى أطلقت على المسيح في كتابكم المقدس وهي **عمانوئيل**، فها نحن نقرأ في إنجيل متى الإصحاح (٢-٢٣): "**هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا، ويدعون اسمه**

عمانوئيل". ونقرأ في إنجيل يوحنا الإصحاح (١-٣٥: ٣٦): "**وفي الغد أيضا كان يوحنا واقفا هو واثنان من تلاميذه. فنظر إلى يسوع ماشيا فقال: هو ذا حمل الله!**". ونقرأ في إنجيل يوحنا أيضا في الإصحاح (١ – ٤٠: ٤١): "**كان إندراوس أخو سمعان بطرس واحد من الاثنين اللذين سمعا يوحنا وتبعاه. هذا وجد أولا أخاه سمعان فقال له: "قد وجدنا مسيا" الذي تفسيره: المسيح** ". فما هو المدهش في تسمية النبي بأحمد ومحمد؟!

أما بشأن سؤالكم فيشرح لنا الشيخ الشعراوي معنى "**أحمد ومحمد**". وكيف أنهما اسمان لجوهر واحد. وذلك في تفسير الشعراوي (المجلد الثالث - ص ١٧٨٩ - ١٧٩١) حيث يقول:

أما "أحمد". فقد قلنا إنه من الملحوظ أن الحمد وقع منه لغيره. و"أحمد" تتطابق مع أفعل التفضيل. فنحن نقول: "فلان كريم. وفلان أكرم من فلان". إذن "فأحمد" أي وقع منه الحمد لغيره كثيرًا. فلو كان الحمد قد وقع منه بقدر محدود لقلنا "حامد". إذن "فأحمد" مبالغة في "حامد". حيث وقع منه الحمد لغيره كثيرًا فصار أحمد. "ومحمد" مبالغة في "محمود" أي وقع عليه الحمد من غيره كثيرًا فصار محمدًا.

إذن فرسول الله صلى الله عليه وسلم جمع له الله بين الأمرين. فهو محمد من الله وحامد لله: لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الله له بين مقامين: مقام الاصطفاء ومقام المجاهدة. فبالاصطفاء كان "محمدا" و"محمودا". وبالمجاهدة كان "حامدا" و"أحمد". إذن نحن هنا أمام مقامين اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة"... (رواه مسلم وأحمد).

تقولون: لم تتنبأ التوراة به.

*** ادعاء**

جاء في سورة الصف ٦١: ٦ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

وتقولون: يشهد القرآن أن التوراة حُفظت صحيحة سليمة من كل تحريف إلى أيام المسيح كما جاء في آل عمران ٣: ٤٨ و٤٩ ﴿وَيُعَلِّمُهُ (يعلم المسيح) الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ﴾.

وشهد القرآن في مواضع كثيرة أن التوراة بقيت بغير تحريف من وقت المسيح إلى وقت محمد لقوله في سورة آل عمران ٣: ٩٣ ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. وكذلك شهد القرآن بسلامة الإنجيل لقوله في سورة المائدة ٥: ٤٧: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

فالكتاب المقدس إذًا صحيح لم يَعْتَرِه تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقصان. وها هو الكتاب المقدس كله ليس فيه آية إشارة إلى إتيان محمد كنبي. فمن أين جاء محمد بأن عيسى بَشَّرَ به؟

قال المسيح إنه بعد صعوده سيرسل إلى تلاميذه الروح القدس. وأصله باللغة اليونانية البارقليط ومعناه المعزي. وهذه الكلمة تقارب في لفظها كلمة يونانية أخرى معناها مشهور أو ممدوح (وهو معنى اسم محمد). فظن محمد أن هذا

الممدوح الذي سيرسله المسيح هو محمد! ومنشأ هذا الخطأ هو الالتباس بين الكلمتين اليونانيتين. ففهم العرب غير ما أراده المسيح.

ولا يخفى أن ماني المصور الشهير نبغ في بلاد الفرس وادّعى النبوة. وقال: أنا الفارقليط. وأن المسيح شهد لي. غير أن المسيحيين رفضوا دعواه لاطلاعهم على حقيقة تعليم الإنجيل. ولمعرفتهم أن المسيح لم يتنبأ عن نبي حقيقي يأتي بعده. وأن المسيح ختم الشريعة بتلاميذه (إشعياء ٨: ١٦). وقد حذر المسيح أتباعه من الأنبياء الكذبة قائلًا: "احْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الكَذَبَةِ الذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الحُمْلَانِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ" (متى ٧: ١٥).

*** الرد:**

ولكم أقول: تدّعون أن القرآن يشهد أن التوراة حفظت صحيحة سليمة من كل تحريف إلى أيام المسيح بدليل ما جاء في الآية (٤٨، ٤٩) من سورة آل عمران. وإذا نظرت إلى ما قبل هاتين الآيتين من الآيات لوجدت الحديث موجه إلى السيدة مريم العذراء قبل حملها بالمسيح. حيث تحدثها الملائكة عن هذا الطفل الذي سيكون ميلاده معجزة وتمتلئ حياته بالمعجزات. مخبرًا إياها بأن الله سبحانه وتعالى سيجعله رسولا ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. فالمولى سبحانه وتعالى يتحدث هنا عن التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام وليس في ذلك أي إشارة إلى التوراة التي هي بين أيديكم الآن. كما أنه تحدث عن الكتاب الذي سينزله على عيسى عليه السلام. فالمقصود هو الاسم؛ لأن المحتوى لم يكن قد نزل بعد. وهو يعني أيضا الإنجيل قبل أن تناله يد التحريف والتعديل أيضا بدليل الإشارة في أكثر من موضع من القرآن إلى تحريف هذه الكتب. فالإنجيل الذي تعنيه الآية هو الإنجيل الذي بشّر فيه عيسى عليه السلام بنبي يأتي من بعده اسمه أحمد. فهل ما بين أيديكم الآن يحتوي هذه البشارة. إذا كان فهو المقصود هنا. وإذا لم يكن فليس هو

المقصود، وليس هو المقصود، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن وجود صفات محمد وأصحابه عندكم في التوراة والإنجيل، وذلك في سورة الفتح الآية (٢٩): ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فئازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصلحت منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾، فهل هذه الصفات العظيمة لمحمد وأصحابه موجودة في كتابكم المقدس الذي بين أيديكم الآن؟ إذا كانت موجودة فهو المقصود، وإذا لم يكن فليس هو المقصود.

وتتحدثون عن الآية (٩٣) من سورة آل عمران... وإذا قرأنا بداية هذه الآية فهي كالآتي: ﴿كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾، وقال ابن عباس: حضرت عصابة من اليهود لنبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: حَدِّثْنَا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، قال: "سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه، لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني على الإسلام، قالوا: فذلك لك، قالوا: أخبرنا عن أربع خلال. فكان، ومن هذه الخلال إخباره إياهم عن مرض إسرائيل عليه السلام، حيث قال ابن جريح، عن ابن عباس: كان إسرائيل عليه السلام – وهو يعقوب – يعتريه عرق النسا بالليل وكان يقلقه ويزعجه عن النوم، ويقلع الوجع عنه بالنهار، فنذر لله لئن عافاه الله لا يأكل عرقًا، ولا يأكل وَلَدَ مَالَهُ عرق، فاتبعه بنوه في تحريم ذلك استنانًا به واقتداء بطريقته. وقوله: ﴿من قبل أن تُنَزَّل التوراة﴾ أي حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة. ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ فإنها ناطقة بما قلناه.

ولأني قرأت التوراة ولم أجد فيها هذا النبأ بشأن إسرائيل، والآية والقصة القرآنية تخبر عن تواجدها، فهذا أكبر دليل على أن المقصود بالتوراة هي تلك التوراة التي لم تحرف، وليست التي بين أيديكم.

أما بشأن الآية (٤٧) من سورة المائدة: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾، فإذا نظرنا إلى تفسير هذه الآية فسنجد المولى سبحانه وتعالى يقول: وليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا به فيه وبما فيه من البشارة ببعثة محمد والأمر باتباعه، وذلك مصداقا لقوله سبحانه وتعالى على لسان عيسى: ﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾، ولأن هذا ليس عندكم في أناجيلكم التي هي بين أيديكم الآن، إذن فالإنجيل المقصود بالآية هو ذلك الإنجيل الذي بشّر بمحمد وليس الذي بين أيديكم.

أما بشأن قولكم أن المسيح أخبر عن إرسال الروح القدس إلى تلاميذه بعد صعوده، حيث إن الروح القدس تعني الفارقليط التي تقارب في لفظها كلمة يونانية أخرى معناها ممدوح "وهو معنى اسم محمد"، وتقولون أن محمدًا ظن أن هذا الممدوح هو محمد.

فالسؤال الآن: هل كان محمد يعرف اليونانية؟ بالطبع لا، لأنه لم يكن يعرف حتى القراءة والكتابة العربية، فكيف بنا نتخيله يعرف اليونانية.

وتقارنون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بادعاء "ماني" المصور الشهير ببلاد الفرس، وشتان الفارق، فقد مات ماني ومات ادعاؤه معه؛ لأنه كاذب ومدعي نبوة، أما مَن حققت رسالته كل ما ترونه الآن وبعد رحيله بـ ١٤٠٠ سنة وما زال الناس يدخلون في الدين الذي دعانا إليه أفواجا حتى يومنا هذا، فكان يجب أن يستوقفكم للتفكير فيه بشكل يختلف عن ماني وغيره، لتعلموا أنه النبي الخاتم الذي بشرت به التوراة.

ولو أنك أكملت باقي الفقرة في إنجيل متى لعلمت أن المسيح قد بشر بأنبياء يأتون من بعده بعضهم كذبة وبعضهم صادقون، حيث قال: " **١٥ احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة ! ١٦ من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تينا؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة. أما الشجرة الردية فتصنع أثمارا ردية..... ١٨ لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة. ١٩ كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار، إذًا فمن ثمارهم تعرفونهم** "......

فعبارة " **كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار**" تعطي معنى احتمالية تواجد شجرة تعطي ثمرًا جيدًا وهو المعنى المحذوف قولا والمفهوم ضمنا كالآتي، أي: فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار، أما الشجرة الجيدة فتعرف من ثمارها، إذًا فمن ثمارهم تعرفونهم. وأمثال المصور ماني هم المقصودون بالشوك الذي لا يمكن أن ينتج عنبًا أو الحسك الذي لا يمكن أن ينتج تينا، وهم الأشجار الردية التي لا يمكن أن تصنع أثمارا جيدة، أما محمد صلى الله عليه وسلم فهو الشجرة الجيدة التي تصنع أثمارا جيدة، فقد زرع الخير والصدق والحق والعدل والتسامح والرحمة، وهو نبي الرحمة، فبنفسي أنت وأبي وأمي يا رسول الله.

زوجاته

* ادعاء

جاء في سورة الأحزاب ٣٣: ٥٠ و٥١ و٥٣ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ ... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيما).

وتقولون: لماذا حلل محمد لنفسه ما حرمه على غيره؟ ألم يحدد للمسلم أربع زوجات فقال: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) (سورة النساء ٤: ٣). فلماذا أطلق العنان لنفسه دون المسلمين وتزوج بأكثر مما يسمح به القانون؟

وتقولون: إن كان إتيان النساء شرفًا خاصًّا بنبوة محمد فلماذا لم ينله سائر أنبياء الله الصادقين الذين عزّز الله رسالتهم بالمعجزات؟

*** الرد:**

يتساءل الإخوة النصارى قائلين: لماذا حلّل محمد لنفسه ما حرّمه على غيره؟ ألم يحدد للمسلم أربع زوجات فقال: **(فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا)** (سورة النساء ٤: ٣).

ولكم أقول: إن حظ أي رجل ينتمي للدين الإسلامي أكبر بكثير من النبي محمد صلى الله عليه وسلم لو تعلمون. فأي رجل مسلم أعطاه الله الحق أن يتزوج ما شاء من النساء حتى لو أراد أن يتزوج بألف امرأة شريطة عدم الجمع بين أكثر من أربعة. فللرجل المسلم أن يمتلك أربعة نسوة. فإذا ماتت إحداهن، أو طلق إحداهن يمكنه استبدالها بأخرى. أما النبي محمد كما تقولون فقد كان له عند وفاته تسع من النساء أنزل الله في كتابه تحريمًا للنبي من الزواج بأي امرأة أخرى غير هؤلاء النسوة حتى لو ماتت إحداهن لا يمكنه استبدالها بزوجة أخرى. فأيهما أميز في نظركم محمد أم غيره من المسلمين؟

وقد كانت أولى زوجاته هي السيدة خديجة بنت خويلد وكانت متزوجة قبله وتكبره بخمسة عشرة عاما، وعاش معها حتى ماتت ولم يتزوج بسواها، فلو كان الرسول صلى اللّه عليه وسلم ينظر إلى النساء من ذلك المنظور الذي رأيتموه أنتم لتزوج ببكر صغيرة السن، وإذا كان قد تزوج بالسيدة خديجة من أجل المال، فلكم أقول: إن محمدًا كان ابنًا من أبناء سادات قريش، فعمه أبو طالب وعمه أبو لهب، وجده عبد المطلب، والسيدة خديجة هي التي أرسلت في طلبه لتتزوجه لما علمت من صدقه وأمانته، وإذا كان قد وافق على الزواج منها من أجل مالها فلماذا لم يتزوج بأخرى حينما تمكن من مالها، وقد كان الأمر الطبيعي عند العرب أن يكون للرجل زوجات عديدات؟ فلتجيبوا أنتم.

أما زواجه بالثمانية الأخريات فقد كان بعد الرسالة، وقد تزوج كلًّا منهن لحكمة ولسبب، والسؤال الآن: أي منكم اليوم يمتلك امرأة واحدة وله من الأعباء والمهام الجسام – مثل أمر الدعوة ونشر الدين الذي كلف به الرسول صلى اللّه عليه وسلم من قبل اللّه– يملك من الوقت ما يساعده لأن يوفي هذه المرأة حقها تماما؟ أعتقد ليس من بينكم هذا الرجل، وبالتالي فمحمد لم يكن يتزوج من أجل الشهوة أو الغريزة، فقد كان زواجه منهن عبئًا أكثر ما يكون متعة، فقد كان أغلبهن قد سبق لهن الزواج، فلو كان يبغي المتعة فقد كان هناك كثيرات ممن وهبن أنفسهن له، ولكن الوارد في الأثر أن النبي لم يقبل أيًّا منهن على عكس ما تزعمون.

ويذكر لنا أحمد بهجت في كتابه "أنبياء اللّه" زوجات النبي صلى اللّه عليه وسلم، وسبب زواجه من كل منهن.

وقد كانت السيدة خديجة هي أولى زوجات الرسول صلى اللّه عليه وسلم، وكانت في سن الأربعين حينما تزوجها الرسول صلى اللّه عليه وسلم، ولم يتزوج غيرها حتى بلغت من العمر الخامسة والستين، وماتت وهو فوق الخمسين، وقد

تزوجها قبل بعثته وظل وفيًّا لها حتى ماتت بل وبعد مماتها.

أما زواجه من **عائشة** رضي الله عنها فلم يكن إلا ارتباطا بأبي بكر أبيها، وحتى يتيح له زواجه منها دخوله وخروجه عند الصديق بلا مانع.

وكان زواجه من **حفصة** رغم قلة وسامتها ارتباطا بعمر أبيها.

أما **أم سلمة** فقد تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد استشهاد زوجها في سبيل الله، تلك المرأة التي عانت مع زوجها في الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة، فلما مات عنها زوجها وتركها وحيدة تواجه عواصف الحياة ضمّها النبي إلى بيت النبوة.

وكان زواجه من **سودة** إكراما لقدم إسلامها وعزوفها عن الرجال، ووحدتها أمام الحياة.

أما زواجه من **زينب بنت جحش** فقد كان امتحانًا قاسيا له، وقد جاء الأمر بزواجها من الله سبحانه وتعالى لتحريم عادة كانت شائعة في الجاهلية وهي عادة التبني، فقد كانت زينب من قريبات الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي إذن من بني هاشم، وهي تعتز بنسبها اعتزازا يدعوها إلى رفض الزواج من زيد بن حارثة، وهو مولى النبي الذي أعتقه وألحقه بنسبه وتبنّاه، فصار يدعى زيد بن محمد، غير أنها تنزل على رأي النبي وأمر الله فتتزوج من زيد، وكان واضحا منذ البداية أن هذا الزواج سيتحطم، ولم تكن زينب تحب زيدًا، ولم يكن زيد رجلا يطيق الحياة مع امرأة قلبها منصرف عنه، وجاء زيد يشكو للنبي صلى الله عليه وسلم ويطلب الإذن بطلاق زوجته، وأحس النبي بالحرج الهائل، وحدّث زيدًا أن يستمر ويحتمل، تصور ما سيقوله الناس عنه من أنه تزوج امرأة ابنه، غير أن ما خشيه النبي هو ما يريد الله إبطاله، ليس زيد ابنه، لا وجود لنظام التبني في الإسلام، إذن فليُطَلِّق زيد وليتزوج النبي لإثبات ما يريد الإسلام إثباته، وليتحمل رسول الله على نفسه ما سيقوله الناس

عنه. فليست هذه أول تضحية يقدمها محمد صلى الله عليه وسلم للإسلام، وقال تعالى في ذلك: **﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج من أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا﴾**. وقد كان زواجه من زينب بعض ما كُلِّف به محمد صلى الله عليه وسلم من سياسة الأفراد والجماعات.

أما زواجه من **أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب** فلأن هذه السيدة أسلمت وهي بنت أبى سفيان سيد قريش وقائدها في حرب الإسلام، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وعرفت الغربة والوحشة والخوف في الله، ثم تنصّر زوجها وتركها وحيدة تواجه الحياة، وكان موقفها النبيل في الإسلام والوقوف ضد أبيها هو القيمة التي حملت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضمها لبيت النبوة.

صفية بنت حيي بن أخطب: أما صفية فقد كان أبوها ملك اليهود، وبعد معركة الرسول مع قبيلة بني المصطلق وقعت صفية في الأسر، فزواج النبي منها لم يكن إلا جبرًا لخاطر المنهزمين، ودعوة إلى أن يحسن المسلمون معاملتهم، وقد حدث ما أراده النبي، فقد رفض المسلمون استرقاق أصهار النبي، وهكذا عادت الحرية إلى قبيلة بني المصطلق، وكان النبي بتصرفاته يريد أن يكشف العمق الإنساني في حروبه، ويشير إلى الأخوة الإنسانية، وأن الحرب في ذاتها ليست مطلبًا، بل هي دفاع عن الإسلام، والإسلام في عمقه البعيد رحمة وحب. وزواجه من أبناء المُستَرَقِّين أعاد إليهم حرياتهم حتى يدخلوا الإسلام إن أرادوا عن رضى واقتناع.

مارية القبطية: بعث المقوقس مارية القبطية إلى النبي كأَمَة رمزًا للود الذي أشار إليه القرآن بين الإسلام والمسيحية، فكرمها النبي وتزوجها، وتشريعًا للمسلمين بحل الزواج من كتابيات، وقد أنجبت له مارية ابنًا سماه إبراهيم باسم

جده أبي الأنبياء. غير أنه لم يُعَمِّر طويلا. فمات وهو رضيع. وقد دخلت مارية دين الإسلام.

ويخطئ من يتصور أن الرسول كان يجد وقتًا ينفقه في البحث عن متعة ولهو ولو كانت حلالًا. أبيحت المتعة لغيره واستأثر وحده بشقاء الجهاد والتشريع والاحتمال. ويخطئ من يتصور أن الرسول كان يعيش في بيته أفضل مما يعيش أقل المسلمين في عصره. فقد كانت حياته في البيت احتمالا وزهدا يفوقان الطاقة. حتى اشتكت بعض زوجاته ومنهن من جاءت من بيت ثري كبير كبيت أبي بكر. أو بيت عمر. واتحدت بعض زوجاته عليه يسألنه أن يزيد من النفقة. فنزلت آية من القرآن في سورة الأحزاب تخير زوجات النبي بين حياة الشظف التي يحيينها في بيت النبوة أو الطلاق **(يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما)**.

وانتهت الفتنة والصراع في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم. واختارت زوجاته حياة الزهد والاحتمال والدار الآخرة على الدنيا.

أما بشأن قولكم: إذا كان إتيان النساء شرفا خاصا بنبوة محمد فلماذا لم ينله سائر أنبياء الله الصادقين الذين عزز الله رسالتهم بالمعجزات؟

فلكم أقول: يبدو أنكم لم تطالعوا كتابكم المقدس جيدا. لأنكم لو طالعتموه جيدا لعلمتم عدد الزوجات ليعقوب وموسى وسليمان وداود وغيرهم. حتى أن بعضهم مثل سليمان بلغ عدد نسائه ما يفوق كل التوقعات. وها هو كتابكم المقدس يحدثنا عن نبي الله يعقوب الذي كان له من الزوجات "ليئة. وراحيل وهما أختان. وبلهة. وزلفة وهما جاريتاهما". واللاتي كان منهم الأسباط الاثنى عشر. كما كان لموسى زوجتان. وورد أن سليمان الحكيم كان له ألف امرأة. وكان لداود العديد

من النساء والسراري. فإذا كان كتابكم المقدس نفسه يقر التعددية فلماذا تنكرونها أنتم؟! أم أنكم لا تعترفون بنبوة هؤلاء الأنبياء لتعدد زوجاتهم. أم ماذا؟

يُرجي ويئوي من يشاء منهن!

* ادعاء

جاء في سورة الأحزاب ٣٣: ٥١ ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ولاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾.

وتقولون: قال الحسن: معنى هذه العبارة أن اللّه سبحانه وتعالى فوّض له أن يترك نكاح من يشاء من نسائه وينكح من يشاء منهن. فقالت عائشة: أرى ربك يسارع لك في هواك! وقد أوى محمد إليه من نسائه عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب. وكان يقسم بينهن سواء، وأرجى من نسائه خمسًا أم حبيبة، وميمونة، وسودة، وجويرية، وصفية، فكان يقسم لهن ما يشاء.

* الرد:

كما اعتدنا دائما في كلامكم أنه فيه شيء من الصواب والكثير من الخطأ والافتراء. فالصحيح أن هذه الآية نزلت في زوجات النبي صلى اللّه عليه وسلم. فقد روي عن عائشة أنها قالت: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: "اللهم هذا فعلي فيما أملك. فلا تلمني فيما تملك ولا أملك" – أخرجه أصحاب السنن الأربعة وإسناده صحيح، ورجاله ثقات – وقد زاد أبو داود: يعني القلب. ولهذا عقّب ذلك بقوله تعالى: ﴿وكان اللّه عليما﴾ أي: بضمائر السرائر، ﴿حليما﴾: يحلم ويغفر.

وقد أخرج ابن سعد عن أبي رزين قال: همّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن

يطلق نساءه. فلما رأين ذلك جعلنه في حِلّ من أنفسهن، يؤثر من يشاء على من يشاء. فأنزل الله: ﴿إنا أحللنا لك أزواجك﴾ الآية (٥٠) - إلى قوله - ﴿ترجي من تشاء﴾، الآية (٥١). ذكره السيوطي.

وهذا هو النبي، هو ذلك الرجل الذي كان يحاسب نفسه في أدق الأمور. فلما رأى ميل قلبه نحو بعض زوجاته دون الأخريات خشي أن يحاسبه الله على ميل قلبه. فما كان من نسائه إلا أن أزلن عنه هذا الذي يدور في نفسه، وجعلنه في حِلّ من أنفسهن يؤثر من يشاء على من يشاء.

*** ادعاء**

وتقولون: لقد سنّ محمد قانونًا بسبب غيرته على زوجاته ألا يتزوَّجن أحدًا أبدًا بعد موته فقال:

﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾. (الأحزاب ٣٣: ٥٣).

وسبب ذلك أن طلحة قال: إنه سيتزوج من ابنة عمه عائشة بعد موت محمد، فرأى محمد أن يمنعه من ذلك وقال بنزول هذه الآية حتى لا يتطلع الناس إلى نسائه بعد موته.

*** الرد:**

قال ابن عباس عن الآية (٥٣) من سورة الأحزاب: أنها نزلت في رجل همّ أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده. قال رجل لسفيان: أهي عائشة؟ قال: قد ذكروا ذلك. وقال السدي: إن الذي عزم على ذلك (طلحة بن عبيد الله) رضي الله عنه. حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك. ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده. **لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين**. وقد عظّم الله تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله: **﴿إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾**. ثم قال

تعالى: ﴿إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن اللّه كان بكل شيء عليما﴾، أي مهما تُكِنُّه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم فإن اللّه يعلمه، فإنه لا تخفى عليه خافية ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾.

ولكم أقول: نعلم أنه في حياتنا نحن قد نجد من تعيش على ذكرى زوجها بعد موته؛ لأنه كان حسن العشرة وطيب القلب، ودمث الخلق، أو أنها تحبه، وتأمل أن تكون له هو دون سواه في الآخرة، وتعلم أنها لن تستطيع أن تعوضه بمن هو مثله، فتظل ما بقي من حياتها دون زواج آملة بلقائه في الآخرة.

والسؤال الآن: هل يوجد على وجه البسيطة من هو أفضل من محمد صلى اللّه عليه وسلم؟ وهل لنساء يجعلن زوجهن في حِلّ من أنفسهن يؤثر من يشاء ويرجي من يشاء ليحتفظن به ترغبن في الزواج بغيره بعد موته؟ على الرغم من علمنا جميعًا بأن الشعور بالغيرة هو شعور فطري نابع من الحب. فعظيم الغيرة ينبع من عظيم الحب، وهم من أحببنه أكثر من أنفسهن، ولكنهن قد خشين أن يطلقهن النبي لوقوعه بين شقي الرحى؛ بين حبه لعائشة عن باقي نسائه، ورغبته في إقامة العدل مخافة من اللّه، فجعلنه في حِلّ من أنفسهن ليحتفظن به. فقد كن يذهبن معه حتى في غزواته غير عابئات بالموت، طلبا لرضاء اللّه وصحبة نبيه، فما بالكم برفقته في الجنة، فقد علم اللّه ضمائرهن ومدى حبهن للنبي وأنهن لم ولن يتزوجن بغيره بعد موته - فكيف يبدلن الأعلى بالأدنى - فأنعم اللّه عليهن بهذه الآية حتى يَكُنّ جميعا زوجاته في الآخرة أيضا، فيا له من شرف عظيم، فهنيئًا لهن.

يتزوج زوجة ابنه!

*** ادعاء**

جاء في سورة الأحزاب ٣٣: ٣٧ و٣٨ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ

أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا. مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا).

ونقولون: اتفق جميع مفسري المسلمين على أن محمدًا قال هذه العبارة في زينب بنت جحش، وكان قد زوّجها لزيد بن حارثة وهو ابنه بالتبني. وفي ذات يوم أتى محمد زيدًا لحاجة وأبصر زينب في درعٍ وخمار، وكانت بيضاء وجميلة وذات خَلْق من أتم نساء قريش، ولم يكن زيد في البيت فوقعت في نفس محمد وأعجبه حسنها فقال: "سبحان الله مقلّب القلوب". فلما جاء زيد ذكرت له ذلك، ففطن للأمر واحتاط لنفسه من عواقبه، وذهب لمحمد وقال له: إني أريد أن أطلّق صاحبتي. فقال محمد: ما لك؟ أرابك منها شيء؟ قال: لا، ولكن لشرفها تتعظم عليّ. فقال محمد: أمسِك عليك زوجك واتّق الله في أمرها. (قال محمد هذا خشيةً من الناس لئلا يعيّروه بأخذ زوجة ابنه، وأخفى في نفسه شهوته إليها). ولكن الفضل لجبريل الذي أنزل عليه ألا يخشى الناس وليجاهر برغبته في أخذها من ابنه، وألاّ يكون لجميع المسلمين حرج إذا أخذوا نساء أدعيائهم بعد أن يقضوا منهن مرادهم. فكيف ساغ لمحمدٍ أن يمد عينيه ويشتهي امرأة زيد أقرب الناس إليه؟ وكيف يدَّعي في مجلس العرب بغير ما في نفسه، ويستعدي جبريل على زيد ليحرمه من زوجته ليأخذها لنفسه! وبدل أن يندم ويستغفر يسبّح الله ويقول: سبحان الله مقلّب القلوب؟ وهل يليق بجبريل الطاهر أن يوافق هوى محمد ويجعل هذا الاغتصاب سُنَّة ويرفع الحرج عن جميع المؤمنين إذا ما أتوا مثل هذه الفضائح؟ ولهذا المنطق الأخلاقي كانت زينب تتباهى على سائر نساء النبي قائلة: إن الله تولى إنكاحي وأنتن زوَّجكن

أولياؤكن.

*** الرد:**

ولكم أقول: عجبًا لهذه القصة المفتراة أو لهذه الرواية الغريبة التي لم نسمع بشأنها إلا من ألسنتكم وأقلامكم، أو ألسنة الشيعة الذين يشككون في رسالة محمد ويجعلون من الله خاطئًا أنزل الرسالة بالخطأ على محمد بينما كانت الرسالة لعلي بن أبى طالب، فماذا ينتظر من قوم هذا معتقدهم، بل والأكثر أنكم تزعمون إجماع المفسرين على نصها كما أوردتموها الآن... ولكني أقول لكم على ما يبدو أنكم لم ترجعوا إلى مفسرين معترف بهم، بل عمدتم إلى مفسرين من وحي ونسج أوهامكم أنتم، فلترجعوا إلى تفسير ابن كثير في سورة الأحزاب لتعرفوا الجواب الصحيح ولتتثبتوا من عدم إجماع المفسرين على هذا الادعاء الذي لم يكن له هدف سوى تسفيه النبي وسبه...

وتتمادون في هذا لتقولوا كيف استساغ محمد لنفسه أن يمد عينيه ويشتهي امرأة زيد، أقرب الناس إليه؟

وقبل أن أجيب عن كل أسئلتكم بسرد الرواية الصحيحة، **فلتجيبوني أنتم أولا:** كيف استساغ أبوكم داود الذي أنتم من صلبه أن يشتهي امرأة أحد جنده؟ وليس الأمر اشتهاء فحسب بل تعدى مرحلة الاشتهاء بكثير وتجاوزها إلى مرحلة أبشع، فقد أرسل جنده حينما رآها وهي تستحم وعارية فوق المنزل ليأتوا بها ليقع بها وهي زوجة لأحد جنوده، ولم يَرِد أنه كان مغيبًا أو سكران في كتابكم المقدس، فما ادعيتم أنه حدث من داود ينكره كل دين وتنكره الفطرة السليمة، فهذا ردي عليكم إن قلتم أن محمدًا قد اشتهى زينب بقلبه.

أما بشأن قولكم كيف يشتهي محمد امرأة زيد وزيد أقرب الناس إليه؟ **فلتجيبوا أنتم أيضا:** كيف فعل داود أبوكم هذا الأمر مع امرأة أحد جنوده الذي

حينما عاد من الحرب وجده داود جالسًا فقال له: لماذا لم تذهب إلى أهل بيتك يا أوريا؟ فاستنكر أوريا الذي صورتموه أنبل من أبيكم، حيث رفض أن يدخل على أهل بيته، وإخوانه في القتال يموتون، وبدلا من أن يكافئه داود على إخلاصه وعلى حسن سلوكه، أوصى جنوده بأن يجعلوه في أماكن المعركة التي يصعب خروجه منها حيا ليتزوج هو بامرأته، وهذا هو ما ادعيتموه ضد أبيكم الذي أنتم من نسله، فإذا قبلتم هذا عن الذي جاء عيسى من نسله، فكم بالأحرى أن تفعلوا مع من تعتبرونه عدوًّا لكم وتعمدون إلى إنكاره، فأي الموقفين أفضل: موقف محمد أم موقف داود؟ هذا إذا كانت الحادثة كما تزعمون، ولأن الحادثة ليست كما تزعمون، فأرجو ألا أثقل عليكم وأنا أصطحبكم في رحلة سريعة إلى ما حدث بالفعل، فها هو الدكتور أحمد بهجت يروي لنا هذه القصة في كتابه "أنبياء الله" كما حدثت، وليس كما تريدونها أنتم.

فها هي زينب قريبة الرسول صلى الله عليه وسلم، من بني هاشم، والتي تعتز بنفسها اعتزازًا يدعوها إلى رفض الزواج من زيد بن حارثة، وهو مولى النبي الذي أعتقه وألحقه بنسبه وتبناه فصار يدعى زيد بن محمد، غير أنها تنزل على رأي النبي وأمر الله فتتزوج من زيد، وكان واضحا من البداية أن هذا الزواج سيتحطم، لم تكن زينب تحب زيدًا، ولم يكن زيد رجلا يطيق الحياة مع امرأة قلبها منصرف عنه، وجاء زيد يشكو للنبي صلى الله عليه وسلم ويطلب الإذن بطلاق زوجته، وأوحى الله إلى رسوله أن يدع زيدا يطلقها ويتزوجها هو، وأحس النبي بالحرج الهائل، وحدّث زيدا أن يستمر ويحتمل، فقد تصور ما يقوله الناس عنه من أنه تزوج امرأة ابنه، غير أن ما خشيه النبي هو ما يريد الله إبطاله، ليس زيدا ابنه فلا مجال لنظام التبني في الإسلام، وإذن فليطلق زيد زينب وليتزوجها النبي لإثبات ما يريد الإسلام إثباته، وليتحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه ما سيقوله الناس، فليست هذه أول تضحية ولا آخر تضحية يقدمها للإسلام، فقد كانت الظروف

التي أحاطت بزواجه صلى اللّه عليه وسلم تجعل من هذا الزواج بعض ما كُلِّف الرسول بحمله من سياسة الأفراد والجماعات، وبعض ما كلف بتحقيقه من إقامة الخير والرحمة، واحترام القيم الرفيعة وضمها لبيت النبوة.

وبعد أن عرفنا القصة الصحيحة فلكم أقول:

- إذًا فزواج محمد صلى اللّه عليه وسلم من زينب لم يكن إلا لهدف تعليمي على كافة الأصعدة.

- إعطاء الحرية للزوجة إذا كرهت زوجها أن تنفصل عنه بدلا من أن ترتكب إثما في حق نفسها أو في حقه إذا نتج عن هذا الكره ميل قلبها إلى غيره، فلا إثم في ذلك.

- كما أن هذه القصة جاءت إيضاحًا بأن الرسول صلى اللّه عليه وسلم لم يكن بزواجه من كل زوجاته بهدف الزواج، بل كان يُزَوَّج من قِبَل اللّه أحيانا، وكان زواجه يحمل أهدافا سامية.

كما أن اللّه سبحانه وتعالى قد جعل زينب إحدى الأقلام التي سطرت الشريعة، فنعم لم تكن السيدة زينب سعيدة بزواجها من زيد، وامتثلت في ذلك الأمر لرغبة الرسول صلى اللّه عليه وسلم، ولو أنها كانت تعلم ما ينتظرها بسبب هذا الامتثال والانصياع لأمر اللّه ورسوله لما حزنت.

- فقد كانت السيدة زينب بنت جحش إحدى الأقلام التي سطرت إلغاء عادة التبني في الإسلام.

- كما كانت إحدى الأقلام التي عرفنا بها الخلع في الإسلام.

- وكانت إحدى الأقلام التي من خلالها أبيح زواج امرأة الابن بالتبني من المُتَبَنِّى، حيث كان هذا الأمر مرفوضًا لدى العرب، فأراد اللّه أن يبطل هذا الأمر على يد السيدة زينب بنت جحش.

كان جزاء السيدة زينب على صبرها على الزواج من رجل لا تريده وتَحَمُّلُها ذلك

من أجل طاعة اللّه ورسوله أن أبدلها اللّه بزوج هو أفضل رجال العالمين، وضُمّت إلى بيت النبوة، فلو كانت تعلم السيدة زينب أن ذلك سيكون جزاءها ما حزنت.

حادثة الإفك

* ادعاء

جاء في سورة النور ٢٤: ١١ (إِنَّ الذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًا لكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

وتقولون: هل كان زواج محمد بعائشة بَرَكَة له أم لعنة عليه؟ قال ابن هشام: إن محمدًا تزوج ثلاث عشرة امرأة منهن عائشة التي كانت بنت ست لما عقد عليها وبنت تسع لما بنى بها (انظر ابن هشام وابن الأثير والمشكاة والبخاري). فلماذا يتزوج محمد وهو شيخ بطفلة في التاسعة؟ وإن كانت هذه عادة عرب زمانه، فلماذا لم يصلح نبي العرب عادة أهل زمانه بدل أن يمارسها معهم؟ ولماذا كان محمد يصطحبها معه في غدواته وروحاته حتى في الحروب، فتصبح سيرته وسيرتها مضغة في الأفواه كما حدث مع صفوان بن المعطل في غزوة المصطلق؟ ولقد كان علي بن أبي طالب حكيمًا وهو يقدم النصح لابن عمه ولِحَمِيِّه، ويقول له: لم يضيّق اللّه عليك، والنساء سواها كثير، ولكن عليا لم يكن يعلم مكانة عائشة في قلب محمد، وقد كان يقول عنها إنها بين نسائه كالثريد بين الطعام، فذهب محمد إليها وقال: "بلغني عنك ما بلغني فإن كنت بريئة فيبرئك اللّه، وإن كنت ألممتِ بذنبٍ فاستغفري اللّه وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب اللّه عليه". وسرعان ما جاء جبريل بوحيٍ يبرئ عائشة ويلعن الذين اتّهموها، وشغلت شهادة جبريل ولعناته ثماني عشرة آية من سورة النور.

وتقولون: ألا يرى العاقل أن محمدًا شحن قرآنه بشئونه الخاصة وشئون نسائه؟ وإذا كانت عائشة بريئة فلماذا لم يبرئها في الحال؟ ولماذا لبث الوحي مدة طويلة تاركًا إياها في بيت أبيها ومحمد مرتاب في عفتها؟

*** الرد:**

ولكم أقول: إننا إذا قارنا ما ذكر عن حياة محمد وزوجاته في القرآن فلن نجد غير هذه الحادثة تقريبا، بالإضافة إلى حادثة زواج الرسول من السيدة زينب بنت جحش والتي لم يرد اسمهما فيهما صراحة، ولكننا عرفناهما من كتب التفسير، وما روي عن السلف، هذا إذا قارناهم بعدد المرات التي ذكرت فيها السيدة مريم، أو غيرها من النساء، مثل امرأة فرعون (آسية بنت مزاحم)، وامرأة العزيز مع يوسف الصديق، وامرأة نوح وامرأة لوط وغيرهم.

- والسيدة عائشة هي أم المؤمنين ولم يكن زواج الرسول منها لعنة بل إنه عين البركة، تلك السيدة التي كانت تحفظ القرآن في قلبها وبيتها.

- أما بشأن زواج الرسول من ثلاثة عشر فهذا ليس بصحيح، فالوارد في الروايات الصحيحة أن زوجاته كنّ تسعًا، وقد ذكرتهن آنفا.

- وما أحدثه اللّه من تأخر الوحي لم يكن إلا الخير كل الخير، فتأخر الوحي دليل على مصداقية القرآن وعدم قدرة محمد على أن ينزل آية من تلقاء نفسه ولو لتبرئ زوجته، بل وأحب زوجاته إلى نفسه.

- وليس هذا فحسب، بل جعل اللّه تأخر الوحي فرصة سانحة لاستخراج ما بنفوس المنافقين من نفاق، حتى يعلمهم الرسول صلى اللّه عليه وسلم، ويعلمهم الناس.

- وما حدث لم يكن إلا درسًا للمسلمين على يد نبيهم الكريم، فلم تكن كل الأحداث التي تحدث لمحمد صلى اللّه عليه وسلم مجرد أحداث تمر بشخص عادي، بل

كانت أحداثًا تحدث لنبي، أي على مرأى ومسمع من كل الناس، وبالتالي لم يكن الهدف منها إلا هدف تعليمي، والهدف التعليمي هنا هو **(يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)**، ومحمد نفسه لم يكن إلا بشرًا، وهو لم ينزل نفسه غير هذه المنزلة، **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)**، فقد يتعرض للإيذاء والسب والافتراء كما تعرض له الرسل من قبل.

- وإذا كانت عائشة قد اتهمت وبُرِّئَت من قِبَل الله، وهي من أمهات المؤمنين، فقد جعلتم أنتم أمكم التي أتيتم جميعا من صلبها زانية، ألم تأتوا من صلب داود الذي زعمتم أنه وقع وزنا بامرأة متزوجة وهي امرأة أوريا الحثي؟ بل ورتّب وخطّط لهذا حينما أرسل زوجها إلى الحرب، وأمر بوضعه في المكان الذي يحتمل أن يكون أكثر خطورة للخلاص منه، فهذا ما أردتموه لأبيكم داود، وهذه هي أمكم التي أنجبت نبي اللّه سليمان والذي جئتم من صلبه، وحينما نتساءل عن السبب في أن تجعلوا أنبياءكم وأمهاتكم على هذه الصورة البشعة، تدّعون أن اللّه قد أراد أن يرسل إلى الخطائين خطائين مثلهم.

ولكم أقول: هل تتساوى حادثة السيدة عائشة والتي برّأها اللّه منها بهذه التي لداود وامرأة أوريا الحثي، وغيرها من الأمثلة التي يمتلئ بها العهد القديم الذي تعتبرونه جزءًا من كتابكم المقدس، وإذا كنتم تسألون عن السبب الفعلي الذي جعل الحادثة تأخذ كل هذه الأبعاد فقد كان السبب في ذلك كله هو أعداء الإسلام المحدقون به، الذين وجدوا أن قبضتهم العسكرية حول رقبة الإسلام تنهار، فعمدوا إلى أسلوب جديد في الحرب وهو الحرب النفسية وإطلاق الشائعات، فكانت هذه الحادثة.

والسؤال الآن موجه إلى الأخوة النصارى: لقد سألتم أسئلة كثيرة وكان علينا

الجواب، والآن فلنا أن نسأل ولتجيبوا أنتم، فدعونا نبدل الأدوار قليلا... ألم تتهم اليهود السيدة مريم بأنها أنجبت السيد المسيح سفاحًا من يوسف النجار قبل زواجهما وما زال هذا الاعتقاد قائمًا عندهم حتى الآن؟ ومَن المشكوك في نسبه؟ إنه من تعتبرونه إلهًا أو ابنًا للإله، ومن برّأها من هذا الادعاء؟ إنه ذلك الكتاب الذي ترفضونه وتشككون في وحي السماء به... **فلتجيبوا: هل ولدت مريم المسيح سفاحًا أم لا؟ وإذا كانت الإجابة بلا، فلتردوا على اليهود وتعطوا برهانا غير ما جاء به القرآن من تبريئها**، وإذا كنتم لا تستطيعون تبرئتها إلا من خلال القرآن فلكم أقول: إذا كنتم فشلتم في الدفاع عن أمِّ مَن تعتقدونه إلهكم، إذًا فيجب الاعتراف بأن ليس كل ما يقال هو عين الحقيقة، وأن ألسنة الناس ليست أقلام الحق، ولتتقوا يوما يجعل الولدان شيبًا، يومًا تنخلع منه قلوب بني الإنسان، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللّه شديد.

وإذا أردتم الحديث بشأن زواج الرسول من السيدة عائشة وهي بنت تسع فلكم أقول: إن الأخ المبجل الذي ألقى الأحكام جزافًا، لو أنه عاد إلى أي كتاب يتناول زواج الرسول وزوجاته لعلم أن الرسول قد تزوج من السيدة عائشة بهدف توطيد علاقته بأبيها أبي بكر، ومن حفصة بنت عمر لنفس السبب على الرغم من قلة وسامتها، وتكريمًا لعمر وأبي بكر وإعلاءً لشأنهما، غير أنه لم يدخل بالسيدة عائشة إلا بعد سن البلوغ، وهذا هو الوارد عندنا.

وهبته نفسها!

*** ادعاء**

جاء في سورة الأحزاب ٣٣: ٥٠ ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ

أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وتقولون: كان لمحمد ست عشرة زوجة وسرية، ومع ذلك سوّغ لنفسه أن ينكح كل من وهبته نفسها من غير حساب في العدد، إن رغب هو في ذلك، فهي له إن شاء هو! أخرج ابن سعد عن منير بن عبد الله الدؤلي أن أم شريك الدوسية عرضت نفسها على النبي وكانت جميلة فقبلها، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجلٍ خير، قالت أم شريك: فأنا تلك، فسمّاها محمد مؤمنة، وقال: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾، فلما قال محمد هذا قالت له عائشة: إن ربك يسارع في هواك!

*** الرد:**

ولكم أقول: بداية أحب أن أذكركم أن الأسانيد الصحيحة تُقِرّ بأن زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم تسع زوجات فقط لا غير كما ذكرت آنفًا، وإننا في حقيقة الأمر لا نعلم من أين تأتون بهذه الافتراءات، ولننظر إلى تفسير ابن كثير لهذه الآية لنرى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل أيًّا من وهبن أنفسهن له، فهذه الآية تعني أنه يحل لك أيها النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك، عن سهل بن سعيد الساعدي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت: يا رسول، إني قد وهبت نفسي لك، فقامت قيامًا طويلا، فقام رجل فقال: يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل عندك من شيء تُصْدِقُها إياه؟ فقال: ما عندي إلا إزاري هذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أعطيتَها إزارك جلست لا إزار لك، فالتمس شيئا". فقال: لا أجد شيئا، فقال: "التمس ولو خاتمًا من حديد". فالتمس فلم يجد شيئًا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "هل معك من القرآن شيء؟". قال: نعم، سورة كذا وسورة كذا... السورة يسميها، فقال النبي

صلى اللّه عليه وسلم: "زوجتكها بما معك من القرآن"... وقد كانت كثيرات من النساء تهب نفسها للنبي صلى اللّه عليه وسلم إلا أن ابن عباس قال: "لم يكن عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له. أي أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وإن كان ذلك مباحًا له ومخصوصًا به؛ لأنه مردود إلى مشيئته "أي رغبته بإذن من اللّه". كما قال اللّه تعالى: ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها﴾. وكلمة خالصة لك من دون المؤمنين. أي: ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا للنبي صلى اللّه عليه وسلم..... أتمنى أن يكون المعنى الصحيح قد وصل إليكم.

تعدُّد الزوجات

*** ادعاء**

جاء في سورة النساء ٤: ٣ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

تقولون: قال البيضاوي: ﴿إن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾. أي: إن خفتم ألاّ تعدلوا بينهم إذا تزوجتم بهن. ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾. أي: تزوجوا بغير اليتامى من ذوات الغنى والجمال اثنتين وثلاثًا وأربعًا. وإن خفتم ألا تعدلوا - بين هذا العدد ﴿فواحدة﴾ أي: تكفيكم واحدة. ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ أي: عددًا من السراري؛ لأن السراري لا تحتاج إلى كثير إعالة، وليس من نحوهن حرج في عدم العدل بينهن! وعبر عن النساء بكلمة ﴿ما﴾ التي تستعمل لغير العقلاء ذهابًا إلى إجراء من مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن.

وتقولون: أليست الأسرة هي خلية مصغرة للمجتمع؟ إن وجود رجل واحد بين

أربع نساء وعدد كبير من السراري مصنعٌ للمظالم، وميدان للبغضاء والمشاحنات، ومعمل لتخريج المطلقات والمشردين من الأطفال الأبرياء، وإذا تزوج الرجل بأربع وأكثر في آن واحد فلماذا لا تتطلع المرأة للتزوج بأربعة رجال في آن واحد؟ أليس العدل أن نراعي القانون الأصلي وهو حواء واحدة لآدم واحد؟

*** الرد:**

ولكم أقول: لقد جاء الإسلام على مجتمع تسوده عادات التعدد بلا حساب، ووأد البنات وعادات أخرى ذميمة، وبالتالي فما فعله الإسلام من عدم جواز الجمع بين أكثر من أربعة زوجات ما هو إلا تقنين للتعددية المطلقة التي كانت بلا حدود عند العرب، بل والأكثر من ذلك أن الإسلام قد جعل شرط التعدد هو العدل، وبالتالي فقد جاءت هذه الآية بمثابة تقنين هو أشبه بالتحريم.

وإذا كنتم تتحدثون على القانون الأصلي وهو حواء واحدة لآدم واحد، فلكم أقول: إن هذا القانون قد خُرِقَ منذ بدء الخليقة والنزول على الأرض، ولدينا من الأمثلة العديد ومن كتابكم المقدس، فها هو يعقوب الذي كان منه الأسباط الاثنى عشر يتزوج بليئة وراحيل وهن إخوة، ثم بزلفة وبلهة وكانتا خادمتين عند ليئة وراحيل، وها هو سليمان الحكيم الذي ذكر عندكم في كتابكم المقدس أنه تزوج من ألف امرأة، وداود الذي كان له العديد من النساء والسراري، وإبراهيم الذي تزوج بسارة وهاجر، وغيرهم من الأمثلة الكثير.

إننى أرى أن "**الشريعة اليهودية**" قد اعتنت بالرجل دون المرأة، حيث أباحت للرجل الزواج بمن يشاء من النساء، دون النظر إلى مشاعر زوجته... بينما نجد في "**الشريعة المسيحية**" أن الأمر قد انعكس، فقد اعتنت الديانة المسيحية بالمرأة دون الرجل، فلم ينظروا إلى مشاعر الرجل الذي كانت خِلْقَةُ الله فيه أن يَسَعَ قلبه أكثر من امرأة واحدة في آن واحد، على عكس المرأة التي فطرها الله على ألا يسع قلبها أكثر

من رجل في آن واحد... ثم جاءت "**الشريعة الإسلامية**"... نعم جاءت، جاءت بالخير والسلام النفسي، جاءت وسطًا بين الديانة اليهودية والديانة المسيحية، جاءت مراعية لفطرة الله في الرجال، كما أنها لم تجعل ضرر المرأة بلا حدود كما في شريعة موسى، ومعذرة إذا قلت ضررًا، فنحن كنسوة ورثنا الغيرة أُمًّا عن جدة، ونعتبر زواج الرجل بأكثر من واحدة إساءة، إلا إذا نظرنا إلى أهدافه الأخرى السامية والتي سأوضحها في سطوري القادمة.

فالله سبحانه وتعالى كان يعلم بعلمه القديم أن عدد الرجال سيصبح "واحد في مقابل أربعة من النساء"، كما تخبرنا الإحصائيات الحديثة، ولأن الله علمه فوق الزمان والمكان، ولأن شرعه غير محدود بفترة معينة تحكمها ظروف معينة، حيث كان يعرف بعلمه القديم هذا التضخم في عدد النساء، فأراد أن يفتح لهن سبيلا للحياة وللأمومة ولو على سبيل زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة إن قَبِلَت. كما أن الله سبحانه وتعالى لم يلقِ الأمور على عواهنها بالنسبة للرجل، فقد جعل لهذا الأمر ضوابط حينما قال: ﴿**فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة**﴾، فقد جعل العدل بين الزوجات شرطًا للتعددية، ثم قال: ﴿ولن تعدلوا﴾ زيادة في التقنين.

إذًا فقد جعل الله سبحانه وتعالى هذا الأمر مفتوحًا لبعض الحالات مثل النساء اللاتي يرغبن في الزواج ولا يجدن من يتزوجهن ممن لم يسبق لهن الزواج وتريد كل منهن أن تعف نفسها، أو لرجل شاهد امرأة وافتتن بها ويخشى على نفسه من الفتنة، فبدلا من أن يرتكب الفاحشة معها وينتج عن ذلك اختلاط الأنساب وشيوع الفاحشة، فكانت إباحة التعددية، وغيرها من الحالات الأخرى التي لم يكن لها علاج سوى تعدد الزوجات، فإذا قارنا الإسلام بالمجتمعات الغربية التي تدين بديانات أخرى تحرم التعددية فسنجد أن تعدد العشيقات أصبح هو البديل الوحيد في أغلب الزيجات، فالإنسان دائمًا ينظر نظرة محدودة، أما نظرة الله فبلا حدود، فهي

فوق حدود الزمان والمكـان. فسـبحان الله العظيم. جّلت حكمتـه. وعظـم جـوده. فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أما بشأن إباحة الله للرجال إمكانيـة الزواج بـأكثر مـن واحـدة في آن واحـد دون النساء فذلك لأنه لن ينتج عـن زواج الرجـل بـأكثر مـن واحـدة في آن واحـد اختلاط للأنساب. أما إذا تزوجت المرأة بأكثر من رجل في آن واحد فسيجهل تماما نسب الأبناء الناجين عن تلك الزيجات. وقد يتنصل كل منهم من الإنفاق على المولود متعللا بأنـه ليس ابنه. فمن منا يريد أن يلزم نفسه بأعباء وتبعات إذا كان هناك من يحملها عنه. وبالتالي فسيترتب على ذلك نزاعات وعدم استقرار داخل الأسرة.

ضرب الزوجات

*** ادعاء**

جاء في سورة النساء ٤: ٣٤ ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.

وتقولون: يصرح القرآن أنه إذا خافت المرأة من إعراض زوجها عنـها فلتلجـأ إلى هيئة تحكيم من أهلها وأهله ليُصلحا بينهما صلحًا. ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بينهما صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (سورة النساء ٤: ١٢٨).

ولكنه يقول إنه إذا خاف الرجل من إعراض زوجتـه عنـه فعليـه أن يعظهـا ثم يهجرها ثم يضربها سواء صفعًا باليد أو لَكْمًا بجمع اليد أو رفسًا وركلًا بالرجل أو نهشًا بالكرباج أو لفحًا بالعصا.

فأين هذا من قول الإنجيل: "أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ،

لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لا دَنَسَ فِيهَا وَلَا غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلَا عَيْبٍ. كَذلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضا لِلْكَنِيسَةِ. لِأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ. مِنْ أَجْلِ هذا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا " (أفسس ٥: ٢٥-٣١).

* الرد:

ولكم أقول: لم يأمر اللّه سبحانه بضرب المرأة إلا بعد الوعظ لمن يملكن الفهم، ومن هن في حالة نفسية سليمة، حيث بدأ بقوله: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾، أما من لسن في حالة نفسية سليمة فلهم حكم آخر. فعندما ينزل اللّه تشريعًا في قضية معينة فإنه يتناولها من كل أبعادها ومن كل زواياها، فنجد هنا أن المولى سبحانه وتعالى لم يقتصر على المرأة السوية فحسب، فهناك أنواع أخرى من النساء، وهن الناشزات اللاتي نزل فيهم ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾. والضرب والهجر في المضاجع للنساء من معجزات القرآن في فهم النشوز، وهو يتفق مع أحدث ما وصل إليه علم النفس العصري في فهم المسلك المرضي للمرأة. وحدثنا عن ذلك الدكتور مصطفى محمود في كتابه "حوار مع صديقي الملحد" قائلا: يقسم علم النفس هذا المسلك المرضي إلى نوعين:

النوع الأول: هو "**المسلك الخضوعي**": وهو ما يسمى في الاصطلاح العلمي "**ماسوشزم** " masochism وهو تلك الحالة المرضية التي تلتذ فيها المرأة بأن تضرب وتعذب وتكون الطرف الخاضع.

والنوع الثاني: هو "**المسلك التحكمي**": وهو ما يسمى في الاصطلاح العلمي "**سادزم**" Sadism وهو تلك الحالة المرضية التي تلتذ فيها المرأة بأن تتحكم

وتسيطر وتتجبر وتتسلط وتوقع الأذى بالغير، ومثل هذه المرأة لا حل لها سوى انتزاع شوكتها وكسر سلاحها الذي تتحكم به، وسلاح المرأة أنوثتها، وذلك بهجرها في المضجع فلا يعود لها سلاح تتحكم به. أما المرأة الأخرى التي لا تجد لذتها إلا في الخضوع والضرب فلا علاج لها إلا بالضرب، ومن هنا كانت كلمة القرآن ﴿واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾ (النساء: ٣٤) ففي هذه الآية إعجاز علمي وتلخيصي في كلمتين فيهما كل ما أتى به علم النفس في مجلدات عن المرأة الناشز وعلاجها.

الطلاق

*** ادعاء**

جاء في سورة البقرة ٢: ٢٣٦ ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

وتقولون: أباح القرآن للرجل بإرادته المنفردة بدون رجوعٍ لأحد في ما يريد أن يهدم أسرته ويقوّض أركانها ويشتتها، فيوقّع يمين الطلاق على زوجته، ومن المبكيات أن نرى الرجل المسلم إذا تشاجر خارج البيت وحلف اليمين ثلاثًا يطرد زوجته الآمنة من بيتها، لا لسببٍ إلا لأنه حلف في مشاجرة لا ناقة للمرأة فيها ولا جمل! ثم يقولون: إن أبغض الحلال عند الله الطلاق. فكيف يحلل الله شيئًا يكرهه؟ أليس الأصح أن ما يكرهه يحرِّمه؟

*** الرد:**

ولكم أقول: أمن الأفضل أن يعيش رجل مع امرأة يكرهها ولا يريد أن يعاشرها، وقد ينتج عن ذلك انحرافات للزوج لعدم كفاية زوجته له، أم أن يطلقها؟ ولأن الكره أو البغض ينتقل إلى الآخر مصداقا للمقولة القائلة "بين القلب والقلب رسول". فالبتالي ستنتقل مشاعر الزوج السلبية تجاه زوجته إليها، مما يجعلها

متعطشة لأول كلمة رقيقة تصادفها، مما يترتب عليه انحراف الزوجة أيضا، وقد ينتج عنه الخطيئة، واختلاط الأنساب، وغير ذلك من البلايا الكثيرة التي قد يكونان هما الاثنان في غنى عنها بتشريع الطلاق الذي تجد أنت ضرورة تحريمه.

وليس معنى سماح الله بوقوعه أن الله يحبه، فنحن نعلم أن يمين الطلاق يهتز له عرش الرحمن وأنه غير مستحب عند الخالق، ولكن علة تشريعه هو أنه قد يكون في بعض الأحيان هو الوسيلة الوحيدة التي تعيد الاستقرار النفسي إلى شخصيتين متنافرتين كان من الأصلح ألا تقوم العلاقة بينهما من الأساس.

أما بشأن الرجل الذي يحلف بيمين الطلاق في المشاجرة فيعتبر هذا اليمين يمينًا باطلًا يستوجب الكفارة لا الطلاق، فالأمر مرهون بنيته ساعة حلفه لليمين، فإذا كان لا يعني الطلاق بالفعل وإنما هو لغو في اليمين وجب عليه الكفارة، أما إذا كان يعنيه فهي طلقة واحدة لا تستوجب الطرد كما تدعون، أما إذا كرر هذا الرجل اليمين في أيام أخرى وحلف بمين الطلاق وهو يعنيه، ثم حلف في يوم آخر نفس اليمين وهو يعنيه أصبحت زوجته محرمة عليه، وفي هذه الحالة فخلاص هذه المرأة من رجل بهذا السلوك السيئ هو أفضل لها من الاستمرارية معه، فإذا حدث الانفصال ففي هذه الحالة ينبغي علينا أن نقول لها هنيئا لك، وعليها أن تشكر الله أن أنقذها من رجل شرير كهذا، وسيبدلها الله خيرا منه.

المرأة والمحلل (بعد الطلاق)

* ادعاء

جاء في سورة البقرة ٢: ٢٣٠ ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وتقولون: قال البيضاوي: {فلا تحل له من بعد}: من بعد ذلك الطلاق. {حتى تنكح زوجًا غيره}: حتى تتزوج غيره، وقد لعن رسول الله المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ له.

وتسألون: ألا يستنكر العقلاء هذا النظام الغريب؟ لماذا يصرّح القرآن بصلح المطلقة ورجوعها إلى زوجها بشرط أن تجامع رجلًا غيره يسمى محللًا؟ ولماذا لعن محمد المحلل والمحلل له؟ أليس الأحق باللعنة هو المشرع؟.... وكثيرًا ما تكون امرأة لها زوج عظيم وأولاد وبنات هم سادة مجتمعهم، وفي حالة غضبٍ يطلّقها زوجها، ثم يندم على ما فعل، فإذا الشرع القرآني يُلزم هذه السيدة أن تُجامع غير زوجها قبل أن تعود إليه.

* الرد:

ولكم أقول: هل تعلمون من هو المحلِّل الذي لعنه محمد صلى الله عليه وسلم، إنه ذلك الرجل الذي يأتي بالاتفاق مع الزوج والزوجة الذي وقع الطلاق بينهم ثلاث مرات ليتزوج هذه المرأة حتى يتمكن الزوج من الرجوع إليها، وقد أطلق عليه الإسلام "**التيس المستعار**". ولقد ذكرت أنت في السطور القليلة الماضية ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه القضية "**لعن الله المحلل والمحلل له**". حيث إن إتيان المطلق زوجته ثلاث برجل يتزوج مطلقته يطؤها أو لا يطؤها لمدة يوم أو يومين زاعمًا بذلك أنه يحلها له فهذا أمر منهي عنه شرعًا، والحكم الشرعي في ذلك هو بطلان العقد الثاني، وعدم تحليلها للزوج الأول.

أما بشأن قولك: لماذا لم يحل الله رجوع الزوجة إلى زوجها الأول إلا في حالة زواجها برجل غيره إذا كان قد قام بتطليقها ثلاثًا، فلكم أقول: إن هذا الشرط القاسي ما هو إلا دعوة للرجل للسيطرة على لسانه، فهذا الرجل يعلم جيدا أنه بعد الطلقة الثالثة لا تحل له هذه المرأة أبدا إلا إذا تزوجت برجل غيره زواجا شرعيًّا مكتمل الأركان، ومكتمل الأركان: أي أنها لا تبغي بزواجها بالرجل الثاني الرجوع إلى الزوج

الأول، وإنما تتزوجه لإقامة أسرة على منهج الله وشرعته، فإذا حدثت نفرة بينهما لسبب أو لآخر وكان الطلاق، فيمكنها في هذه الحالة فقط الرجوع إلى الزوج الأول، حيث تعتبر في هذه الحالة مثلها مثل أي امرأة أخرى.

فشرع الله في هذا الأمر لم يكن إلا وسيلة ضغط على الرجل ليتريث ويفكر مليًّا قبل تطليق زوجته للمرة الثالثة؛ لأن ليس من بين الرجال من يستسيغ فكرة زواج امرأته بآخر ثم عودتها إليه ثانية، وهذه العودة مشروطة بزواجها زواجا شرعيًّا مكتمل الأركان والذي يتعذر معه معرفة الزوج هل من الممكن أن ترجع إليه زوجته ثانية أم لا، هذا إذا تزوجت، أما إذا لم تتزوج غيره فلا يجوز لها الرجوع إليه، وبالتالي فصعوبة هذا الموقف تجعل الرجل يفكر ألف مرة قبل أن يطلق زوجته للمرة الثالثة، وكذلك تفكر المرأة مرارًا قبل طلب الطلاق للمرة الثالثة... ولكن إذا تمكنوا من تجاوز هذه العراقيل النفسية وهي تبعات الطلاق للمرة الثالثة، فلا شك أن الانفصال هو الحل الأمثل، فعدم قدرتهما على تجاوزها تعني أن كلًّا منهما قد انفصل نفسيًّا عن الآخر، وبالتالي يصبح الاتصال الجسدي لا قيمة له، ولأن هذا الكتاب لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولأن هذا الأمر هو أحد الأمور الحياتية المتوقعة الحدوث، فكان لا بد من نزول نص شرعي بشأنه.

شهادة المرأة نصف شهادة الرجل!

*** ادعاء**

جاء في سورة البقرة ٢: ٢٨٢ ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾.

وتقولون: قال البيضاوي: ﴿واستشهدوا شهيدين﴾: واطلبوا أن يشهد على الدَّيْن

شاهدان. ﴿من رجالكم﴾: من رجال المسلمين. وهو دليل اشتراط إسلام الشهود. وإليه ذهب عامة العلماء. وقال أبو حنيفة: تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض. ﴿فإن لم يكونا رجلين﴾: فإن لم يكن الشاهدان رجلين. ﴿فرجل وامرأتان﴾: فليشهد رجل وامرأتان. ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾: إن ضلت. وفيه إشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن.

وتسألون: كم هو مقدار الغُبن والمهانة التي تشعر بها السيدات من هذا المبدأ المهين البعيد كل البعد عن مبدأ المساواة في الشخصية الإنسانية؟ كم من امرأة واحدة فاضلة خير من عديد من الرجال الجهال؟

*** الرد:**

وأقول لكم: سأسألكم أولًا قبل أن أجيب عليكم: من منكم أيها الرجال يقبل أن تقوده المرأة داخل بيته؟ أجدني أسمع الإجابة. فغالبا لا يوجد هذا الرجل بين أكثر من ٩٠٪ من الرجال. وهذا بالفطرة. أتعرف لماذا؟ لأن اللّه خلقك بتكوينك أنت العقلي والجسماني أقوى من المرأة. فوجدت نفسك بالفطرة والتجربة معًا أنك أنت الأصلح للقيادة إلا في بعض الحالات التي تتحدث أنت عنها من السيدات الفضليات اللاتي يتصفن برجاحة العقل والقدرة على ضبط النفس. فالنساء ناقصات عقل ودين. نعم ناقصات عقل ودين. فناقصات عقل لأنهن يحكمن العاطفة والقلب أكثر من العقل. وناقصات دين نظرًا لتلك الفترة التي تمتنع فيها المرأة عن أداء الفرائض والشعائر الدينية. وهي فترة الحيض.

ولأنهن يحكمن العاطفة في أغلب الأمور فقد اعتيد على أن تكون القيادة للرجل. وأمر التطليق للرجل؛ لأنه لو كان أمر التطليق بيد المرأة لطلقت المرأة زوجها بعد خامس مشكلة كبيرة تعترض حياتهما لو كانت حكيمة. أما إذا كانت طائشة فسيأتي تطليقها لزوجها بعد أول مشكلة تعترض حياتهما. فالنساء خلقن من

ضلع أعوج إن أنت أردت إقامته كسرته. فإذا أردت أن تستمتع بهن فعليك أن تستمتع بهن على هذا العوج. ويلمس ما أقوله هذا أغلب الرجال المتزوجون إن لم يكونوا جميعا.

ولأن اللّه هو أدرى بمن خلق فقد أتى شرعه مصداقا للواقع الذي خلقنا عليه. كما أن اللّه سبحانه وتعالى لم يجزم بأن احتمالية الضلالة هي لكل النساء على الإطلاق. فقوله (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) أعطى احتمالية الضلالة لإحداهما. كما أعطى احتمالية الرشد للأخرى. والنوعية الثانية هي التي تتحدث عنها أنت حينما قلت كم من امرأة واحدة فاضلة خير من عديد من الرجال الجهال. ولكن اللّه غيرك وغيري. فهو يعلم أن هناك فضليات. ولكنه سبحانه يعلم أيضا أن هناك طائشات. فلذلك أمر باثنتين للشهادة. فإن كانتا فضليات فبها ونعم. أما إن كانت إحداهما طائشة فلتذكرها الأخرى.

فكما أن اللّه لم يكتفِ في الشهادة برجل واحد لأنه قد يكون على ضلالة وأمر برجل آخر كشرط لصحة الشهادة. فأمر بامرأتين حتى تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت وذلك من باب الحرص على مصالح العباد.

ميراث المرأة نصف ميراث الرجل

*** ادعاء**

جاء في سورة النساء ٤: ١١ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾.

وتقولون: قال البيضاوي: (للذكر مثل حظ الأنثيين). أي: يعد كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه. ويخصص الذكر بالتنصيص على حظه لأن القصد إلى بيان فضله والتنبيه على أن التضعيف كافٍ للتفضيل.

ونحن نسأل: لماذا لا يتساوى الولد والبنت في الميراث؟ أليس لكلٍ منهما جسد يحتاج للكساء، ومعدة تحتاج للقوت؟ أليست مطالب المعيشة على كليهما واحدة؟ بل قد تكون أقسى على البنت وهي قاصر أو عانس أو أرملة؟

*** الرد:**

ولكم أقول: لم يتساوَ الولد بالبنت في الميراث لأن اللّه كلف الرجل بالإنفاق ولم يكلف البنت. **فاللّه عز وجل يقول: (الرجال قوامون على النساء بما فضل اللّه به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**". وبالتالي فحق المرأة في الميراث هو لها، وليس من حق زوجها أن يجبرها على الإنفاق منه، أما الرجل فينفق عليها من ماله ولها حق الكساء والغذاء والمسكن، ولأولادها نفس الحقوق، أما المرأة فغير مكلفة بالإنفاق عليهم، ولذا فإذا نظرنا إلى الأمر كعملية حسابية فسنجد أن نصيب المرأة قد يفوق نصيب الرجل، فنصيب الرجل له ولامرأته وللنفقة على أبنائه. أما زال عندكم شك في العدل الإلهي؟!

أما إذا قارنا المرأة في الإسلام بالمرأة في الديانات الأخرى فسنجد أنها ميزة عن سواها في غيرها من الديانات التي جعلت ملكية الزوجة تنتقل إلى الزوج بمجرد الزواج، فهذا هو المتعارف عليه في أغلب الدول الأجنبية مثلا. فأيهما أفضل إذن، المرأة في الإسلام، أم المرأة في الديانات الأخرى.

ونقرأ في سفر العدد ٣٦ – ٢: ٣ عن المواريث الآتي: "**وقد أمر سيدي الرب أن يعطى نصيب صلفحاد أخينا لبناته. ٣ فإن صرن نساء لأحد من بني أسباط بني إسرائيل يؤخذ نصيبهن من نصيب آبائنا ويضاف إلى نصيب السبط الذي صرن له... ثم يقول.... ٨ وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بني إسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها، ولكن يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه. ٩ فلا يتحول نصيب من سبط إلى سبط آخر**". أما نصيب المرأة في الإسلام فلا علاقة للزوج به

كما ذكرت آنفا.

وبشأن قولك أن متطلبات المعيشة قد تكون أقسى على البنت إذا كانت قاصرًا، أو مطلقة، أو أرملة أو عانسًا فالإسلام يقول لك أن مسئولية القاصر هي على وليها، سواء أكان الأب، أو الأخ، أو العم، أو الخال، أي على رجل أيضا، وكذلك المطلقة أو الأرملة أو العانس، فهلا علمت أن اللّه لم يظلمها، وأنه أعطى الرجل الضعف؛ لما كلف به من الإنفاق في كل المناحي التي تحدثنا فيها آنفا.

رجل به جِنّة

*** ادعاء**

تقولون: جاء في سورة المؤمنون ٢٣: ٢٥ ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾.

*** الرد:**

ويفسر لنا الشيخ الشعراوي هذه الآية في (المجلد السادس عشر من تفسير الشعراوي - ص ١٠٠١١، ١٠٠١٢)..... (إن هو): يعني ما هو، و (جِنّة): يعنى جنون، وهو ستر العقل الذي يسيطر على حركة الإنسان في الحياة فيسير حسب تقنياتها (افعل كذا ولا تفعل كذا)، فالمجنون يعمل ما يخطر له دون أن يعرض الأعمال على العقل أو التفكير، لذلك من عدالة اللّه في خلقه أننا لا نؤاخذ المجنون على تصرفاته حين يعتدي على أحد منا بالسب أو الضرب مثلا، ولا نملك إلا أن نبتسم له، وندعو اللّه أن يعافينا مما ابتلاه به.

فإن كان هذا حال المجنون في حركة حياته، فهل يكون ذو الخلق الذي يسير وفق قوانين الحياة ومحكوما بنظم وقيم خلقية، هل يكون مجنونا؟ ومن العجيب أن تهمة الجنون هذه سائدة على لسان المكذبين للرسل في كل زمان ومكان، وقد اتهم

بها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فرد اللّه عليهم ونفى عن رسوله هذه الصفة في قوله: **(ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون، وإن لك لأجرًا غير ممنون، وإنك لعلى خلق عظيم)**.

فكيف يكون ذو الخلق مجنونا؟ ولو كان صلى اللّه عليه وسلم مجنونًا فلماذا استأمنوه على ودائعهم ونفائسهم، واطمأنوا إليه، وسموه الصادق الأمين؟ إنهم ما فعلوا ذلك إلا لأنهم يعلمون خلقه، وأنه محكوم بقيم من الحق والخير لا تتزحزح، وما دام الأمر لا يعدو أن يكون رجلا به جنة (فتربصوا به حتى حين)، أي: انتظروا واتركوه وشأنه، فربما عاد إلى صوابه، وترك هذه المسألة من تلقاء نفسه حين يرانا منصرفين عنه غير مهتمين به، أو دعوه فإن كان على حق ونصره اللّه وأظهر أمره عندها نتبعه، وإن كانت الأخرى فها نحن معرضون عنه من بداية الأمر.

والسؤال لكم الآن: ألم يظهر اللّه أمر محمد؟ ألم ينصره؟ ألم يرفع ذِكْرَه وذكر دينه بين الخلائق؟ وهل لنا أن ننعت الرجل الذي تعيش رسالته في قلوب الملايين من البشر حتى الآن وبعد رحيله بما يقرب من ١٤٠٠ سنة بأنه مجنون؟ فواللّه لو قلتم ذلك لنعتناكم أنتم بالجنون؛ لأن المجنون كما قال الشيخ الشعراوي هو الذي يفعل أو يقول ما يخطر له دون أن يعرضه على العقل أو التفكير، والذي تقولونه هذا إن دل على شيء فإنه لا يدل إلا على أن هذا الكلام الذي تقولونه لم يمر على العقل عندكم مطلقا.

أهله من أصحاب الجحيم!

*** ادعاء**

جاء في سورة التوبة ٩: ١١٣ و١١٤ (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا

كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ).

وتقولون: قال البيضاوي: روي أن النبي قال لأبي طالب لما حضره في الوفاة: قُل كلمة أحاجّ لك بها عند الله. فأبى. فقال: لا أزال أستغفر لك ما لم أُنْهَ عنه. فنزلت. وقيل لما افتتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرًا. فقال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار فلم يأذن لي، وأنزل عليَّ الآيتين.

قال قتادة: قال محمد: لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه. فنزلت هذه العبارة. واتفق المفسرون على أن محمدًا كان يطلب المغفرة لأبيه عبد الله وأمه آمنة وعمه أبي طالب، وأن الله نهاه وزجره عن ذلك زجرًا أبكاه؛ لأنهم مشركون وقد صاروا من أصحاب النار، وما أبعد الفرق بينهم وبين العذراء مريم وابنها!

* الرد:

ولكم أقول: إذا كنتم ترون أنه ما أبعد الفرق بين أهل المصطفى صلى الله عليه وسلم وبين العذراء مريم وابنها! فلكم بالأحرى أن تقولوا ما أبعد الفرق بين أبيكم إبراهيم وأهله وبين العذراء مريم وابنها، ألم يكن إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء الذي أتينا جميعا من صلبه؟ ألم يكن أهله عبدة أصنام، بل والأكثر من ذلك أنهم كانوا صانعين لهذه الأصنام؟

أتنكرون محمدًا وقومه، أم تنكرون النبي الذي أتيتم من صلبه، فهل كُفْر قوم محمد يعني أن محمدًا لا يجدر به أن يكون نبيًّا وهاديا لأمة؟ فإذا كان ذلك ما تستندون عليه في إدعائكم فإنه بالمثل لا يجدر بإبراهيم عليه السلام أن يكون أبا للأنبياء وأبا لنا وهو ابن لعبدة وصانعي الأصنام، وحاشا أن نقول هذا.

فإذا أنكرتم محمدًا لهذا السبب، فعليكم أيضا أن تنكروا إبراهيم، وبالتبعية تنكرون ما تدّعون أن الله قد وعده به، والذي تتشدقون به دائما من أن الأنبياء

سيكونون من نسل إسحاق. والذي اتخذتموه سندًا للإقرار بأن عيسى عليه السلام هو النبي المنتظر الذي بشرت به التوراة. وإلا لوضعتم كتابكم المقدس محل شك وتكذيب منكم أنفسكم. ولكان عليكم أن تشككوا في أمر عيسى نفسه.

غزواته

* ادعاء

جاء في سورة الأنفال ٨: ٣٩ و٦٥ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ... يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾.

وتقولون: وهل يحتاج الله للعنف والسيف لينشر فكره؟ لقد حلل محمد لنفسه ما سبق تحريمه. فحرَّض أتباعه على القتال وأوصى بالغزو والجهاد في سبيل الدين. مع أنه لما كان في مكة كان يعلّم أنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (سورة البقرة ٢: ٢٥٦). ولكن لما اشتدّ ساعده في المدينة بعد الهجرة ووجد نفسه محاطًا بذوي السيوف البتارة من أتباعه هجم على اليهود بقرب المدينة وسفك دماء الأكثرين وأوصى بمجاهدة جميع الخارجين عنه ليكون الكل من أتباعه. وقد فاته أن الله لا يسود العالم بالقسوة بل بالمحبة. فالله محبة.

كما تقولون: أن السيف هو حجة من لا يحتمل المناظرة.

* الرد:

ولكم أقول: إذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد ساد العالم بالقسوة كما تزعمون فما هو السر في دخول الناس في دين محمد إلى اليوم وبعد ١٤٠٠ سنة أفواجا بدون سيف. هل تعلم لماذا؟ لأن السيف الحقيقي الذي يحمله هذا الدين هو حجة العقل والمنطق. هو احترام العقل والفكر الإنساني. ولنرى سويا ما قاله أحمد

بهجت في هذا الصدد في كتابه "أنبياء الله" حيث قال: إن محمد بن عبد الله لم يقهر أحدًا على شيء، آمن به من آمن عن رضا واقتناع، ومات معه من مات عن رضا واقتناع، لم يحمل هو السيف إلا حين اقترب السهم المسموم من قلب الإسلام وهدده، بعدها لم يكن السيف في يد الإسلام إلا مشرط جراح يشق الجسم الإنساني إنقاذًا للجسم الإنساني ورحمة به ورغبة في شفائه، ولم يحمل السيف كما ذكرت إلا بعد الهجرة إلى المدينة، ولكن ليس لأنه اشتد ساعده في المدينة كما تزعم، ولكن لأن النبي قد أدرك أن الإسلام لن يقضي عمره في صد الهجوم عن نفسه، فهو يريد للإسلام أن ينتشر، يريد أن يؤسس دولته الأولى، وهي دولة لا تُعرف دولة غيرها من دول الأرض بلغت ما بلغته من عدالة ورحمة وواقعية ومثالية وتفانٍ في الله واحترام للإنسان.

ويثبت علماؤنا اليوم أن الحروب التي اشتبك فيها الإسلام على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه كانت فريضة لحماية الحق، ورد المظالم، وقمع العدوان، وكسر الجبابرة، بعد ذلك كانت حروب الإسلام لتحرير رقاب العبيد والمضطهدين، وليس يضير الإسلام أن يسخره أحد الحكام لإرواء شهوة الفتح... وإنما يضير ذلك مَن استخدَم الإسلامَ بدلا من أن يستخدمه الإسلام.

أما بشأن الآيات التي أوردتموها وتقولون أن النبي قالها حينما كان مستضعفًا في مكة، فلكم أقول: إن أكثرية آيات القرآن نزلت في مناسبات، فلا يجب أن تؤخذ الآيات هكذا دون ربطها بالحدث الذي نزلت فيه أو معرفة المناسبة التي قيلت فيها، وقد سبق الإشارة إلى مناسبة بعض الآيات في مواضع سابقة.

أما قولكم: إن السيف هو حجة من لا يحتمل المناظرة، فلكم أقول: كيف تدّعون أن الدين الإسلامي دين لا يحتمل المناظرة، أما سمعتم من قبل عن مناظرات أحمد ديدات، وكم من القساوسة والنصارى أسلموا على يديه؟ ألم نستطع نحن الرد

على افتراءاتكم وهجومكم علينا الآن؟ وإذا كان هذا، فكيف تدعون أن الإسلام انتشر بالسيف الذي هو حجة من لا يحتمل المناظرة؟ فلتجيبوا أنتم.

ولو أنكم قرأتم كتابكم المقدس جيدا، وسرتم على تعاليمه، لعلمتم أن السيف هو قانون متعارف عليه لنشر الدين وإعلاء كلمة الله قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بأزمنة بعيدة.

فها هو موسى يقول في سفر التثنية ٢٠ – ١٠: ١٧...... " **حين تقترب من مدينة لكي تحاربها ادعها إلى الصلح. ١١ فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. ١٢ وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا، فحاصرها. ١٣ وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. ١٤ وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك. ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا والتي ليست من هؤلاء الأمم هنا. ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما. ١٧ بل تحرمها تحريما** ".

الجزية

*** ادعاء**

جاء في سورة التوبة ٩: ٢٩ ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.

وتقولون: كيف يبيح قوم لأنفسهم أن يقاتلوا الناس باسم الدين ويخيّروهم بين الإسلام أو الموت أو الجزية؟

*** الرد:**

إن ما جاء في سفر التثنية ٢٠- ١٠: ١٧ خير جواب عليكم، إذا كنتم تؤمنون بموسى كنبي، وتؤمنون بالتوراة ككتاب من عند الله، حيث يحدثنا موسى عن القانون الذي يجب أن نسير عليه في حالة الحرب والذي ذكرته آنفا في السؤال السابق، فتكاد أن تكون هذه الفقرة في سفر التثنية دعوة إلى القتال والموت.

أما الإسلام فلم يأمر بالموت بدليل الجزية، فقد كان المسلمون يدخلون المدينة فيخيرون أهلها بين الإسلام أو أن يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية، فإذا امتنعوا عن هذا وذاك وقاوموا المسلمين وحاربوهم لإفشال ما عمدوا إليه وحاولوا قتلهم، في هذه الحالة فقط كان يلجأ المسلمون إلى القتال.

وقد كان نظام الجزية هذا موجودا منذ الكتابيين (اليهود والنصارى) أي لم يبتدعه النبي صلى الله عليه وسلم، وسأذكر لكم واقعة من أناجيلكم تؤكد صدق ما أقول وتؤكد إقرار المسيح عليه السلام لها، فنجد في (إنجيل متى الإصحاح ٢٢- ١٥: ٢٢) أن الفريسيين ذهبوا يوما ليتشاوروا ليصطادوا المسيح بكلمة للإيقاع به.

" ١٦ فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيروديسيين قائلين: يا معلم، نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق، ولا تبالي بأحد، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس ١٧ فقل لنا ماذا تظن؟ أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا؟ " ١٨ فعلم يسوع خبثهم وقال: "لماذا تجربونني يا مراؤون؟ ١٩ أروني معاملة الجزية" فقدموا له دينارًا ٢٠ فقال لهم: "لمن هذه الصورة والكتابة؟" ٢١ قالوا له: "لقيصر" فقال لهم: "أعطوا إذًا ما لقيصر لقيصر وما لله لله".

فالجزية هي نظير العيش في أمان والخدمة التي تقدمها الدولة الإسلامية لرعاياها والتي يتمتعون بها في ظلهم، وقد كان المسلمون يدفعون مثيلا للجزية

ولكن تحت مسمى آخر وهو (زكاة بيت المال). وندفعها نحن حتى الآن تحت مسمى (الضرائب). فما التناقض وما العجب في ذلك؟!

ويؤكد ما قلته في شرح موضوع الجزية الآية القادمة من سورة آل عمران وهي الآية (٢٠) وهو أن المسلمين لم يكرهوا أهل الكتاب على الإسلام بدليل الجزية التي كان يدفعها غير المسلمين **(وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد)**.

الإكراه على الزكاة

*** ادعاء**

جاء في سورة التوبة ٩: ٥٨-٦٠ **(وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)**.

وتقولون: جاء في كتاب المرشد في الدين الإسلامي الذي طبعته وزارة التربية والتعليم المصرية سنة ١٩٤٦ عن محاربة مانعي الزكاة: أرسل الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد لمحاربة مانعي الزكاة. فقصد إلى البطاح لمقاتلة مالك بن نويرة. وما زال به حتى صرعه. وعاد قومه إلى إخراج الزكاة (صفحة ١٣٩).

ونحن نسأل: إذا كانت الزكاة ركنًا من أركان الدين. والدين لله. فهل يُعتبر الدين دينًا قيِّمًا إذا كنا نمارسه لا رغبةً وتطوعًا بل جبرًا وقسرًا! إن زكاةً يجمعها سيف خالد بن الوليد وأمثاله يرفضها الله لأنها ليست إحسانًا.

*** الرد:**

ولكم أقول: للإجابة على سؤالك هذا أريد أن أحدثك أولا..... هل تعلم كم مسيحي يتقدم إلى الكنيسة في كل يوم يشتكي زوجته ويرغب في تطليقها، وكم امرأة لا ترغب في أن تكمل الحياة مع زوجها، وهل تعلم كم امرأة ورجل من النصارى منفصلين داخليًّا تماما عن أزواجهم وربما يقطن كل منهما في مكان بعيد عن الآخر، وهل تعلم ما يترتب عليه هذا من انحرافات أخلاقية ونفسية لكل منهم، فأنتم تمارسون هذا الركن من الدين المسيحي وأنتم مكرَهين، بدليل ما نسمع عنه في كل يوم من تحول فلان المسيحي من طائفته الدينية إلى الطائفة الأخرى التي تبيح الطلاق ليخرج من تحت إمرة كنيسة معينة لا تبيح الطلاق، وهذا الركن في دينكم وبشهادة الكثيرين من النصارى تمارسونه جبرًا على الرغم من كونه بندًا أساسيًّا عندكم في الديانة المسيحية، إذن فليس كل ما يخص أمر العقيدة والدين لنا حق الاختيار فيه.

فحينما يتعلق الأمر بنص سماوي ليس لنا إلا الانصياع وخاصة حينما تتجلى لنا الحكمة الإلهية من هذا النص، فالنفس البشرية دائما نهمة إلى ما تريده، فإذا افترضنا أن النفس طلبت الزنى وارتكبته وعوقب المسيء، **فهل لنا أن نقول إذا كان تحريم الزنى ركنًا من أركان الدين، والدين لله، فهل يُعتبر الدين دينًا قَيِّمًا إذا كنا نمارسه لا رغبةً وتطوعًا بل جبرًا وقسرًا!...** بالطبع لا، ولأن المال والسلطة والنفوذ وما إلى ذلك هي من مغريات الحياة أيضا مثلها مثل شهوة الجسد، فإذا تركت الأمور على عواهنها بدون ضابط فستكون النتيجة الحتمية هي انتشار الفاحشة، وانتشار الجوعى والعراة، في حين أن هناك من تكتظ خزائنهم بالأموال التي لو أفنوا أعمارهم وأعمارًا مع أعمارهم ما تمكنوا من إنفاقها، هؤلاء الناس الذين تمتلئ بطونهم بأشهى الأطعمة وهناك جوعى، وتمتلئ خزائن ملابسهم بالحرير وأجود

أنواع الملابس وغيرهم لا يرتدون سوى الرديء الذي لا يكاد يستر أجسادهم، فأي عدالة هذه، فقد جاء الإسلام تهذيبًا للنفس البشرية، مرتقيا بها إلى عالم من المحبة الصافية والأخوة في اللّه لتحقيق التوازن الاجتماعي، وإعطاء كل ذي حق حقه... فزكاة المال هي حق الفقير في مال الغني الذي أعطاه اللّه له - وهو قادر على أن يسترده - ليرى هل سيعرف حق اللّه في هذا المال، أم أنه سيبطش ويمنع ويحرم هذا الفقير من حقه الشرعي في ماله، فالزكاة اختبار للغني في الشكر على النعمة بإعطاء حق الفقير، واختبار للفقير بالصبر على أن يكون اليد الدنيا التي تأخذ. فتشريع اللّه نحتاج جميعًا إلى قلوب مفتوحة لتفهمه، وليس إلى قلوب وعقول برمجت على الرغبة في عدم الفهم.

الغنائم

* ادعاء

جاء في سورة الأنفال ٨: ٤١ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

وتقولون: قال البيضاوي: ﴿واعلموا أنما غنمتم﴾ أي: الذي أخذتموه من الكفار قهرًا. ﴿من شيء﴾: مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط. ﴿فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾: فكأنه قال: فإن للّه خمسه يُصرف لهؤلاء الأخصين به، وحكمه بعدُ باقٍ. غير أن سهم الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه يصرف إلى ما كان يصرف إليه من مصالح المسلمين، وقيل: للإمام. وذو القربى: بنو هاشم وبنو المطلب، وقيل: جميع قريش الغني والفقير فيه سواء. والآية نزلت ببدر، وقيل: الخمس كان في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة.

ونحن نسأل: كيف تُستباح أموال الناس بعد إراقة دمائهم باسم الله؟ وكيف يأخذ القائد الديني غنيمة؟

*** الرد:**

ولكم أقول: يقول موسى في سفر التثنية ٢٠- ١٠: ١٧

"حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. ١١ فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك. فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستَعْبَد لك ١٢ وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ١٣ وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة. كل غنيمتها. فتغتنمها لنفسك. وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك".

فالغنيمة منصوص عليها في كتابكم المقدس في أسفار موسى التي تضم شريعته. والتي أتى بها من عند الله. فلِمَ تنكرون على المسلمين هذا الأمر؟!

أما بشأن قولكم: كيف يأخذ القائد الديني غنيمة؟ فيقول عمرو بن عنبسة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى بهم في غزوة إلى بعير من المغنم. فلما سلّم أخذ وبرة من هذا البعير بين أنملتيه ثم قال: **"ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذه إلا الخمس. والخمس مردود عليكم".**

وقال عطاء: خُمس الله والرسول واحد يحمل منه ويصنع فيه ما يشاء. فهو يتصرف في الخمس الذي جعله الله له بما شاء ويرده في أمته كيف شاء.

ولكم أقول: ألا يتقاضى قائدكم الديني المتمثل في القس أو القمص أجرًا عن خدماته الدينية. وإن لم يتقاضَى أجرًا فمن أين ينفق على أبنائه. فإذا كانت قيادته الدينية ستحول بينه وبين قوت يومه هو وأبنائه فإنه سيموت جوعا أو أنه سيرفض هذا الواجب الديني... والوارد عندنا أن الرسول مات ودرعه مرهون عند يهودي. وكان

في بيته سبعة دنانير قبل موته فأَمَرَ بالتصدق بهم وقال: نحن معشر الأنبياء لا نُوَرّث. وهذا ما يجعل من الأرجح في رأيي أن حق الرسول كان يُرَدّ في أمته على قول ابن عطاء.

الثأر

*** ادعاء**

جاء في سورة النحل ١٦: ١٢٦ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾

ونحن نسأل: هل الأخذ بالثأر يهذّب النفس ويحفظ الأمن؟ إننا نعاني من عادة الأخذ بالثأر ويلات مُرَّة. قال المسيح: "إن الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون" (متى ٢٦: ٥٢) وقال أيضا: "إن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم ورجع إليك سبع مرات في اليوم قائلا أنا تائب فاغفر له". (متى ١٨: ٢١ و٢٢ ولوقا ١٧: ٤)!

*** الرد:**

ولكم أقول: إن الإسلام هو دين الوسطية، دين يعرف طبيعة النفس البشرية، دين جاء وسطا بين ما نادى به موسى من أن "**العين بالعين والسن بالسن**". وبين ما نادى به المسيح من أن "**من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر**". ألا تؤمنون بموسى وما أنزل عليه وجاء في كتابكم المقدس تحت مسمى أسفار موسى؟ من أين نزل هذا الكلام على موسى؟ ألم ينزل عليه من عند رب العباد؟ هل تشككون في رحمة الله؟ هل عندكم شك في أن رب موسى هو رب محمد؟ وإذا كنتم لا تنكرون ما نزل على موسى، فلِمَ تنكرون هذه الآية التي جاءت تطويرا لشريعة موسى التي نادت بالقصاص والقصاص فقط؟ ويؤكد على ذلك ما جاء في (سفر العدد ٣٥- ٣٣): "**لا تدنسوا الأرض التي أنتم فيها؛ لأن الدم يدنس الأرض. وعن الأرض لا يكفر لأجل الدم الذي سفك فيها، إلا بدم سافكه**". وهذا يؤكد على أن النفس بالنفس، أما في

الآية الكريمة فالحث على العفو واضح وجلي في قول رب العزة سبحانه وتعالى: ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾، لكنه لم يرد أن يلزم الكل بالعفو والصبر لتفهمه لطبيعة عباده، فهناك من البشر من لا يملك هذه الطاقة من القدرة على التسامح والعفو، فأتاح لهؤلاء أن يأخذوا حقوقهم ممن ظلمهم وجار عليهم في قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾، ولكن عبادي أحبائي إن استطعتم العفو والصبر فهو خير لكم، ولقد أكد المولى سبحانه وتعالى على مبدأ العفو في أكثر من موضع في القرآن كقوله: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾، وكقوله: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾.

ولك أقول: هب أن فلانا فقأ لك عينك دون ذنب منك، فماذا ستفعل؟ هل ستحبه؟ بالطبع لا، فإذا طبقت مبدأ العفو مرة فاعتقد من آذاك أن هذا ضعف منك فزادك من الأذى، فهل ستستطيع العفو ثانية؟ أعتقد لا، وإن استطعت فلك أقول: إن هناك أناسًا لا يؤمنون إلا بمبدأ الغابة، ولا يحترمون إلا القوي، ولن يكف عنك إلا إذا صفعته ورددت له الضربة، ألم تقابل بشرًا كهؤلاء من قبل؟ وإن لم تقابلهم فالله يعلمهم، ويعلم كيف يكون التعامل معهم، ويعلم إنهم سيصلون بك إلى هذه المرحلة بشكل أو بآخر حتى وإن كنت متسامحًا للرغبة على الأقل في إيقاف أذاهم.

وإذا كنت متسامحًا فما هو هذا الكم من انتقاد دين الآخر والذي كلفني عناء الرد عليك، فأنت لا تعلم إلى التسامح طريقًا، فلتبدأ بنفسك أولا ولتدعك من سماحة المسيح؛ لأنك لم ولن تقدر أن تكون في حجم حبة من عظمة وتسامح المسيح، ولو أن المسيح نفسه قد قدر له أن يستمر لفترة أطول وأن يرى مشاكل الناس ويضطر إلى حلها كما كان الأمر بالنسبة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لأَمَرَ بعض المظلومين بأن يأخذوا حقوقهم من الظالمين إن استطاعوا، ولكنه

كان يتحدث عن التسامح من خلال عالمه هو الداخلي وليس من خلال عالمكم أنتم.

قتل المرتد

* ادعاء

جاء في سورة البقرة ٢: ٢١٧ (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُ هُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).... وجاء في النساء ٤: ٨٩ (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) ... وجاء في المائدة ٥: ٣٣ (إِنَّمَا جَزَاءُ الذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

وتقولون: إن الظاهر من سورة البقرة ٢: ٢١٧ أن من يرتد عن الإسلام إلى أي دين آخر يُعتبَر كافرًا. والظاهر من سورة النساء ٤: ٨٩ أن الذين أظهروا الإسلام ثم تقاعدوا عن الهجرة أوجب القرآن على المسلمين أن يقتلوهم حيث وجدوهم كسائر الكفرة. فأين حرية العقيدة والدين؟ إنها وصمة عار أن يُقتل الذي يرى في الإسلام غير ما يرونه. ألم يلطخ أبو بكر الصدّيق يديه بدماء ألوف المرتدّين؟ جاء في كتاب الدولة الإسلامية الذي طبعته وزارة التربية والتعليم المصرية سنة ١٩٥٤ عن حرب الردة ما يأتي: ظهرت في جزيرة العرب قبيل وفاة النبي حركة مقاومة للإسلام لم تبلث أن اشتدّت وعظمت بوفاته عليه السلام وبيعة أبي بكر بالخلافة. ولكن أبا بكر صمّم على القضاء على هذه الحركة. ورمى المرتدين في شبه الجزيرة بخالد بن الوليد. كما أنفذ قادة آخرين إلى أطراف الجزيرة لقمع الردة فيها. وقضى خالد على ردة بني

أسد وتميم وحنيفة بعد قتال شديد عنيف، وكذلك فعل القادة الآخرون في سائر أنحاء شبه الجزيرة. ولم يكد يمضي على وفاة الرسول عام ونيف عام حتى عادت شبه الجزيرة إلى الاعتصام بحبل الدين الجديد والدولة الإسلامية الجديدة. وذلك بفضل عزمة أبي بكر وعبقرية خالد العسكرية.

*** الرد:**

ولكم أقول: إننا إذا رجعنا إلى (سفر التثنية ١٣ – ١٢: ١٧) لعرفنا أن شرع اللّه في المرتدين والذي جاء في شريعة موسى هو أقسى مما جاء في القرآن. فإلينا ما ورد في سفر التثنية في هذا الشأن حيث يقول موسى:

"إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولا: ١٣ قد خرج أناس بنو لئيم من وسطك وطوحوا سكان مدينتهم قائلين: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها. ١٤ وفحصت وفتشت وسألت جيدا وإذا الأمر صحيح وأكيد. قد عمل ذلك الرجس في وسطك و١٥ فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف. ١٦ تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها. وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك. فتكون تلًّا إلى الأبد لا تُبنى بعد. ١٧ ولا يلتصق بيدك شيء من المحرم ولكي يرجع الرب من حمو غضبه. ويعطيك رحمة. يرحمك ويكثرك كما حلف لآبائك".

كما نجد موسى يقول في سفر التثنية ١٧– ٢: ٦:

"إذا وجد في وسطك في أحد أبوابك التي يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شرًّا في عيني الرب إلهك بتجاوز عهده، ٣ ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها. أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء. الشيء الذي لم أوصي به. وأخبرت وسمعت وفحصت جيدا وإذا الأمر صحيح أكيد. قد عمل ذلك الرجس في إسرائيل. فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة. الذي فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجل أو

المرأة، وارجمه بالحجارة حتى يموت".

أما تؤمنون بما أنزل على موسى؟ أما تؤمنون أنه من عند الله؟ وإذا كان كذلك، فما هو وجه اعتراضكم على الشريعة التي نزل بها جبريل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ ألم يقل عيسى: "**ما جئت لأنقض الناموس، بل لأكمله**"؟ وهل معنى قصر الفترة التي عاش فيها عيسى كنبي ورسول كريم بيننا وأنه لم يتعرض لمواقف كهذه أن نلغي التشريع؟! فعيسى لم يخبر عن بعض الأمور، لاستناده على وجودها في أسفار موسى التي تعتبرونها جزءًا من كتابكم المقدس، ومما سبق في كتابكم المقدس نجد أن العقوبة المفروضة على المرتد هي الرجم حتى الموت، ناهيك عن العقوبة التي تطبق على المدن المرتدة والتي وردت في سفر التثنية الإصحاح (١٣)، فكان من الأولى بك أن تدرس كتابك جيدا قبل أن تتعرض لكتاب الآخر.

يحتقر الأعمى!

*** ادعاء**

جاء في سورة عبس ٨٠: ١-١٠ (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى).

وتقولون: روي أن ابن أم مكتوم أتى محمدًا وهو يتكلم مع عظماء قريش، فقال له: أقرئني وعلّمني مما علّمك الله. فلم يلتفت محمد إليه وأعرض عنه وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنما اتّبعه الصبيان والعبيد والسّفلة. فعبس وجهه وأشاح عنه، وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم.

ونحن نسأل: كيف يراعي محمد أصحاب الجاه ويرفض الفقير والمسكين

ويقطب وجهه للأعمى؟ أين هو من المسيح الذي لما جاءه الأعمى أحاطه بعطفه ورعايته وأعاد إليه البصر؟

*** الرد:**

ولكم أقول: في الحقيقة إنني في غاية الانزعاج وأنا أرى كل هذا الكم من الافتراءات ضد القرآن وضد النبي الذي نزل عليه القرآن.

وقبل الإجابة على سؤالك أريد منك أن تجيب على سؤالي هذا أولا: تقول أن النبي حينما جاءه ابن أم مكتوم أعرض عنه وقال في نفسه كذا وكذا. من أخبرك بما قاله النبي في نفسه؟ أقاله هو لك؟ أم أنه أخبر به القوم ليدين نفسه؟ أم ماذا؟!... ذلك النبي الذي كان يلقي طعامه للكلاب ولا يأكل هو إذا أحس بجوعها. نبي الرحمة الذي كان يعتلي الصغارُ ظهره وهو يصلي فلا يقوم حتى يفرغوا خوفا أن يزعجهم. فليس هو كما تقول إذن. وإن فعل هذا فلم يكن إلا لأنه يعلم أن ابن أم مكتوم مسلم. وهو يريد هداية غيره من المشركين. وأعتقد أنه كان يقدم الأهَمّ على المهم. فكان ما حدث. ولأنه يتلقى تعليما إلهيًّا وليس له أن يناقض الوحي أو أن يختزل منه شيئا فكانت آية التوبيخ هذه. والتي إن دلت على شيء لا تدل إلا على مصداقية القرآن وصدق الرسالة المحمدية. وأن النبي لا يستطيع أن يقول فيه حرفًا من تلقاء نفسه. أو يستثني شيئا لا يعجبه من تلقاء نفسه. إذا فهو ليس مدعي نبوة. فما الذي يجعل مدعي نبوة يوقع نفسه في إشكالية كهذه. إلا أنه مضطر إلى الإبلاغ بكل ما يملى عليه على يد ملاك الوحي جبريل بأمر إلهي: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾**.

وقد بحثت في أكثر من كتاب من كتب التفسير والسيرة النبوية ولم أجد مطلقًا أي كتاب مما بين يدي الآن ذكر هذه الواقعة على هذا النحو أو هذه الكيفية مطلقا. وحتى لا تُوقِعُوا أنفسكم في هذا الكم من الحيرة فسأخبركم بالقصة الفعلية. لا

القصة الملفقة، وهذا الإخبار ليس من عندي، فأنا لا أدعي لنفسي علمًا ولا معرفة إلا من خلال علمائنا الأجلاء.

وها هو ابن كثير يذكر لنا في (مجلده الثالث مختصر التفسير لابن كثير – ص ٥٩٩) الرواية الحقيقية وهو من علمائنا الأجلاء.... فلنقرأها سويا:

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان يومًا يخاطب أحد عظماء قريش وقد طمع في إسلامهم، وبينما هو يخاطبه ويناجيه إذا أقبل ابن أم مكتوم، وكان ممن أسلم قديمًا، فجعل يسأل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن شيء مُلِحّ عليه، وود النبي صلى اللّه عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعًا ورغبة في هدايته، وعبس فأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل اللّه تعالى: ﴿**عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى**﴾ أي: يحصل له زكاة وطهارة في نفسه، ﴿**أو يذكر فتنفعه الذكرى**﴾ أي: يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم، ﴿**أما من استغنى فأنت له تصدى**﴾ أي: أما الغني فأنت تعرض له لعله يهتدي، ﴿**وما عليك ألا يزكى**﴾ أي: ما أنت بمطالَب به إذا لم يُزَكِّ نفسه، ﴿**وأما من جاءك يسعى وهو يخشى**﴾ أي: يقصدك ويؤمّك ليهتدي بما تقوله له ﴿**فأنت عنه تلهى**﴾ أي: تتشاغل. ومن هنا أمر اللّه تعالى رسوله صلى اللّه عليه وسلم أن لا يخص بالإنذار أحدًا، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، الفقير والغني، السادة والعبيد، الرجال والنساء، الصغار والكبار، ثم اللّه تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

فماذا تقولون في هذا؟ فلتجيبوا انتم.

طرق الوحي له

*** ادعاء**

جاء في سورة المزمل ٧٣: ١-٥ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

وجاء في سورة المدثر ٧٤: ١ و٢: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾.

وتقولون: كان يخرج محمد عن وعيه حين يأتيه الوحي فيُغشى عليه ويشبه السكران ويغط كغطيط الإبل وتحمر عيناه وتأخذه الرعدة ويتصبب عرقًا ويُصاب بألم الرأس ويحس بطنين في أذنيه ورنين في دماغه. وقد كان مصابًا بهذه الأعراض عينها قبل أن يدعي الوحي. فقد روى ابن إسحق أن محمدًا كان يُرقَى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن. فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك. وكان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الإغماء بعد حلول الرعدة به وتغميض عينيه وتزبد وجهه (أي تغيُّره). وغطيطه كغطيط البَكْر. فقالت له خديجة: أوجِّه إليك من يرقيك؟ قال: أما الآن فلا. وقرر علماء المسلمين أن آمنة أم محمد رقَته من العين. وقيل: إنها لما كانت حاملًا به جاءها الملَك وقال لها: قولي إذا ولدتيه أعيذه بالواحد من شر كل حاسد.

*** الرد:**

ولكم أقول: إن تقابل الطبيعة البشرية لمحمد مع الطبيعة الملائكية المتمثلة في جبريل عليه السلام، والمسئولية الملقاة على عاتقه تتسبب في أكثر من هذا. فها نحن حينما تتلى علينا آيات الترهيب والعذاب في القرآن من بشر ممن يمتلكون الخشوع والصوت الحسن العذب نشعر ببعض هذه الأحاسيس. فما بال من تنزّل عليه الوحي، وهو يعلم أنه مختار من قِبَل اللهّ. ويعلم حجم المسئولية الملقاة على

عاتقه، وعلى يد من يلقن القرآن؟ ليس على يد بشر ولكن على يد ملاك، فما هو وجه الغرابة في ذلك.

ولا يتفهم تلك الحالات إلا من ذاق حلاوة الإيمان وحلاوة القرآن، ويعرف فعل القرآن في النفوس الصافية الصادقة التي ترتعب من آيات الترهيب والعذاب حتى أنها تتصبب عرقًا وتنتفض خوفًا من العذاب وطمعًا في الغفران، حتى أن البعض قد يغشى عليه، وقد ينخرط الآخر في بكاء مقرون بخوف وإجلال وإكبار وحب، وتنتشي النفس لبشارات الله للمؤمنين في آيات أخرى، فلِمَ تنكرون عليه ذلك.

انتقاد معاصريه

* ادعاء

انتقد العرب محمدًا ولاموه على الكثير، وقد أورد ذلك في قرآنه مع الردود عليه. فقالوا إنه:

١ – مجنون...... جاء في سورة الحِجر ١٥: ٦ و٧ ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.... وجاء في سورة الصافات ٣٧: ٣٦ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾.

وتقولون: فقد اتَّهموه بالجنون الذي هيأ له أوهام الوحي والملائكة.

٢ – مُفْتَرٍ....... جاء في سورة النحل ١٦: ١٠١ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.... وجاء في سورة الفرقان ٢٥: ٤ ﴿وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾.

وتقولون: لقد رأوا محمدًا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولًا ويرجع عنه غدًا. فقالوا: إن ما تقوله إنما هو من تلقاء نفسك؛ لأنه

لو كان كلام اللّه لكان ثابتا لا يُنسَخ ولا يتغيَّر.

٣ – مسحور........ جاء في سورة الإسراء ١٧: ٤٧ ﴿نحنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلًا مَسْحُورًا﴾.

وتقولون: لقد شاهدوه مريضًا ناسيًا يشكو من الساحرات النفاثات في العقد ويستعيذ من فعلهن. فقالوا: لا شك أنه مسحور مغلوب على عقله.

٤ – أُذُن........... جاء في سورة التوبة ٩: ٦١ ﴿وَمِنْهُمُ الذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾.

قال البيضاوي: ﴿ويقولون هو أذن﴾: يسمع كل ما يقال له ويصدقه. سُمّي بالجارحة للمبالغة، كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سُمّي الجاسوس عينًا لذلك. رُوي أنهم قالوا: محمد أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول.

* الرد:

ولكم أقول: لم يُتَّهَم محمد وحده، ولم يُعذَّب وحده، ولم يُؤْذَ وحده. بل كانت هذه تبعات يتحملها كل من قال ربي اللّه... فإذا رجعنا إلى التاريخ، تاريخ اليهود والنصارى، لعلمنا كيف عُذِّب كل نبي مرسل، كيف لاقى من أجل رسالته ودعوته، حتى القتل، حتى أن اليهود سُمُّوا "بقتلة الأنبياء".

فإذا كنتم تقولون عنه أنه مجنون... فأجيب عن هذا قائلة: هل يستطيع مجنون أن يأتي بكتاب مثل القرآن الذي سمعه الأطباء النفسيون في الغرب وهم لا يعرفون لغته فأشادوا به حتى قالوا عنه أن له تأثيرًا نفسيًّا مهدئًا للأعصاب، ويذهب الهموم، وهو بعينه الذي قاله المولى سبحانه وتعالى في كتابه ﴿وشفاء لما في الصدور﴾، فإذا كنتم تعتبرون كتابا في عظمة القرآن يصدر عن مجنون فمرحبًا بالجنون.

والسؤال لكم الآن: هل لمجنون أن يظل دينُه قادرًا على أن يقود أمة بأكملها حتى بعد رحيله بكل هذه الفترة، أي بعد أكثر من ١٤٠٠ سنة؟!

هل لمجنون أن يتحمل تبعات أمة بأكملها ويقودها حتى بعد رحيله من خلال ما ترك فينا من كتاب اللّه وسنته بكل هذه الحكمة والذكاء الشديدين؟!

فذلك الرجل الذي تصفونه بالجنون أشاد به المفكرون الغربيون الذين لا يعرفون عن عظمته إلا القليل! حيث قال عنه الأديب البريطاني جورج ويلز: "محمد أعظم مَن أقام دولة للعدل والتسامح".

وقال عنه أرمسترونج: "بفضل القرآن قد استطاع محمد أن يُحَوِّل العرب من الوثنية إلى التوحيد في مدى ثلاث وعشرين سنة، بينما أخذ الإسرائيليون القدامى حوالي سبعمائة سنة ليتخلصوا من محض الولاء للوثنية إلى الولاء لديانة التوحيد".

وقال عنه الأديب الإنجليزي برنارد شو: "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في مثل تفكير محمد، هذا النبي الذي لو تولى أمر العالم اليوم لوُفِّقَ في حل مشكلاتنا بما يُؤَمِّن السلام والسعادة التي يرنو إليها البشر".

فإذا كانت هذه أقوال الغرب الذين لم يعرفوا إلا القليل عنه، فهل نستند إلى أقوال معاصريه، ومن هم معاصروه؟! إنهم من لا عقل لهم، الذين رفعوا راية "اليوم خمر ونساء"، عبدة الأوثان، فأي عقل في عبادة الأوثان حتى يتهموه هو بالجنون، وهو ينادي بالواحد القهار.... فلله الأمر من قبل ومن بعد.

أما بشأن أنه مفتر لأنه كان يقول الآيات ثم يغيرها، فلكم أقول: إننا نحن كمسلمين نعلم أن هناك نسخًا في القرآن، ولم يكن النسخ في القرآن فحسب، بل كان في العهدين القديم والجديد أيضًا، وقد أشرت إلى ذلك سابقًا، والنسخ له حكمة قمت أيضا بذكرها في بند الناسخ والمنسوخ، وكل ما أقوله هنا أن النسخ في أي

كتاب من الكتب الثلاثة يخص رب الكتب الثلاثة، فهو يريد أن نتأدب معه لا أكثر ولا أقل... فليس من حق مخلوق ضعيف أن يملي على سيده وربه ما يفعل، فلنتعلم كيف نتأدب مع الله، وقد سبق الحديث عن النسخ سابقا فلتعودوا إليه.

وتتحدثون بشأن الآية الواردة في سورة الفرقان وتقولون عنه أنه مسحور ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلًا مَسْحُورًا﴾، كما تتحدثون بشأن ما قاله البيضاوي من أنه أذن.

وللإجابة على هذا سأذكركم بما قاله الناصريون حينما سمعوا تعليم المسيح، في إنجيل متى الإصحاح (١٣ – ٥٤: ٥٧)... **"٥٤ ولما جاء إلى وطنه كان يُعَلِّمُهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا: من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟ ٥٥ أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؟ ٥٦ أوليست أخواته جميعهن عندنا؟ فمن أين له هذه كلها؟ فكانوا يعثرون به"**، ثم ألم يقل عيسى لهم: **"ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته"**.

وها نحن نجد تمجيد محمد صلى الله عليه وسلم من مفكرين غربيين، أما أهله فقالوا عنه كل ما قرأتموه وذكرتموه، وأوجه سؤالا لأولي الألباب منكم: ما هو الدافع الذي يدفع مدعي نبوة لذكر أوصاف مشينة نعته بها قومه ثم يوردها في كتاب من المفترض أنه للتاريخ، لأقوام لم يروا ويشاهدوا اتهامات قومه له؟! فلتجيبوا أنتم... من كان له أذنان للسمع فليسمع ومن كان له عين فليبصر.

بلا معجزات

* ادعاء

وتقولون: حاول اليهود والعرب مرارًا أن يحملوا محمدًا على إتيان معجزة لتأييد دعواه بالنبوة، فاعترف بعجزه التام، وانتحل لذلك أعذارًا، وهاكم أقواله في ذلك:

١ - جاء في سورة الإسراء ١٧: ٥٩ ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾.

ونحن نسأل: إن كانت الآيات بلا فائدة مطلقًا عند الذين عُملت معهم قديمًا فلماذا عملها الله؟ وما الذي يمنع الله عن عملها على يد محمد كما عملها على يد جميع الأنبياء الصادقين كموسى وإيليا وأليشع والمسيح؟ هذا عذر أبداه محمد للتملص فقط.

*** الرد:**

ولكم أقول: من قال لكم أن محمدًا بلا معجزات. فالقرآن الكريم معجزة في حد ذاته. وإذا كنتم تشككون في ذلك فلتعودوا إلى كتب الإعجاز العلمي واللغوي في القرآن للدكتور زغلول النجار. أو إلى الآيات التي تحدث عنها فضيلة الإمام الشيخ الشعراوي وغيرهم ممن تطرقوا إلى القرآن كمعجزة حية. تثبت إعجازها في كل يوم. نعم فما زالت حية حتى اليوم تنطق بعظمة من أتى بها. وعظمة من نزلت عليه. كما أن محمدًا كانت له معجزات ولكنها لم تكن الأساس الذي قامت عليه عقيدته. فقد اعتمدت عقيدته على العقل والمنطق أكثر من المعجزات والخوارق. فحادثة انشقاق القمر كانت معجزة لمحمد أثبتها العلم الحديث والتي وردت في سورة القمر. وقد جاء في أسباب نزول هذه الآية ما رواه أحمد عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة الرسول صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة مرتين. فقال هذه الآية. ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾. وروى الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين: فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل. فقالوا: سحرنا محمد. فقالوا: إن كان سحر فلماذا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. وقد أثبت العلم الحديث أن هناك منطقة صخرية من صخور حديثة تفصل القمر إلى قسمين تدلل على حدوث انشقاق في

سطح القمر في إحدى الأزمنة القديمة.

وقد كان من معجزاته أيضا حادثة الإسراء والمعراج. وعلى الرغم من قوة الآيتين السابقتين فلم يؤمن لمحمد كل من عاصرهما وعايشهما. بل قالوا ساحر. وحيث كانت هذه الآيات لا قيمة لها عند البعض فقد كانت مرشدًا للبعض الآخر وكانت سببًا في إيمانهم مع محمد. كما كانت الآيات التي نزلت على موسى وعيسى سببًا في إيمان البعض بهم. لكنها لم تستطع إقناع الكل بدليل ارتداد قوم موسى إلى عبادة العجل الذهبي بعد كل ما شاهدوه من الخوارق في أثناء رحلتهم معه من مصر إلى الأراضي المقدسة. وقالوا: هذا إلهنا. تلك المعجزات التي أتى بها موسى. والتي لو نزلت آية واحدة أو معجزة منها على أي ذي لب. لقلبت ميزان حياته رأسًا على عقب.

وإيليا ماذا كان مصيره بمعجزاته؟! قتله اليهود. ماذا فعل عيسى بمعجزاته؟! هل استطاع أن يقنع اليهود. أم عمدوا إلى صلبه وتعذيبه وقتله مثل باقي أنبياء بني إسرائيل؟! لولا أن رفعه اللّه إليه وألقى شبهه على يهوذا الإسخريوطي.

وهب أنك مسئول عن أناس عمدت على توجيههم بطريقة ما. وكلما استخدمت هذه الطريقة لم تأتِ بنافع. فماذا ستفعل إذا عمدت إلى توجيههم مرة أخرى؟ قطعًا ستلجأ إلى طريقة أخرى. وهذا ما فعله المولى سبحانه وتعالى وللّه المثل الأعلى. وليس هناك أرجح من حجة العقل والمنطق. فنزل القرآن الذي استطاع من الأمس وحتى اليوم أن يجتلب بحجته ومنطقه كل ذي لب. ابتداء من النجاشي ملك الحبشة. وحتى الحسن بن أيوب رجل الدين المسيحي بالأمس. والذي أصبح أحد الأعلام في الدين الإسلامي فيما بعد. والنصارى الذين نسمع ونقرأ عن دخولهم في دين اللّه كل يوم. حتى بين من يجهلون لغة القرآن من الدول الغربية لأنهم رفضوا أن يعيشوا عبيدًا لفكرة النبوة المقترنة بالمعجزة في زمان يعج بمعجزات العلم الحديث.

من صعود القمر، والمكوك الفضائي، والذرة، والأقمار الصناعية، وغيرها، والتي لو أتى بها أي من الأنبياء فيما مضى لعدت معجزة كبرى.

*** ادعاء**

١- جاء في سورة العنكبوت ٢٩: ٥٠ و٥١ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾.

ونقولون: قال البيضاوي: ﴿ولولا أنزل عليه آيات من ربه﴾: مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى. ﴿قل إنما الآيات عند اللّه﴾: ينزلها لما يشاء، لست أملكها فآتيكم بها بما تقترحون. ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾: ليس من شأني إلا الإنذار.

ونحن نسأل: إذا كانت الآيات عند اللّه، وكان لمحمد صلة باللّه كالأنبياء والرسل، فلماذا لم يسمح اللّه بتأييده بها؟

*** الرد:**

ولكم أقول: إن للّه أن يفعل ما يشاء، وقتما يشاء، وبالكيفية والطريقة التي يراها، وليس التي نراها نحن. أتريد أن نُعَلِّم اللّه كيف يدير كونه؟ حاشى للّه. فقد اختار اللّه أن يؤيد نبيه محمدًا صلى اللّه عليه وسلم بمعجزات تظل تُثْبِت وجودها كل يوم كلما تقدم العلم. فالقرآن معجزة حية تتأكد كل يوم وليس معجزة انتهت بانتهاء النبي، ولم يبقَ منها إلا الذكرى والتاريخ الذي يحملها. فأنا كأحد البشر المتواجدين اليوم لم أرَ بعيني أيًّا من هذه المعجزات التي صنعت على يد موسى وعيسى وغيرهما من أنبياء اللّه. فما هو الدافع الذي يحملني على التسليم بمصداقية كل ما قيل سوى إيماني باللّه وبكتابي هذا الذي ذكرت فيه هذه الحوادث والمعجزات؟ أما في حالة القرآن فالوضع مختلف تماما. فأنا بين يدي معجزة تتحرك معي في كل مكان، داخل حقيبتي وفي رأسي. فأيهما أفضل؟ فلتجب أنت... فقد فاق

محمد كل الأنبياء بالقرآن.

٣ - جاء في سورة البقرة ٢: ١٠٨ ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾.

وتقولون: أليس لهم الحق في سؤالهم؟ فكيف يعتبر محمد نفسه نبيًّا وهو لا يماثل الأنبياء في شيء؟

ولكم أقول: بل يماثلهم ويفوقهم بآيات القرآن المعجزات. وها هو الشيخ محمد متولي الشعراوي يحدثنا في تفسيره (المجلد الثالث عشر ص - ٨٢١٠، ٨٢١١) عن الآية المعجزة قائلًا: إن الآية المعجزة هي الأمر العجيب الخارق للعادة. وتأتي المعجزة على أيدي الأنبياء لتكون حجة لهم، ودليلًا على صدق ما جاءوا به من عند الله. ونلاحظ في هذا النوع من الآيات أنه يتبدل ويتغير من نبي إلى آخر؛ لأن المعجزة لا يكون لها أثرها إلا إذا كانت في شيء نبغ فيه القوم؛ لأن هذا هو مجال الإعجاز. فلو أتيناهم بمعجزة في مجال لا علم لهم به لقالوا: لو أن لنا علمًا بهذا لأتينا بمثله. لذلك تأتي المعجزة فيما نبغوا فيه، وعَلِمُوه جيدا حتى اشتهروا به.

فلما نبغ قوم موسى عليه السلام في السحر كانت معجزته من نوع السحر الذي يتحدى سحرهم. فلما جاء عيسى عليه السلام ونبغ قومه في الطب والحكمة كانت معجزته من نفس النوع. فكان عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

فلما بُعِثَ محمد صلى الله عليه وسلم ونبغ قومه في البلاغة والفصاحة والبيان، وكانوا يقيمون لها الأسواق، ويعلقون قصائدهم على أستار الكعبة اعتزازًا بها. فكان لا بد أن يتحداهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه وهي القرآن الكريم، وهكذا تتبدل المعجزات ليناسب كل منها حال القوم. وتتحداهم بما اشتهروا به، لتكون أدعى للتصديق وأثبت للحجة، وخاصة إذا صدرت عن نبي أمي وهم يعلمون

ذلك، لأنه نشأ وتربى في وسطهم، ثم تجد هذه الآيات تحمل من القوانين والأحكام والآداب ما يرهب أقوى حضارتين معاصرتين، وهما حضارة فارس في الشرق، وحضارة الرومان في الغرب، فنراهم يتطلعون للإسلام، ويبتغون في أحكامه ما ينقذهم، والأعجب من ذلك ما يثبته العلم الحديث في كل يوم عن المعجزات التي تمتلئ بها صفحات القرآن... أما زلت تظن أن محمدًا لا يماثل الأنبياء في شيء؟!

وتقولون: أليس من حق الناس أن يفحصوا كل رسالة يقول صاحبها إنها من عند الله؟

ولكم أقول: بالفعل من حق كل الناس أن يفحصوا كل رسالة يقول صاحبها أنها من عند الله، ولكن فحص منصف، فحص الباحث عن الحقيقة، وليس فحص المتصيد للأخطاء غير الموجودة، وأنا أثق تمام الثقة بأن من يفعل ذلك منكم وبصدق فالنتيجة حتمًا لصالح الإسلام والمسلمين، ولكن أنّى هذا؟ فالكثيرون لا يبغون سوى التضليل، وفقط التضليل، إلا من فتح الله عليه منكم ممن يبحث وفق منهج صحيح للبحث، فنجده في نهاية بحثه اتجه إلى مشيخة الأزهر ليشهر إسلامه، آسفًا على كل الفترات التي قضاها وهو على غير دين الإسلام.

وتقولون: ليس القرآن بمعجزة.

بدليل ما جاء في سورة البقرة ٢: ١٤٥ ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ إِنَّكَ إِذا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾. وما جاء في سورة الرعد ١٣: ٢٧ ﴿وَيَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا لوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.

ففي الآيتين السابقتين يعترف القرآن أن محمدًا لم يأتِ بمعجزة واحدة. وأما الأسباب التي انتحلها واعتذر بها لعدم مجيئه بالمعجزات فمردودة؛ فالمعجزات التي

عملها الأنبياء أمام الشعوب الأولين آمن بسببها البعض بينما رفضها البعض الآخر. ولو كان القرآن معجزة لكان قال: هاكم القرآن معجزة.

ولكم أقول: إن هناك أشياء تحتاج إلى توضيح في حياتنا اليومية. وهناك أشياء أخرى تتحدث عن نفسها ولا تحتاج إلى إيضاح، وخاصة مع أولي الألباب. فالشمس مثلا يعرفها الطفل الصغير بأنها مصدر الضياء. أما الذرّة فتحتاج إلى شرح لأنها مبهمة وتحتاج إلى تفسير وتوضيح. وإذا قِسْنَا ذلك على القرآن فآيات القرآن تنطق بإعجازه في كل يوم وليلة، وكل ما تحتاجه هو الفطرة السليمة فقط. فليس النبي في حاجة إلى أن يقول هاكم القرآن معجزة. وإذا كانت معجزات الأنبياء سببًا في إيمان البعض، فها هو القرآن في حد ذاته كان سببًا في إيمان الملايين من البشر. ولم يكن القرآن انشقاقَ بحر أو ماء يتفجر من الصخر. أو إحياء موتى، ولكنه كان مجرد كلام مقروء على الناس، استطاع أن يحول مسار حياة أمم وشعوب. فالقرآن كلمة ولكن آمن بها الملايين، لما لها من تأثير على قلوب الملايين (فلتقل لي ما رأيك بكلمة تستطيع أن تبدل النفوس، كلمة تحول الوحش الكاسر إلى حَمَل وديع أليف). تلك الكلمة التي حوّلت سيف عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وغيرهما من سيف ضد الإسلام إلى سيف يدافع عن الإسلام). فالقرآن لم يكن سوى كلمات ولكنها تفعل فعل السحر بسامعها وقارئها. فهي أقوى من سحر موسى، فإذا سمعت أنت أن هناك كلمة لها كل هذا التأثير، فماذا تقول عن هذه الكلمة؟ ألم تكن أقوى من عصا موسى وإحياء موتى عيسى؟ فالعقل يا عزيزي، لا تغفل هذا الجزء الصغير الذي أعطاه الله لك داخل تجويف رأسك، حينما تخاطبه بالمنطق فهذا أقوى بكثير من العصا وإحياء الموتى، ولكنكم لا تقبلون سوى مبهرات العيون. وإذا كان كلامي غير سائغ لكم، فلنقرأ رأي أحمد بهجت في كتابه "أنبياء الله" عن السبب في عدم مجيء محمد صلى الله عليه وسلم بمعجزات أو خوارق بينما أتى بها الأنبياء قبله.

حيث يقول: "إن البشرية كانت في بداية التاريخ البشري تمر بطور الطفولة، وفي هذا الطور لا يصدق الأطفال إلا الأشياء الخارقة، وانبهرت أعينهم قبل عقولهم، فكانت معجزات الأنبياء قبل محمد صلى اللهّ عليه وسلم، وكان الناس هم من يطلبون الخوارق، وقد كانت استجابة اللهّ لعباده ما هي إلا رحمة للعالمين الذين ما زالوا في مرحلة الطفولة، وكانت معجزات كل رسول تتفق مع حال قومه وعلوم عصره، وقد ذكرت معجزاتهم فيما سبق، فلما تقدمت البشرية وبدأ عقلها ينضج، صارت الكلمة فيها هي مفتاح الحياة والعلم، والكتاب شيء لا يمكن الاستغناء عنه، فأرسل اللهّ إلى الناس كتابًا هو معجزة كل الأزمان، كل سورة من سوره معجزة، بل كل آية من آياته تنطق بالإعجاز والإبداع معًا، وبذلك فقد دخلنا في طور النضج الذي يستوجب ضرورة الإقناع لا الإبهار فكان الإسلام".

النبي الأمي

* ادعاء

جاء في سورة الأعراف ٧: ١٥٧ و١٥٨ ﴿الذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ... ... فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ﴾.

وتقولون: إن سبب تسمية محمد الأمي أنه لم يظهر بين اليهود بل بين الأمم؛ لأنه جرت عادة اليهود أن يطلقوا لفظة "الأمم" على كل من لم يكن يهوديًّا من الشعوب والملل، كما كان العرب يطلقون لفظة "العجم" على كل من لم يكن عربيًّا ما عدا بلاد العرب وسكانها، وجرى القرآن على هذا القياس، فسمّى اليهود والنصارى أهل الكتاب وما عداهم الأميين، فأهل الكتاب اسم على اليهود والنصارى، والأميون اسم علم على جميع العرب كقول القرآن: ﴿هُوَ الذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ (سورة الجمعة ٦٢: ٢)..... ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا

الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ؟﴾ (سورة آل عمران ٣: ٢٠).... ﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران ٣: ٧٥).

ولهذا سُمي محمدٌ بالنبي الأمي؛ لأنه غريب عن الشعب المختار الذي أقام الله منه جميع الأنبياء وجعل خاتمهم كلمته المسيح مخلص العالم. وكذلك سُمي محمد بالأمي لأنه (كما يقولون) لا يعرف الكتابة ولا القراءة. ويعتبرون نطقه بالقرآن وهو أمي معجزة. لقد تبع كثيرون من اليهود والنصارى محمدًا واعتنقوا الإسلام. وروى ابن عباس والجلالان في تفسيرهم أن عبيد الله بن سلام كان حَبرًا من أحبار اليهود أسلم. وقال القرآن فيه: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ (سورة الأحقاف ٤٦: ١٠).

*** الرد:**

يشرح لنا المعجم الوجيز معنى (الأمي):

فالأمي – تطلق على الذي لا يقرأ ولا يكتب....... – وتطلق أيضا على من ليس من أهل الكتاب.

فمحمد صلى الله عليه وسلم يحمل الصفتين معًا. ولكنكم تريدون أن تجعلوا المعنى هنا قاصرًا على المعنى الثاني دون الأول. بهدف التشكيك في كون محمد لا يعرف القراءة والكتابة. وذلك لما وجدتم من البلاغة والإعجاز في القرآن – فليس من المنطق أن يكون صاحب هذا الإعجاز لا يعرف القراءة والكتابة – ولكنكم تريدون نسبته إلى محمد حتى يكون من عند نفسه وليس من عند رب العالمين. فاضطررتم إلى التشكيك في المعنى الثاني للكلمة. والتي تحمل معنى أمية القراءة والكتابة.

ولكم أقول: إن الأمر حينما يتعلق بالتاريخ فليس لكم حق الإفتاء. فالتاريخ يقر

أن محمدًا صلى اللّه عليه وسلم كان لا يعرف القراءة والكتابة. والحادثة التي وردت بشأن نزول أول سور القرآن على سيدنا محمد وهي سورة (اقرأ) تدل على ذلك. حينما جاء ملك الوحي جبريل وقال له: اقرأ. فأجاب المصطفى: ما أنا بقارئ، ثم قالها ثانية: اقرأ. قال المصطفى: ما أنا بقارئ، ثم قال له: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق...**"، إلى باقي الآية. ولو كان محمد يعرف القراءة والكتابة لما صدقه قومه حينما شرح ما دار بينه وبين ملك الوحي جبريل. فكيف يسمحون له أن يقول شيئًا كهذا إذا كانوا يعرفون عنه أنه ليس أميًّا. وهم هؤلاء القوم الذين كانوا يبحثون عن كل ما يدينه ويجعل منه كاذبًا ومدعي نبوة أمام قريش وأمام من أسلم معه ليثنوهم عن هذا الدين؟!

شروعه في الانتحار

* ادعاء

جاء في سورة الضُّحى ٩٣: ٣ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

وتقولون: قال البيضاوي: ﴿ما ودعك ربك﴾: ما قطعك قطع المودع بمعنى تركك. ﴿وما قلى﴾: وما أبغضك. رُوي أن الوحي تأخر عليه أيامًا. فقال المشركون: إن محمدًا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردًّا عليهم.

قال علماء المسلمين: إنه لما فتر الوحي عنه حزن حزنًا شديدًا حتى كاد أن يغدو إلى يثرب مرة وإلى حراء مرة أخرى. يريد أن يلقي نفسه منه. فكلما وافى ذروة جبل منهما كي يلقي نفسه تبدَّى له جبريل فقال له: يا محمد. أنت رسول اللّه حقًّا. فيسكن لذلك جأشه وتقرّ عينه ويرجع. وإذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك. واختلفوا في مدة هذه الفترة: ففي فتح الباري جزَم ابن إسحق أنها ثلاث سنين. وقال أبو القاسم السهيلي: جاء في بعض الأحاديث المسندة أن مدة هذه الفترة كانت سنتين ونصف سنة. وقال الحافظ السيوطي إنها كانت سنتين.

ونحن نسأل: كيف يحاول نبي الانتحار؟ ويقول القرآن معاتبًا محمدًا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ (سورة الكهف ١٨: ٦) أي قاتلها غمًّا.

*** الرد:**

ولكم أقول: نريد أن نعرف عن أي مسلمين تتحدث؟ والله ما نعرفهم. هؤلاء الذين يَفْتَرُون على رسول الله بالكذب؟ فالرواية أن جبريل حينما أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون: ودّع محمدًا ربه. فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿والضحى والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى﴾. وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء. ﴿والليل إذا سجى﴾ أي: سكن فأظلم وادلهَمّ. وذلك دليل ظاهر على قدرته تعالى. ﴿ما ودعك ربك﴾ أي: ما تركك. ﴿وما قلى﴾ أي: وما أبغضك.

والسؤال الآن: هل ترون مصداقية فيما قاله علماء المسلمين من أن النبي كان سينتحر عند تأخر نزول الوحي عليه؟ وإن كان هذا فلنعتبر هذا اعترافًا ضمنيًّا منكم على أن محمدًا لم يكن ينشئ قرآنًا من نفسه. أو أنه شاعر كما تزعمون. بل كان ينتظر وحي السماء. أي أنه مجرد ناقل للوحي. فإن أراد الله عدم نزوله لا ينزل. أي أن محمدًا لم يتحدث من تلقاء نفسه. وإذ لم تصدقوا ما زعمتم أن علماء المسلمين قد قالوه بشأن هذه الآية فلِمَ طرحتموه؟!.... أهو لتضليل المسلمين؟

كما أن المنهج العلمي البحثي لا بد وأن يتضمن أسماء علماء المسلمين الذين قالوا مثل هذا الكلام. وفي أي كتاب قالوه. بل في أي صفحة من صفحات الكتاب ذكر هذا الكلام. فالكلمات لا تلقى جُذافًا هكذا. هذا إن كنتم تريدون الاستشهاد لا التضليل.

أما قوله ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ في سورة الكهف ... فباخع نفسك أي قاتلها غمًّا...

ولكم أقول: إن الحزن والتأثر لمن يملكون الإحساس فقط، الذين يحملون الرحمة بين جنباتهم، الذين يحملون الحب في قلوبهم، فما قاله الله في هذه الآية هو لمحمد لا عليه.... فالآية تقول: (**فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا**)، ذلك الرجل الذي تذهب نفسه حسرات على قومه إشفاقًا عليهم وحبًّا لهم، ورغبة في هدايتهم، ألم تسمع يومًا أن أحدًا أحب شخصًا ووجد الأولُ الثاني في مصاب كبير فتكاد تهلك نفسه من الحزن عليه حتى أنك تجد من حوله يقولون له: (هتموت نفسك من كثرة الحزن عليه)؟ والسؤال الآن: هل معنى هذا أنه شرع أو فكر في قتل نفسه؟ أم أن نفسه المرهفة وقلبه الذي لا يحمل غير الحب والرحمة هو الذي جعله يتأثر حتى هذه المرحلة التي قد يكون فيها قتلًا للنفس وبدون قصد وبدون ترتيب، ففي الحقيقة إنني لا أرى أمامي سوى محاولة فاشلة منكم للتشكيك في نبي الرحمة، ولكني أؤكد لكم أن هذه المحاولة ستبوء بالفشل في كل مرة: لأن النصر دائما لنبيه، ليس من عندي ولكنه من عند الله.

هذا ما عندي للرد على ادعائكم بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم شرع في الانتحار.

أما أنتم فلتقرءوا ما جاء في سفر صموئيل الأول بشأن انتحار شاول الذي قال عنه داود أنه مسيح الله، ولتحاولوا الدفاع عنه، إن أجدى دفاعكم، ولن يجدي، فماذا ستقولون، فالنص واضح وصريح، فقد جاء في الإصحاح (٣١ – ٣: ٥) "**واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسي، فانجرح جدا من الرماة. ٤ فقال شاول لحامل سلاحه: استل سيفك واطعني به لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبحوني، فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جدا. فأخذ شاول السيف وسقط عليه**".

يقتل خصومه

*** ادعاء**

جاء في سورة البقرة ٢: ٢١٧ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

وتقولون: حرمت الجاهلية القتال في الأشهر الحرام كما حرمه القرآن في سورة محمد ٤٧: ٤، ولكن محمدًا خالف كل هذا في سبيل الغدر بأعدائه.

ونحن نسأل: كيف حلّل اللّه القتال مع أن الوثنيين كانوا يمنعونه؟ كأن اللّه أشدّ عنفًا من الوثنيين!

*** الرد:**

يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره لسورة البقرة (ص ٩٣ - المجلد الثاني): نحن مُسَلِّمُون أن القتال في الشهر الحرام أمر كبير، ولكن انظروا يا كفار قريش إلى ما صنعتم مع عبادنا وقارنوا بين كبر هذا وكبر ذاك. أنتم تقولون: إن القتال في الشهر الحرام مسألة كبيرة، ولكن صدكم عن سبيل اللّه وكفركم به، ومنعكم المسلمين من المسجد الحرام وإخراج أهل مكة منها أكبر عند اللّه من القتال في الشهر الحرام. فلا تفعلوا ما هو أكبر من القتال في الشهر الحرام، ثم تأخذكم الغيرة على الحرمان.

فكأن الحق أراد أن يضع قضية واضحة هي: لا تأخذوا من جزئيات التدين أشياء وتتحصنوا فيها خلف كلمة حق وأنتم تريدون الباطل. فالواقع يعرض الأشياء. ونحن نقول: نعم إن القتال في الشهر الحرام كبير، ولكن يا كفار قريش اعلموا أن فتنة المؤمنين في دينهم وصدهم عن طريق اللّه، وكفركم به - سبحانه - وإهداركم حرمة البيت الحرام بما تصنعون فيه من عبادة غير اللّه، وإخراجكم أهله

منه، إن هذه الأمور الآثمة هي عند الله أكبر جرمًا وأشد إثمًا من القتال في الأشهر الحرم لاسترداد المسلمين بعض حقهم لديكم، ولهذا يرد الحق سهام المشركين في نحورهم: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ أي: إياكم أن تعتقدوا أنهم سيحترمون الشهر الحرام ولا المكان الحرام، بل ﴿ولا يزالون يقاتلونكم﴾ أي: وسيصرون ويداومون على قتالكم ﴿حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾.

وتأمل قوله: ﴿إن استطاعوا﴾ "إن" معناها تحدٍّ لهم بأنهم لن يستطيعوا أبدًا، و"إن" تأتي دائمًا في الأمر المشكوك فيه، ويتابع الحق ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾، سيظلون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا – ثم يختم الحق الآية بقضية يقول فيها ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾.

علاقة الشيطان بالوحي

*** ادعاء**

جاء في سورة الأعراف ٧: ٢٠٠-٢٠٢ ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِنَّ الذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾.

وجاء في الحديث: "كل ابن آدم يولد ينخسه الشيطان في جنبه فيستهل صارخًا إلا ابن مريم جاء ينخس فنخس في الحجاب".

وتقولون: إذا كان إبليس يسوق محمدًا وينخسه، فكيف يكون نبيًّا؟ ما أعظم الفرق بينه وبين المسيح الذي لما جاءه إبليس (على قولهم). ينخس فنخس في الحجاب، والذي قال عن نفسه: "رَئِيس هذا العَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ" (يوحنا

١٤: ٣٠). والذي قال عنه بطرس الرسول: "جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ". (أعمال ١٠: ٣٨)

*** الرد:**

ولكم أقول:

أتؤمنون بموسى أم لا؟

أتؤمنون بيونس أم لا؟

من الذي أغرى موسى بقتل المصري؟

من الذي أغرى يونس بترك القرية التي أرسله الله إليها هاديًا دون انتظار الأمر الإلهي حتى عاقبه الله بالتقام الحوت له، تلك الحادثة المعروفة لنا جميعًا؟

فلولا الشيطان ما ثار موسى ووكز المصري وقتله، ولولا الشيطان لهدأت نفس يونس حتى يجيئه الأمر الإلهي، والأكثر أنه لولا الشيطان ما كانت الحياة على الأرض، ألم يوسوس لأبينا آدم من قبل؟

وهذه أمثلة بسيطة أذكرها لكم، أما إذا أردتم المزيد فعليكم بالرجوع إلى كتابكم المقدس لتعرفوا ماذا فعل الشيطان بأنبيائكم وملوككم، فأنتم من تعرفون عنه أكثر مما نعرف بكثير.

فها هو سليمان الحكيم يتخلى عن حكمته ويموت على عبادة الأوثان، وها هو نوح يسكر ويتعرى داخل خبائه، وها هو يهوذا بن يعقوب يزني بامرأة ابنه، وها هو داود يزني بامرأة أوريا الحثي، وغيرها من الأمثلة الأخرى الكثيرة التي ينقلها لنا كتابكم المقدس، فهل تعتقدون أن أيًّا من هؤلاء قد فعل ما فعل وهو بمعزل عن الشيطان؟ هذا إذا سلمنا بادعاءاتكم الكاذبة على أنبياء الله، ولكن معاذ الله.

والحديث الذي أوردتموه إنما هو لنا لا علينا، فهو يؤكد أن محمدًا ليس مدعي نبوة،

فما هو الداعي إلى إقرار حديث يؤكد على عصمة نبي اللّه عيسى من الشيطان دون باقي الخلائق. فهل هذا سلوك يليق بمدعي نبوة؟! أم سلوك يليق بنبي يعرف مقام ربه. بلّغ كل ما أخبره به سواء أكان حسنًا في حقه أو في حق غيره؟ ذلك الرجل الذي امتدحه اللّه في قوله: (وإنك لعلى خلق عظيم). فوردت في القرآن. وحينما أخطأ في حق الأعمى نزلت فيه سورة (عبس). فما ذكره محمد في هذا الحديث لم يرد له أي نص في القرآن. وليس هناك ما يجبره على الإقرار بأمر كهذا من تلقاء نفسه إذا كان مدعي نبوة.

ومحمد صلى اللّه عليه وسلم لم يكن إلا بشر يخضع لكل القوانين البشرية حتى وسوسة الشيطان. إلا أن اللّه قد أقدره عليه. وها أنتم تتحدثون عن أخطاء أنبيائكم بأن اللّه قد أراد أن يبعث إلى الخطائين خطائين أمثالهم. أما إذا تعرض الأمر لنبي اللّه محمد بن عبد اللّه الذي تعتبرونه عدوكم لا تقبلون له إلا الكمال المطلق وإلا فهو كاذب ولا يليق به أن يكون نبيًّا. وتتناسون أن الكمال المطلق هو للّه وحده.

فإذا وضعنا ما تقولونه بشأن الذي تعتبرونه قصورًا في نبينا في كفة الميزان مع ما تقولونه بشأن أنبيائكم الذين صورهم كتابكم المقدس في أبشع الصور. لرجحت كافة محمد صلى اللّه عليه وسلم برغم كل ما تدعون أنه عيب فيه وبدون منازع.

موته بتأثير السم

*** ادعاء**

جاء في سورة آل عمران ٣: ١٤٤ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ). وجاء في سورة الأعراف ٧: ١٨٨ (وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ).

وتقولون: قال البيضاوي: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾: روي أنه لما رمى عبدُ اللهِ بن قمئة الحارثي رسولَ اللهِ بحجر فكسر رباعيته (أسنانه الأربعة الأمامية) وشجَّ وجهه، فذبَّ عنه مِصعب بن عُمير رضي الله عنه، وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه قتل النبي عليه السلام. فقال: قد قتلتُ محمدًا. وصرخ صارخٌ: ألاَ إنّ محمدًا قد قُتِل. فانكفأ الناس، وجعل الرسول يدعو: إليَّ يا عباد الله. فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون، وقال بعضهم: ليت ابن أُبيّ يأخذ لنا أمانًا من أبي سفيان. وقال ناس من المنافقين: لو كان نبيًّا لما قُتل، ارجعوا إلى إخوانكم ودينكم. فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك: يا قوم، إن كان قُتِلَ محمد فإن رب محمد حي لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعده؟ فقاتِلوا على ما قاتل عليه. ثم قال: اللهم إني أعتذر إليه مما يقولون وأبرأ إليك منه، وشدَّ بسيفه فقاتل حتى قُتل فنزلت.

وتقولون: ولما فُتحت خيبر واطمأن الناس جعلت زينب بنت الحارث أخي مرحب (وهي امرأة سلاّم بن مشكم) تسأل: أي الشاة أحب إلى محمد؟ فيقولون: الذراع؛ لأنه هاوي الشاة وأبعدها عن الأذى، فعمدت إلى عنز لها فذبحتها وحلّتها ثم عمدت إلى سم لا يلبث أن يقتل من ساعته، فسمّت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتف. فلما غابت الشمس وصلى محمد المغرب بالناس انصرف وهي جالسة عند رجليه فسأل عنها فقالت: يا أبا القاسم هدية أهديتها لك. فأمر بها محمد فأُخذت منها فوُضعت بين يديه وأصحابه حضور وفيهم بشر بن البراء بن معرور، فقال محمد: ادنوا. فقعدوا، وتناول محمد الذراع فانتهش منه، فلما ازدرد محمد لقمة ازدرد بِشْرٌ ما في فمه وأكل القوم منها. فقال محمد: "ارفعوا أيديكم فإن هذه الذراع والكتف تخبرني أنها مسمومة". فقال بشر: والذي أكرمك، لقد وجدت ذلك في لقمتي التي أكلت فما منعني أن ألفظها إلا أن أنغّص عليك طعامك، فلما أكلتَ ما في فيك لم أرغب بنفسي عن نفسك ورجوت ألا تكون ازدردتَها، فلم يقم بشر من مكانه حتى

توفي. وطُرح منها لكلب فمات. وقيل: عاد لونه كالطيلسان أي اسودّ. وماطله وجعه سنة ثم مات. وقيل: إن محمدًا انتهش من الشاة قطعة فلاكها ثم ألقاها (أي ولم يبتلعها). أما بشر فانتهش من الشاة قطعة وابتلعها. واحتجم محمد بين الكتفين في ثلاثة مواضع. وقال: "الحجامة في الرأس هي المعينة. أمرني بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية". ثم أرسل محمد إلى تلك اليهودية فقال: "أسَمَمْتِ هذه الشاة؟". قالت: نعم. قال: "ما حملك على ما صنعت؟". قالت: قتلتَ أبي وعمي وزوجي ونلتَ من قومي ما نلت. فقلتُ: إن كان ملِكًا استرحنا منه. وإن كان نبيًّا فسيخبَر. فقيل إنه عفا عنها. وقيل إنه أمر بها فقُتلت وصُلبت. ولما مرض محمد المرض الذي مات فيه قال لعائشة: "يا عائشة. ما أزال أجد ألم الطعام الذي أسْمِمتُه. فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم". ولما دخلت عليه أخت بشر في مرضه الذي مات فيه قال لها: "هذا أوان انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر".

* الرد:

ولكم أقول: ألا تعتبرون يوحنا المعمدان نبيًّا. ألم يقتله هيرودس؟ ألم يقتل إيليا؟ ألم تطلقوا على اليهود مسمًّى يتفق مع ما فعلوه بأنبياء الله ومرسليهم بتسميتهم "قتلة الأنبياء"؟ ألم تزعموا أن عيسى قُتِلَ وصُلِبَ تكفيرًا عن خطايا البشر؟ ومَن عيسى عندكم. إنه الذي تعتبرونه إلهًا. أتستنكرون مبدأ القتل البشري وتستسيغونه لإلهكم؟!

وقبل الخوض في الآية الكريمة نتساءل: هل صرّح محمد يومًا بأنه ليس بشرًا. ولا ينطبق عليه ما ينطبق على البشر من قوانين بشرية من موت وحياة والتعامل مع الخلاء. وغير ذلك؟

لا والله.... لم يصرح محمد يومًا بشيء كهذا. فإننا نحن المسلمين لا نستاء من كون محمد مات بتأثير السم أو غيره. فها أنتم تزعمون أن المسيح قُتِلَ. ومن ماذا؟

من شدة التعذيب، أي أنه قتل تصحبه مهانة، وبعد ذلك تدعون أنه إلهكم!

وقطعت رأس يوحنا الذي عمّد اليهود وعمّد عيسى نفسه من نهر الأردن، وقدمت إلى ابنة أخ لهيرودس ملك اليهود مكافأة لها، وعلى ماذا؟ على حُسْن أدائها للرقص! وغيرهم من أنبياء اللّه.

أما بشأن غزوة أحد.... فما حدث في غزوة أحد من إشاعة قتل رسول اللّه لم يكن إلا تربية لصحابة رسول اللّه، كما كانت إشاعة قتل الرسول لها مغزى آخر من اللّه وهو إخراج ما بأنفس المسلمين المجاهدين الذين انقسموا إلى فرق ثلاثة بعد إشاعة هذا الخبر:

- المنافقين الذين هم أكثر شرًّا من الكفار قالوا: لو كان نبيًّا لما قُتِلَ، ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم، ونسوا أن أغلب الأنبياء قُتِلَوا.

- ضعاف الإيمان... فقالوا: سنذهب إلى ابن أبي ليأخذ لنا أمانًا من أبي سفيان.

- المؤمنين حقًّا.... من أمثال أنس بن النضر الذي قال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - أي المنافقين - وأعتذر إليك مما يقول هؤلاء - أي ضعاف الإيمان - وينادي في الصحابة قائلًا: قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، ثم استقبل القوم من المشركين فقاتل حتى قُتِلَ.

أما بشأن موته بتأثير السم فالقصة التي ذكرتموها إن دلت على شيء لا تدل إلا على نبوته صلى اللّه عليه وسلم، فمن أعلمه أن الشاة مسمومة؟ ألم يكن رب الشاة؟ ألم تقل المرأة اليهودية إن كان نبيًّا سيُخْبَر؟ وقد أُخْبِرَ، فقد أراد اللّه أن يدلل على نبوته بهذه الحادثة.

وإذا نظرت إلى القصة بشيء من الإمعان والتمحيص لعلمت أن حادثة موت الرسول صلى اللّه عليه وسلم بهذه الطريقة هي منحة إلهية من اللّه سبحانه وتعالى لنبيه، فهي معجزة ومنحة، فمن منا من الممكن أن يأكل سمًّا ويموت على

أثره بعد بضع سنين، فغزوة خيبر كانت قبل وفاة النبي الكريم ببضع سنين.

فأراد اللّه أن يكون موته بمعجزة، وليس هذا فحسب، بل على لون من ألوان الشهادة أيضًا، فقد أراد اللّه له أن يموت نبيًّا ورسولا وشهيدا، وعلى لون من ألوان الإعجاز، فهنيئا لك يا نبي اللّه، هنيئا لك يا رسول اللّه، هنيئا لك يا شهيدًا في اللّه وللّه..... وهنيئا لنا بك.

علامَ يحسدونه؟

*** ادعاء**

جاء في سورة النساء ٤: ٥٤ (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ).

وتقولون: قال ابن عباس: إن أهل الكتاب قالوا: زعم محمد أنه أُوتي ما أوتي في تواضع وله تسع نسوة وليس همه إلا النكاح، فأي مِلك أفضل من هذا؟ فقال محمد: أم يحسدون الناس.

ويفتخر المسلمون بأن محمدًا كان يدور على نسائه (أي يجامعهن) في الساعة الواحدة من النهار أو الليل وهن إحدى عشرة. قال قتادة بن دعامة لأنس بن مالك: أوَكان يطيق الدوران عليهن؟ فقال أنس: كنا نتحدث أنه أُعطي قوة ثلاثين. وفي رواية: أربعين رجلًا من أهل الجنة. وورد في الحديث، قال محمد: "أُعطيت قوة أربعين رجلًا من أهل الجنة في البطش والجماع". ورووا أن الرجل من أهل الجنة ليُعطى مائة قوة في الأكل والشرب والجماع والشهوة. وذكر ابن العربي أنه كان له من القوة في الوطء لزيادة الظاهرة على الخلق. وروى ابن سعد عن أنس أنه طاف على نسائه التسع في ليلة. وقال محمد: "أتاني جبريل بقِدْرٍ فأكلتُ منها فأُعطيتُ قوة أربعين رجلًا من رجال الجنة". وشكا محمد إلى جبريل قلة الجماع فتبسَّم جبريل حتى تلألأ مجلس محمد من بريق ثنايا جبريل، فقال له: أين أنت من أكل الهريسة؟

*** الرد:**

وقبل الإجابة عن هذا السؤال.... أجدني بحاجة شديدة إلى أن أقول لمن كتب هذا الكلام: اتق يومًا تشيب له الولدان وكفاكم افتراءات. فمقولة ابن عباس من الواضح الجلي أنها ليست إلا نقلًا لكلام قلتموه أنتم – أهل الكتاب – من باب ذكر القول للتعليق عليه. والاعتراض على زعمكم بأن هذه الآية نزلت بخصوص حسد الناس لمحمد لأن له تسع زوجات وأنه ليس له هم إلا النكاح. وأن له قوة أربعين رجلًا في البطش والجماع. زاعمين فخر المسلمين بنبيهم لما له من هذه القوة الهائلة.

وهذا بشأن ما قاله ابن عباس. أما بشأن ما زعمتم أن المسلمين يفتخرون به في نبيهم. فلي أن أسألكم أي مسلمين تعنون؟ فليس عندنا شيء يخص تفسير هذه الآية يحمل هذا المعنى. أتقصد الشيعة من أعداء محمد؟ أم من لا يعلمون من أمر دينهم شيئًا؟ الذين كالأنعام بل هم أضل.

فالباحث في قضية الدين عليه باللجوء إلى أهل العلم من العلماء المسلمين الذين تمتلئ بهم ساحة الأزهر الشريف. أو الدعاة إلى الله ممن يخافون الله. وليس كل من يحمل لقب مسلم في بطاقته الشخصية والذي لا يعلم حتى معنى كلمة الإسلام. أو كم تكون الصلوات المفروضة.

وإليك شرح ابن كثير لهذه الآية الكريمة التي لا علاقة لها بزواج النبي أو زوجاته على الإطلاق. وذلك في مجلده الأول (تفسير سورة النساء).

﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾. يعني بذلك حسد الناس للنبي صلى الله عليه وسلم على ما رزقه الله من النبوة العظيمة. وقد منعهم من تصديقهم إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل.

وأنت إذا حاولت ربط الآية بما قبلها وما بعدها من الآيات فستعلم وبدون اللجوء إلى تفسير ابن كثير أو غيره من علمائنا الأجلاء أن هذه الآية لا علاقة لها بزواج النبي

أو زوجاته. فالحديث يدور عن النبوة والكتاب. ولكنها أنفسكم التي سوّلت لكم وأمْلَت لكم الهجوم لمجرد الهجوم. وإليكم الآيات: **(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ٥١ أولئك الذين لعنهم اللّه ومن يلعن اللّه فلن تجد له نصيرا ٥٢ أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقيرا ٥٣ أم يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما)**...

ولكم أقول: إن هذا النزال غير شريف ولا يبغي سوى التضليل.... فصبر جميل واللّه المستعان على ما تصفون.

شتيمة بشتيمة

*** ادعاء**

جاء في سورة الكوثر ١٠٨: ١-٣ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ). وسبب نزول سورة الكوثر أن ابنًا لمحمد من خديجة مات. فقال العاص بن وائل: إن محمدًا أبتر لا عقب له ولا ذرية. فقال محمد: إن شانئك (مبغضك) هو الأبتر أي العاص. فلئن عيّروه بأنه أبتر فإن شانئه هو الأبتر!

وتقولون: في سورة المسَد ١١١: ١-٥ (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ). وسبب نزول سورة المسد أن محمدًا دعا أقاربه لينذرهم. فقال له عمه أبو لهب: تبًا لك! ألهذا دعوتنا؟ وأخذ حجرًا ورماه به. فسبَّه محمد قائلًا: (تبت يدا أبي لهب وتب) أي: هلكت نفس أبي لهب. سيدخل نارًا يصلاها. وسبَّ امرأة عمه قائلًا: إنها حمالة الحطب الذي يحرقها في جهنم. وإن في عنقها حبلًا يقتلها ويخنقها. فكان يكيل اللعنات لكل من قاومه! فأين محمد من السيد المسيح الذي "إِذْ شُتِمَ

لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا" (١ بطرس ٢: ٢٣) والذي قال: "بَارِكُوا لاعِنِيكُمْ". (متى ٥: ٤٤).

*** الرد:**

ولكم أقول: إن سورة الكوثر مثلها في ذلك مثل العديد من سور القرآن التي نزلت في مواقف. و(**إن شانئك هو الأبتر**) أي: إن عدوك هو الأبتر - وكلمة الأبتر تعني من انقطع ذِكْرُه لعدم وجود مولود ذكر عنده - فلما مات أبناء النبي الذكور نزلت هذه الآية لتوهم الناس أن محمدًا أصبح بلا ولد. وبالتالي فبعد موته سينقطع ذكره. فهل انقطع ذكر محمد بعد موته؟! بالطبع لا. فهو ذلك النبي الذي بقي ذكره على رءوس الأشهاد. وأوجب شرعه على رقاب العباد.

فمن يكون الأبتر هنا أهو محمد؟! أم أعداء محمد حتى لو امتلكوا من الذكور مائة؟ فهذه السورة لم تكن إلا لإبهاج نفس النبي في مصابه وتعزية له من اللّه سبحانه وتعالى. فما الذي ترونه غريبًا فيها؟

أما بشأن سورة المسد... فإن (**تبت يدا أبى لهب**) تعني: خسرت يدا أبي لهب وخابت وضل عمله وسعيه. و(وتب) أي: وقد تبّ وتحققت خسارته وهلاكه.

وقد نزلت هذه الآية في عم الرسول صلى اللّه عليه وسلم أبي لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) الذي كان شديد الإيذاء للرسول وللدعوة. ويروي لنا البخاري عن ابن عباس: أن النبي صلى اللّه عليه وسلم خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: "يا صباحاه". فاجتمعت إليه قريش. فقال: "أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مُصَبِّحُكم أو مُمسيكم أكنتم تصدقوني؟". قالوا: نعم. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد". فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًّا لك. أي الخسران لك والخيبة لك. فأنزل اللّه تثبيتًا لمحمد صلى اللّه عليه وسلم قائلًا هذه الآية: لا تبتئس فإن الخسارة والخيبة له هو. فلتستمر في شأن الدعوة ولك الفلاح وله الخسارة والخيبة. وأعتقد أن هذا الأسلوب في حوار اللّه مع الأنبياء ليس بغريب عليكم. فنحن نجد بطول التوراة

وعرضها أن اليهود قبل الدخول في أي معركة مع الخصم ومع العدو كانوا يلجئون إلى الأنبياء ليسألوا لهم اللّه أيدخلون هذه المعركة أم لا؟ هل لهم النصر أم لا؟ وكان يصل إليهم جواب اللّه من خلال النبي، أما هنا فقد سمع اللّه الحوار بين النبي وبين أبي لهب فأجابه اللّه، فقد أراد أن يقول له: أبشر يا محمد فالفوز لك، فالنصر لك، ولا تبتئس بما يقول، وبَشِّرْهُ هو بالخيبة والخسارة.

أما عن قولكم "أين هو من السيد المسيح الذي قال: باركوا لاعنيكم. فلكم أقول: لو أنكم أجهدتم أنفسكم قليلا وقرأتم في حياة محمد، وقصص الأنبياء، فستعلمون جيدًا كيف أن محمدًا كان يبارك لاعنيه، فهو ذلك الرجل الذي دخل مكة منتصرًا بعد هجرته إلى المدينة، ولكنه لم يؤذِ أحدًا، بل عفا عنهم، حينما قال لهم وهم أذلّاء ضعفاء: "يا قوم، ما تظنون أني فاعل بكم؟". قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

فذلك هو النبي الذي أوذي من قومه أشد الإيذاء حتى أنه فر هو ومن معه إلى المدينة من شدة إيذائهم لهم، حتى إذا أمكنه اللّه منهم وأصبحت الفرصة سانحة لأن يرد الأذى بالأذى كان جوابه: "اذهبوا فأنتم الطلقاء". فهل بعد هذا ترون أن محمدًا يختلف عن عيسى؟ أم على قلوبٍ أقفالُها؟

قتل الكلاب

* ادعاء

وتقولون: جاء في سورة المائدة ٥: ٤ ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ (مكلبين: أي مُعَلِّمِين لها الصيد). روى الطبري بسنده عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى محمد يستأذن عليه، فأذن له فلم يدخل، فقال: قد أذِنّا لك يا رسول اللّه، أجل ولكنا لا ندخل بيتًا فيه كلب. قال أبو

رافع: فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة، ففعلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمةً لها، ثم جئت إلى محمد وأخبرتُه فأمرني بقتله، فأتى عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين قالا: يا رسول الله، إنّا قومٌ نصيد بالكلاب والبزاة، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء، فماذا يحل لنا؟ فقال هذه العبارة، وأحل كلب الصيد وكلب الماشية بعد أن قتل الجميع!

ونحن نسأل: إن كان جبريل لم يدخل بيت محمد لسبب الكلاب التي فيه، فلماذا لم يكتفِ محمد بقتل كلاب بيته فقط؟ ولماذا أمر بقتل كلب المرأة المسكينة التي رقَّ لها أبو رافع ولم يشأ أن يقتل كلبها، وفي الوقت نفسه استحيا كلاب الأغنياء للصيد؟ ثم إن الكلاب كانت في بيت محمد وفي المدينة قبل قتل الكلاب، فكيف كان جبريل يأتي محمدًا قبل قتلها؟ إن كان جبريل يكره الكلاب ألا نقول: إن الذي كان يأتي محمدًا أولًا هو غير جبريل؟

*** الرد:**

ولكم أقول: بداية سأتحدث عن النهج الذي سار عليه الطبري في تجميعه للأحاديث النبوية، لقد كان الطبري يسجل كل الروايات حتى ما جاء منها بإسناد ضعيف ومشكوك فيه إلى حد التكذيب، حيث كان دوره تجميعيًّا، فقد أراد بما كان يفعل أن يترك تراثًا يضم كل ما قيل سواء أكان صادقًا أو كاذبًا، وما هو بإسناد ضعيف، وما هو بإسناد صحيح، راغبًا في تفنيد ما أتى به وفرزه على يد متخصصين في علوم الحديث.

وسأذكر لكم قصة تدلل على منهجه... يروي أن الطبري رحمه الله حينما كان على فراش الموت دخل إليه أحد أصدقائه ودعا له بدعاء، فطلب أوراقًا وقلمًا ليدونه ليستفيد به الخلف من بعده.

وإني أرى أن الأسلوب الذي اتبعه الطبري كان أسلوبًا جيدا، فقد أغرى العديد من

علماء الحديث للبحث في نسبة الحديث (هل هو صحيح الإسناد، أم بإسناد ضعيف، أم حديث مكذوب... أم ماذا) ولم يكن هذا أسلوب الطبري فحسب، بل كان أسلوب عدد من أئمة الإسلام، فنحن نقرأ في تفسير ابن كثير في سبب نزول بعض الآيات أكثر من رواية، حيث كان يروي كل ما وصل إليه، وعلينا نحن البحث في سند هذه الروايات للوصول إلى الرواية الصحيحة.

أما بشأن الآية التي تتحدثون عنها فأنتم تقولون: لماذا لم يكتف محمد بقتل كلاب بيته فقط؟ لأن نبي الرحمة كما عودنا دائما لا يريد خيرا لنفسه فقط، ولكن لكل أمته، فحينما علم أن الكلاب تمنع دخول الملائكة للبيت أمر بقتل كل الكلاب، فهو يريد لنا جميعًا أن نكون جلساء الملائكة ولسنا جلساء الشياطين، فنحن نعلم أن مجالس الذكر في بيوتنا تحضرها الملائكة، وبفعل الطاعات تتواجد الملائكة، ولكنه علم من ملاك الوحي جبريل أن الملائكة لا تدخل البيت الذي به كلاب، فلذلك أمر بقتلهم جميعًا.

أما بالنسبة للمرأة التي تشفع لها أبو رافع عن كلبها الذي ينبح عليها فأمره محمد بقتله، فلكم أقول: إن من يحرسه الله وملائكته ليس في حاجة إلى حراسة البشر، أو الكلاب.... فأيهما أفضل: الملائكة أم البشر والكلاب؟ فلتجيبوا أنتم.

وعن إباحة الكلاب في الصيد، فلكم أقول: إنكم لو أجهدتم أنفسكم قليلا لتقرءوا الآية التي تسبق هذه الآية مباشرة وهي الآية (٣)، (**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم**)، أي: فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات

التي ذكرها اللّه تعالى لضرورة ألجأته إلى ذلك فله تناولها، واللّه غفور رحيم.

ويتضح لنا هنا أن التحريم في كثير من المواضع من كتاب اللّه لم يكن مطلقًا. فالسيدة التي تقتني الكلب لينبح عليها، اللّه ورسوله وملائكته معها، فحرص السيدة على اقتناء الكلب ليحميها لم يكن إلا ضعف إيمان. فالرسول يريد تقويمها لا أكثر ولا أقل، فالحافظ هو اللّه، فهو يريد أن يقول لها: "**قل لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء ما نفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ما ضروك إلا بشيء قد كتبه اللّه عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**". ولو أن النبي قال حديثًا لا تطبيق له في حياتنا العملية فما علة قول هذا الحديث من الأساس.

أما إذا اقتضت الضرورة اقتناء الكلب أو غيره من الجوارح التي اعتيد استخدامها للصيد والتي قد تكون مصدر الدخل الوحيد للبعض فقد أباحها اللّه سبحانه وتعالى... مثلما أباح في الآية (٣) من نفس السورة السابقة أكل الميتة ولحم الخنزير أو المنخنقة أو الموقوذة إذا اقتضت الضرورة، كأن يكون هذا الطعام هو الطعام الوحيد المتواجد في مكان ما وبدونه قد يهلك الإنسان، فأباح اللّه هذا.

ونقرأ في كتاب "لا تحزن" لعائض القرني هذه القصة:

مر ابن المبارك حاجًّا في قافلة، فرأى امرأة أخذت غرابًا ميتًا من مزبلة، فأرسل في أثرها غلامه فسألها، فقالت: ما لنا منذ ثلاثة أيام إلا ما يلقى بها. فدمعت عيناه، وأمر بتوزيع القافلة في القرية، وعاد وترك حجته تلك السنة.

أما بشأن قولك: إن الكلاب كانت في بيت محمد قبل هذه الواقعة، فلك أقول: فلتأتِ بمصادرك عن هذا الأمر، فما تفعلونه واضح للعوام، ولن يزحزحنا عن ديننا مثقال ذرة.

وقد أخبرنا النبي صلى اللّه عليه وسلم أن الملائكة لا تدخل البيت الذي به

كلاب. ولكنه لم يخبرنا أنها لا تدخل مدينة بها كلاب. فصحيح أن الكلاب كانت بالمدينة ولكن الملاك كان ينزل في بيت محمد أو في الغار. ونحن نعلم أن الملائكة تحضر مجالس العلم على الرغم من امتلاء الشوارع بالكلاب.

يطرد الفقراء!

* ادعاء

جاء في سورة الأنعام ٦: ٥٢ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وتقولون: قالوا: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعُيَينة بن حصن الفزاري فوجدا محمدًا قاعدًا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفاء المؤمنين. فلما رأوهم حوله حقّروهم. فقالوا لمحمد: لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - وكانت عليهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها كالنُّسّاك- وأخذنا عنك. ونحب أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف به العرب فضلنا. فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبُد (العبيد). فإذا نحن جئناك فأقِمهم عنا. فإذا نحن فرغنا فأقعِدْهم حيث شئت. قال: نعم. قالوا: فاكتب لنا عليك بذلك كتابًا. فأتى بالصحيفة ودعا عليًّا ليكتب. ولما راجع نفسه ورأى أنها أحيُولة قال إنّ جبريل نهاه.

وقال ابن عباس: إن ناسًا من الفقراء كانوا مع النبي. فقال ناس من أشراف الناس: نؤمن لك. وإذا صلّينا فأخِّر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا. فكاد أن يجيب الطلب. ولما رأى ما فيه من الظلم قال إن اللهّ نهاه عن ذلك.

*** الرد:**

ولكم أقول: كما عهدنا عليكم دائمًا تتعاملون مع الآيات حسب هواكم، وتتناولون جزءًا من القصة كما وردت، ثم تطلقون العنان لأنفسكم لتكملوها وفق رغباتكم، فقد روي عن علماء المسلمين الذين من بينهم ابن جرير عن ابن مسعود قال: مر الملاء من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصير تبعًا لهؤلاء؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم نتبعك، فنزلت هذه الآية: ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**﴾ أي: لا تستمع إلى كلامهم وتستجيب لرغبتهم في طرد هؤلاء الفقراء والضعفاء من المسلمين.

أما بشأن الرواية التي سقتموها فقد ذكرها ابن كثير في تفسيره لسورة الأنعام في المجلد الأول بنصها الصحيح كالآتي: قال ابن أبي حاتم عن خباب في قول الله عز وجل: ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**﴾، قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم في نفر في أصحابه، فأتوه فخلوا به، وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت. قال: "نعم". قالوا: فاكتب لنا عليك كتابا، قال: فدعا بصحيفة ودعا عليًّا ليكتب ونحن قعود في ناحية، فنزل جبريل فقال: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾، فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة من يده، ثم دعانا فأتيناه.

وهذا نص القصة كما أوردها ابن كثير فيما عدا: فلما رأى أن هذه أحيولة قال إن جبريل نهاه! أو أنه لما رأى ما فيه من الظلم قال: إن الله نهاه. وإنني أرى أن القصة الأولى التي رواها ابن جرير أقرب إلى الصواب من هذه القصة.

ولكن إذا كانت الثانية... فلا شك أن الرسول إن وافق على أمر كهذا قبل نزول النهي الإلهي فإن ذلك لم يكن إلا بدافع الرغبة في اجتلاب أكبر عدد من الناس إلى الإسلام لعلمه تمام العلم أنهم ما زالوا يحملون داخل صدورهم عصبية الجاهلية والتفريق بين السادة والعبيد الذي نشأوا ورُبُّوا عليه منذ نعومة أظافرهم. والمعنى الذي رسخ في نفوسهم من أن الإسلام لم يأتِ إلا ليضع السادة في موضع العبيد أو العبيد في موضع السادة. وتفهم محمد صلى الله عليه وسلم لنفسية هؤلاء هو الدافع الأول لموافقته على هذا الأمر إذا كانت هذه هي الرواية الصحيحة. فالمصطفى صلى الله عليه وسلم يعلم تمام العلم أنه حينما يتسلل الإيمان الحق إلى نفوس هؤلاء فإنه قادر على أن يزيل هذه العصبية من داخلهم ويعلموا أنهم جميعًا إخوة في الله وسيجلسون هم إلى جوارهم دون طلب من رسول الله. فرغبته في اجتلابهم وعلمه بأن الإسلام سيطهر نفوسهم هو الدافع إلى موافقته على هذا الأمر. وسأسوق لكم مثالا بسيطًا: هب أنك مسلم ولكن شارب خمر وزانٍ وسيد مهاب في قومك ونريد هدايتك. فما هو المنهج السليم لاجتلابك. والوصول بك إلى الدرجة التي يحبها الله ورسوله. أنقول لك: خسئت. أتشرب الخمر والله ينهى عن هذا؟ أتزني؟ عليك اللعنة. جهنم وبئس المصير. أنت سيد ومهاب اليوم غدًا سيصبح العبيد أفضل منك أمام رب العالمين.

فما ظنكم بهذا الشخص الذي هوجم بكل هذه القسوة؟ بنسبة كبيرة قد لا يجد هذا الكلام استحسانًا منه وربما صار أسوأ في سلوكه من باب المكابرة والعناد. أما إذا قلنا له: ما أجمل حلم الله عليك. أتعرف لماذا حلم الله عليك: لأنه يحبك. ولو

لم يكـن يحبـك مـا دعـاني إليـك، فـالله يرسـل عبـاده إلى مـن يحبـهم، إلى مـن يريـد هدايتهم.... فهو يريدك.... هل تريده؟... وإذا كنـت تريـده، فمـاذا سـتفعل في مقابـل محبته لك، ماذا ستترك مـن أجلـه، مـا رأيـك بصـحبتي، ألا تريـد مـرافقتي، "**مثـل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحْذِيَك وإما أن تبتاع منه، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد عنده ريحًا خبيثة**".

وبالتالي يمكننا بهذه الطريقة أن نجتذبه إلى طريق الخير، وترك المعاصي، فإذا كـان هذا هو المنهج التربوي الـذي وصـلنا نـحن إليـه لعـلاج هـذا الرجـل، فمـا بـالكم بالمبعوث رحمة للعالمين، فـأين نـحن مـن تفكـير المصـطفى صـلوات الله وسـلامه عليه.

ولكن لا يحدث الاتفاق دائما بين الرغبة المحمدية والإرادة الإلهيـة، فكمـا نهـاه الله عن الاستغفار لأهله من المشركين في سورة التوبة الآية (١١٣، ١١٤)، نهاه هنا أيضـا عن تقـديم التنـازلات لاجـتلاب المشـركين إلى الإيمـان بـالله وبرسـوله مصـداقًا للآيـة الكريمة: ﴿**من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليهـا**﴾، ومصـداقا للآية القائلة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾.

فإيمان هؤلاء لن يزيد في ملك الله شيئًا، كما أن كفرهم لن ينقص مـن ملـك الله شيئًا، ولكنه النبي الكريم الذي لا يرجو سوى الخير لأمته، هذا النبي الذي بذل نفسه لهداية الناس ونشر دين الحق.

يحرّم ما أحل الله له!

*** ادعاء**

جاء في سورة التحريم ٦٦: ١ و٢ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ

وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾.

وتقولون: جاء في السيرة الحلبية أن محمدًا كان يومًا في بيت حفصة بنت عمر وهي إحدى أزواجه. فاستأذنت منه في زيارة أبيها. فأذن لها. فأرسل إلى مارية وهي إحدى سراريه فأدخلها بيت حفصة وواقعها. فرجعت حفصة وأبصرت مارية معه في بيتها فلم تدخل حتى خرجت مارية. ثم دخلت وقالت له: إني رأيت مَن كانت معك في البيت. وغضبَت وبكت وقالت له: قد جئتَ إليّ بشيء ما جئتَ به إلى أحدٍ من نسائك. في يومي وفي بيتي وعلى فراشي! فقال لها: "اسكتي. أما ترضين أن أحرمها على نفسي ولا أقربها أبدًا؟. قالت: نعم. وحلف ألا يقربها. ولكن لما عاودته الرغبة في مارية حنَث بالقسَم. وقفل باب اعتراض حفصة على رجوعه في قسَمه بقوله: إن اللّه أوحى إليه!

* الرد:

وبسؤال الدكتور محمد فؤاد شاكر أحد علمائنا الأجلاء أجاب وقال: وردت عدة روايات عن سبب نزول هذه الآية. ولكن الرواية الصحيحة هي التي ترجع نسبتها إلى السيدة عائشة رضي اللّه عنها. والتي رواها البخاري عنها. وهي حادثة تحريم الرسول للعسل..... وبالرجوع إلى تفسير ابن كثير كانت هذه الرواية كالآتي:

قالت السيدة عائشة: كان الرسول صلى اللّه عليه وسلم يحب الحلوى والعسل. وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن. فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس. فَغِرْتُ فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل. فسقت النبي شربة. فقلت: أما واللّه لنحتالن له. فقلت لسودة: فإنه سيقول: لا. فقولي: جرست نحله العرفط. وسأقول ذلك. وقولي له أنت يا صفية ذلك. قالت: تقول سودة: فواللّه ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أناديه بما أمرتني. فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول

اللّه، أكلت مغافير؟ قال: "لا". قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: "سقتني حفصة شربة عسل". قالت: جرست نحله العرفط. فلما دار إليّ قلت نحو ذلك. فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك. فلما دار إلى حفصة قالت له: "يا رسول اللّه، ألا أسقيك منه؟". قال: "لا حاجة لي فيه". فنزلت هذه الآية.

وما يجعلنا نرفض الرواية التي أوردتموها هو أن الرسول كان قد اشتهر بالعدل بين زوجاته. فكيف لنا أن نتخيله يحرم واحدة من أجل أخرى، وهو من دعا إلى اللّه أن يغفر له ميل قلبه إلى السيدة عائشة أكثر من باقي نسائه. فإذا كان يتعذب ويخاف من اللّه من أن يعاقب على ميل قلبه للسيدة عائشة فهل لنا أن نتخيل أنه يحرم زوجة ويبخسها حقها من أجل زوجة أخرى؟ فتاريخ الرسول واشتهاره بالعدل بين زوجاته يجعلنا نرفض هذه الرواية.

يكرم الحجر

*** ادعاء**

جاء في سورة الأحزاب ٣٣: ٢١ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. وقال عمر بن الخطاب عن الحجر الأسود: أما واللّه لقد علمتُ أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسول اللّه قبَّلك ما قبَّلتك".

وتقولون: لماذا جعل محمد تقبيل الحجر الأسود من شعائر الحج كالوثنيين؟ وهل هذه هي الأسوة الحسنة؟ ولماذا يجاري ويداري عرب الجاهلية فيشرك في إكرام اللّه إكرام الأحجار؟

*** الرد:**

ولكم أقول: إن تقبيل الحجر الأسود ليس من شعائر الحج كما تدّعون، ولا يأثم تاركه، ولكن من يفعل هذا إنما يفعله احتذاءً واقتداء بالرسول الكريم، فقد فعل

ذلك عمر اقتداءً بالرسول، ونفعل ذلك نحن اقتداء بنهجه أيضا وحبًّا في كل ما كان يحبه. وقد قبّله الرسول لأنه حجر من الجنة. فقد قيل أنه عند بناء إبراهيم للكعبة بقي حجر واحد لاستكمال بناء الكعبة، فأرسل لاجتلابه من الجبل، فأحضر له جبريل هذا الحجر من الجنة. فلما رآه قبله، وصارت سنة عند الرسول وبين أصحابه، وبين المسلمين من بعده... ولا يأثم تاركها، إنما هي محبة الرسول والاقتداء به.

وزر ينقض الظهر

*** ادعاء**

جاء في سورة الشرح ٩٤: ١-٣: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾.

وتقولون: قال البيضاوي: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾: عبئك الثقيل ﴿الذي أنقض ظهرك﴾: الذي حمله على النقيض، وهو صوت الرجل عند الانتقاض من ثقل الحمل، وهو أثقل عليه من فرطاته قبل البعثة أو جهله بالحكم والأحكام أو حيرته.

وجاء في سورة الفتح ٤٨: ١ و٢: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. قال البيضاوي: ﴿ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾: جميع ما فرط منك مما يصح أن تعاقب عليه.

ونحن نسأل: هل يصح الادعاء أنه شفيع أمته وهو نفسه مذنب؟

*** الرد:**

لقد أجابني الدكتور ميسر الشافعي أحد الدعاة إلى الله عما ورد بشأن سورة الشرح حيث قال: نزلت سورة الشرح بعد سورة الضحى ﴿والضحى والليل إذا

سجى، ما ودعك ربك وما قلى، وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ألم يجدك يتيما فآوى، ووجدك ضالا فهدى، ووجدك عائلا فأغنى، فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث). فقد أنزل اللّه على نبيه سورة الضحى ليذكره بأنه إلى جواره، حيث كان لتأخر الوحي على النبي بعض الوقت أكبر الأثر في شماتة أعداء الإسلام به حيث قالوا: ها قد قَلَاه ربه، أي: جفاه وأبعده، فكانت هذه السورة بمثابة المُسَرِّي عن نفس الرسول صلى اللّه عليه وسلم، كما جاءت لتثبيته وإراحة صدره، فذكّره اللّه كيف كان يقف إلى جواره دائما: فآواه حينما كان يتيمًا، وهداه حينما كان حائرًا يبغي معرفته – أي معرفة اللّه - فقد سمع عن اليهودية ورفضها، وسمع عن النصرانية ورفضها، ورفض عبادة الأوثان، فظل متخبطًا ضالًّا لطريق اللّه الصحيح إلى أن هداه اللّه، مثلما حدث مع أبينا إبراهيم حينما رفض كل ما كان يعبد في وقته من أوثان ونجوم وكواكب وغيرها.

ثم نزلت سورة الشرح لمزيد من المؤازرة الإلهية من اللّه لنبيه، حيث أكد له على كونه جل وعلا إلى جواره، حيث ذكّره بحادثة شرح صدره لاستخراج النكتة السوداء منه والتي تورث الحقد والحسد والبغضاء، وغير ذلك من الصفات البغيضة التي هي من الصفات البشرية، والتي لا يليق بنبي أن يحملها في صدره، ثم ذكّره بالعبء النفسي الذي تحمّله من تفكيره الدائم في قضية الأديان، ومن هو الرب الحقيقي لهذا الكون، وكيف أنه هداه وخلصه من هذه الحيرة.

فكلمة "وزر" هنا بمعنى عبء، أو حمل ثقيل.... حيث يقال: وضعت الحرب أوزارها، أي انقضى أمرها وخفّت أثقالها فلم يبقَ قتال.

ثم ذكّره باجتبائه له وتقريبه إليه واختياره لأن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين، والذي أعلى ذكره بين الخلائق، ثم قال له: فإذا كنت إلى جوارك طيلة مشوار حياتك، فلا تبتئس فإن مع العسر يسرًا.

ونجد أن الآيتان (١، ٢) من سورة الفتح تشيران إلى غفران كل ذنوب المصطفى في الدنيا، فكل ابن آدم خطاء، وإن اختلفت أخطاء الأنبياء في حجمها عن البشر العاديين، إلا أنهم قد يخطئون، وها هي سورة عبس تخبرنا عن ذنب لمحمد صلى الله عليه وسلم في حق الرجل الأعمى.

ولكن الله يبشره في هذه الآية بغفران كل ذنوبه، وهكذا أصبح محمد صلى الله عليه وسلم بلا ذنب فاستحق أن يكون شفيعًا لأمته.

ولكم أقول:

- ألم تعتبروا أن بولس رسولا، والذي أغلب الرسائل التي تستندون إليها منه، أليس هو الذي كان يدعى شاول - ذلك الرجل الذي كان خاطئًا ومعذبًا لأنصار عيسى عليه السلام - وتقولون أن المسيح قد كلمه بعد أن رُفِعَ واختاره لتبليغ الكلمه، رغم كل الذنوب، ورغم كل الخطايا في حقكم ورغم معاداته لكم وللمسيح، حتى أن كتابكم المقدس يضم عددا لا بأس به من رسائله، والتي تعلمون ما جاء فيها لأبنائكم، لماذا اختاره المسيح لهذه المهمة رغم خطئه وتعذيبه لكم؟!

- ألم يقتل سيدنا موسى المصري ومع ذلك اختاره الله ليقود بني إسرائيل.

- ألم تدعوا أن داود قد زنا بامرأة متزوجة وخطط للخلاص من زوجها من أجلها؟

وحينما نسألكم عن سبب ما ادعيتم أن أنبياء الله قد اقترفوه تقولون إن الله أراد أن يرسل إلى الخطائين خطائين مثلهم، ليكونوا نموذجا لرحمة الله وحلمه وواسع مغفرته، فأي تضارب هذا؟!

كادوا يفتنونه!

* ادعاء

جاء في سورة الإسراء ١٧: ٧٣ ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾.... وجاء في السورة نفسها آية ٣٩ ﴿وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾.... وجاء في سورة الأحزاب ٣٣: ١ و٢ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.... وجاء في سورة الزمر ٣٩: ٦٥ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾.... وجاء في سورة المائدة ٥: ٦٧ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

وتقولون: ألا تدل هذه الآيات على ميل محمد للمشركين وموالاته لمدح آلهتهم، ثم اعتذاره عن هذا بأن اللّه نهاه عن ذلك وزجره؟!

* الرد:

ولكم أقول: إننا إذا نظرنا إلى ما يسبق الآية (٣٩) من الآيات لعلمنا المقصد الفعلي لهذه الآية، فيقول جل وعلا:

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك...﴾ (٢٩)

﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق...﴾ (٣١)

﴿ولا تقربوا الزنى...﴾ (٣٢)

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم...﴾ (٣٦)

﴿ولا تمشِ في الأرض مرحا...﴾ (٣٧)

ثم يتمم تعاليمه إلى عباده بقوله: ﴿ولا تجعل مع اللّه إلها آخر...﴾ (٣٩)

وقد جاء حوار اللّه مع عباده في بعض الآيات بصيغة الجمع، وجاء في الأخرى

بصيغة المفرد، والتي أتت بصيغة المفرد أطلق الله فيها الجزء وأراد الكل، فالمعنى المتجلي ظاهريًّا: يا عبدي، ولكن المفهوم ضمنًا: يا عبادي، فالمقصود بهذه الأوامر كل العباد على حد سواء.

ونجد تفسير الآية (٣٩) في مختصر التفسير لابن كثير المجلد الثاني.... حيث يقول تعالى: هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة، ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة مما أوحينا به إليك يا محمد لتأمر به الناس. **(ولا تجعل مع الله إلهـا آخر فتلقى في جهنم ملوما)** أي: تلومك نفسك، ويلومك الله والخلق، (مدحورا)، أي: مبعدًا من كل خير، قال ابن عباس وقتادة: مطرودًا، والمراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه صلوات الله وسلامه عليه معصوم.

أما بشأن الآية (٦٥) من سورة الزمر: **(ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخسرين)**.... ونقرأ في كتاب "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" للزمخشري بالمجلد الثالث ما قاله الكاتب، حيث قال: فإن قلت: كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم؟ قلت: هو على سبيل الفرض، والمحالات يصح فرضها لأغراض، فكيف بما ليس بمحال، ألا ترى إلى قوله (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا)، يعني على سبيل الإلجاء، ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه.

ولك أقول: إنك حينما تقول لابنك: لئن شربت الخمر فسيذهب بهاؤك واحترام الآخرين لك، فهل الجملة تعني أن الابن شارب خمر؟ لا، ولكنها تحمل معنى التنفير للابن من شرب الخمر، وهذا ما أراده الله، لأنه رب النفس ويعلم أن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم، وأعتقد أنكم أولى الناس بمعرفة هذا الأمر من كتابكم المقدس، ألم تدّعوا أن نبي الله سليمان بن داود قد أشرك بالله في نهاية حياته ومات على

عبادة الأوثان. ذلك النبي الذي له سِفْر كامل في كتابكم المقدس تحت مسمى سفر الأمثال. والذي تلقبونه بسليمان الحكيم. تصفونه بالحكمة ثم تجعلون منه عابدًا للأوثان! فأي حكمة كانت في عبادة الأوثان؟ فحاشى لله أن يكون سليمان على هذه الصورة التي صورتموه عليها.

أما بشأن الآية (٦٧) من سورة المائدة ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾.

فلكم أقول: لو لم يبلغ النبي كل آية ما نزلت سورة عبس وما نزلت ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾.

ويقول مختصر التفسير لابن كثير في شرح هذه الآية في المجلد الأول: يقول الله تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة: بلّغ جميع ما أرسلتك به. وقد قام النبي بذلك أتم القيام. وقال البخاري عند تفسير هذه الآية عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمدًا كتم شيئًا مما أنزل الله عليه فقد كذب. وهو يقول: ﴿**يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾.

وقال البخاري: وقال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة. واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبة الوداع. وقد كان هناك من أصحابه نحو أربعين ألفًا. كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذ: "**أيها الناس، إنكم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول: اللهم هل بلغت؟**".

وقوله تعالى: ﴿**وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ يعني: إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته.

وعن مجاهد قال: لما نزلت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) قال: يا رب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون عليّ؟ فنزلت: (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته). وقوله تعالى: (والله يعصمك من الناس)، أي: بلِّغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك، فكلما همّ أحد المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سَمّه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به وحماه منه، ولهذا أشباه كثيرة جدًّا يطول ذكرها.

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم!

* ادعاء

جاء في سورة الأحزاب ٣٣: ٣٦: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا مُبِينًا).

وتقولون: قال البيضاوي: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة): وما صحَّ له. (إذا قضى الله ورسوله أمرًا) أي: قضى رسول الله، وذكر الله لتعظيم أمره والإشعار بأن قضاءه قضاء الله؛ لأنه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، خطبها رسول الله لزيد بن حارثة، فأبت هي وأخوها عبد الله! وقيل في أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي فزوّجها من زيد! (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) أن يختاروا من أمرهم شيئًا، بل يجب أن يجعلوا اختيارهم تبعًا لاختيار الله ورسوله. وقال البيضاوي في تفسير سورة الأحزاب ٣٣: ٣٧ (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ): نكاح زينب إن طلقها زيد أو أراد طلاقها. (وَتَخْشَى النَّاسَ): تعييرهم إياك به.. مخافة قالة الناس. وقال البيضاوي في تفسير سورة الأحزاب ٣٣: ٦: (النَّبِيُّ أَوْلَى

بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ): روي أنه أراد غزوة تبوك، فأمر الناس بالخروج، فقال ناس: نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت. ومن هذه الآيات الثلاث مع تفسيرها نرى كيف فرض محمد إرادته المطلقة، فإذا أراد أن يزوِّج زينب لابنه زيد فيجب أن تنصاع للأمر حتى لو اعترضت هي وأخوها، وإذا أراد محمد زينب فيجب أن يتخلى عنها زيدٌ زوجها! وإذا أراد الغزو فعلى الشبان أن يطيعوا بدون استئذان والديهم!

*** الرد:**

ولكم أقول: إن ما قلتموه حقيقة نفخر بها، فعندنا في ديننا طاعة اللّه والرسول واجبة على كل مسلم ومسلمة وفي كل الأمور، حتى لو لم يصادف ذلك هوى في أنفسنا، فهذه الآية عامة في جميع الأمور الحياتية، كما قال تبارك وتعالى: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لاَ يَجِدُوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)**.

وكما ورد في الحديث الشريف **"والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به"**. ولِمَ؟ لأن اللّه ورسوله أعلم ببواطن الأمور، فإذا تساءلتم ما هو الهدف الحقيقي وراء تزويج السيدة زينب بنت جحش إلى ابن الرسول صلى اللّه عليه وسلم بالتبني، لقلت لكم: يأتي اللّه بالمحنة ويظن الناس أنها محنة فقط، ولكن المولى سبحانه وتعالى يرسل معها منحة، وقد لا يتفهمها البعض في حينها، ولكن قطعًا سيتبدى الهدف الحقيقي منها فيما بعد، فإصابة الناس بالكرب والمكاره يُعَوِّدُهم الصبر والطاعة، والرضوخ لأمر اللّه، والانصياع لمشيئته، والعودة إلى اللّه، فيا لها من كُرَب ومِحَن تحمل بداخلها الخير الكثير... فإذا جئنا إلى تزويج السيدة زينب لزيد فقد زوّجها الرسول لحكمة اللّه التي تجلت فيما بعد... وهي إلغاء التبني وتحريمه، وإباحة زواج زوجة الابن بالتبني والتي كانت مرفوضة في الجاهلية، فقد كان الولد بالتبني يعامَل معاملة الولد من الصلب لدى العرب، وهذا

ما أراد الله إبطاله. فقد كان زواج السيدة زينب من زيد محنة ولكن بداخلها منحة كبيرة لها. فقد جعلها أحد الأدوات والأقلام التي سطرت مشيئة الله وشريعته. كما أنه أبدلها بخير منه وهو نبي هذه الأمة وخاتم النبيين والمرسلين المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

وبشأن قولكم: أن الرسول لما أراد زينب تخلى عنها زوجها. فهذا ادعاء باطل لم يكن الهدف منه سوى تشويه صورة نبي الرحمة. وتشكيك المسلمين في نبيهم وفي دينهم.... أما الرواية الصحيحة فقد سبق وتم سردها في أثناء الحديث عن زوجات النبي.

وإذا جئنا إلى قولكم: أنه في حالة الغزو على الشبان أن يطيعوا بدون استئذان والديهم. فلكم أقول: إن هذا يحدث معنا اليوم جميعًا كمسلمين ونصارى من القائد الأعلى للجيوش في حالة الحرب. فيحدث ما يسمى بالتعبئة والاستدعاء وما إلى ذلك. فمن منا لديه ولد طلب للجندية من قبل الدولة وله الحق في أن يأذن له أو لا يأذن. ألم يحاكم المتخلف عن تنفيذ الأمر العسكري بالانضمام للجندية من قبل القائمين على هذا الأمر في الدولة؟ ولِمَ؟ لأن هذا النظام يُفْرَض دائما ممن هو في موقع المسئولية. فمسئولية الأمة ليست بالأمر اليسير. وإذا كنا نحن ننساق إلى أوامر رئيس الدولة وقائد الجيش دون أدنى حرية في الاختيار. فكان بالأحرى أن ننساق إلى نبي الرحمة. ذلك الرجل الذي كان دائما في موقع المسئولية ووسط المعارك. فلم يرسلهم إلى ساحة القتال وهو جالس يحتسي كوبًا من الشاي. أو فنجانًا من القهوة في بهو أحد القصور الفارهة. فقد كانت حياته رمزًا للتقشف والزهد. وهو أدرى بمجريات الأمور. لذا فعلينا الانصياع له. وطاعته في كل الأمور.... ذلك النبي الذي قال عنه برنارد شو: "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في مثل تفكير محمد. هذا النبي الذي لو تولى أمر العالم اليوم لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام

والسعادة التي يرنو إليها البشر".

فنجد هذا الرجل حينما ينهانا عن شرب الخمر مثلا يتجلى لنا كيف أن شرب الخمر يوقع الإنسان في بلايا كثيرة. سببها الرئيسي هو أنه شرب الخمر وغاب عن الوعي، فمن الممكن أن يزني، ويسرق، ويقتل حينما تلعب الخمر برأسه.

وإذا قلتم أن تحريم شرب الخمر له سبب منطقي موجِب للتحريم، فلكم أقول: إنه حرم أكل الخنزير مثلا ولم يكن هناك سبب منطقي للتحريم في حينها، إلا الطاعة المطلقة لله ولرسوله، ولكن يتجلى لنا فيما بعد، وبعد ١٤٠٠ سنة العلة من التحريم، فلحم الخنزير يحتوي على ٤٥٠ فيروس لهم أضرار كثيرة، هذا فضلًا عن أنه اكتشف وجود ديدان في لحمه عند النظر إليه تحت المجهر، فمن قال وقتها: سمعًا وطاعة، وانصاع إلى أمر الله ورسوله، حمى نفسه من الأضرار والأمراض... ومن انصاع وراء هواه فعليه وزره وله أن يتحمل تبعات مخالفته.

أعلمتم الآن لماذا يجب علينا الانصياع التام لأمر الله وأمر نبي الرحمة؟ فنحن سعداء بهذا الانصياع.

وهذا ما عندي من القرآن الكريم.... أما إذا جئنا إلى كتابكم أنتم، فعليكم تَذَكّر حادثة الفداء لِبكر إبراهيم – ولن نخوض هنا فيمن هو بكر إبراهيم، لأن ما يعنينا هنا هو القصة نفسها وليس لمن كان الفداء – فلن ندخل في جدل هل كان الفداء لإسماعيل بكر إبراهيم، أم لإسحاق كما تزعمون.

فقد رأى نبي الله إبراهيم في منامه أنه يذبح ابنه البكر، ولأن رؤيا الأنبياء لا بد وأن تحقق، فقد ذهب إلى ابنه في صبر الأنبياء وخضوعهم لله سبحانه وتعالى دون أدنى اعتراض منه على أمر الله أو محاولة مناقشة أمر الله، رغمًا كونه ابنه الذي انتظره سنوات طويلة، فأخبره بالأمر.... ماذا فعل الفتى أمام هذا الأب الذي يريد أن يذبحه؟ هل اعترض؟ هل عاتب أباه؟ هل سأل ربه عن السبب؟ لا والله، لم يفعل

الفتى أيًّا من هذا، ولكنه قال له: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء اللّه من الصابرين، وهذا ما يليق بسلوك الأنبياء وأبناء الأنبياء، ونجد هنا درجتين من الانصياع (انصياع النبي للأمر الإلهي، وانصياع الابن للأب دون معرفة الأسباب)، فقد كان الأمر بطاعة اللّه ورسوله قديمًا قدم أبينا إبراهيم، فلم يبتدعه النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم.

وأسألك الآن: هب أنك استيقظت يوما من نومك فوجدت والدك يقول لك: لقد رأيت في المنام أني أذبحك، وأرى أن هذا أمر إلهي من اللّه، وأريد أن تساعدني لتنفيذ إرادة اللّه، فماذا سيكون رد فعلك تجاه هذا الأب؟ أكاد أجزم أنك ستتهمه بالجنون وربما هممت أنت بقتله قبل أن يقتلك.

وإذا أردنا أن نحلل أمرًا آخر من كتابكم المقدس فلننظر لماذا انصاع أتباع موسى إلى تعاليم موسى في الختان؟ ولماذا تنصاعون إلى تعاليم عيسى في عدم إعطاء كتاب طلاق إلا لعلة الزنا؟ على الرغم من تضرر واعتراض الكثيرين في قرارة أنفسهم لهذا الأمر، وهو ما طرح للدراسة أكثر من مرة في الكنائس بناء على طلب الإخوة النصارى، وقوبل بالرفض من قبل بعض المذاهب، والقبول من المذاهب الأخرى، ألم تكن علة الرفض هي تنفيذ ما أمر به المسيح على الرغم من استيائكم منه؟!

فلماذا تنكرون ذلك على محمد وعلى أتباع محمد؟ فلتجيبوا أنتم إذا كنتم ما زلتم تملكون القدرة على الإجابة.

المسيح مثل آدم!

*** ادعاء**

جاء في سورة آل عمران ٣: ٥٩ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وتقولون: إن تشبيه المسيح بآدم بما يفيد أن المسيح مخلوق كآدم بأمر اللّه فهذا خطأ؛ لأن المسيح ليس بكائن من كلمة اللّه، بل هو ذاته كلمة اللّه الأزلي الذي تجسد من مريم العذراء وظهر بين الناس ليخلّصهم. ويقول القرآن في المسيح كلامًا متناقضًا؛ تقول سورة المائدة ٥: ١٧: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.... وورد في سورة الزخرف ٤٣: ٥٩: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.... وفي الوقت نفسه توجد آيات أخرى تشير إلى لاهوت المسيح كشخص غريب وعجيب بين البشر، وتعطيه أعظم الألقاب التي لم تُعط في القرآن لغيره.

وتقولون:

(١) كلمة اللّه: هذا الاسم الكريم لا يصح أن يُسمّى به مخلوق، فهو خاص بالمسيح، انفرد به عن سائر الملائكة والبشر، وقد ورد في القرآن مرتين: في سورة آل عمران ٣: ٤٥ ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾. وفي سورة النساء ٤: ١٧١: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾. وهذا لقبٌ إنجيلي؛ لأن الإنجيل يقول: فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللّه، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللّه. هذا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللّه (يوحنا ١: ١ و٢). ولقد سُمّي المسيح كلمة اللّه لأن كلمة الإنسان هي منه ومن مقومات شخصيته، فهي صورة عقله وفكره والمترجمة له والمنفّذة لسلطانه وقوته. فالمسيح هو ذات كلمة اللّه، وهذا يثبت لاهوته؛ لأن كلمة اللّه من اللّه وفي اللّه منذ الأزل.

*** الرد:**

ولكم أقول: إن مفهوم الإسلام عن الكلمة يختلف عن مفهومكم أنتم عنها،

فعندنا عيسى بشر نبي خُلِقَ بكلمة من اللّه. فأمرُ اللّه جلّ وعلا بين الكاف والنون، ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾. فهذه هي الكلمة لو كنتم تعلمون، فقد ألقى اللّه إلى العذراء أمره الإلهي. أي الكلمة التي قالها. "كن". فكان المسيح، وها نحن نقرأ معنى الكلمة في كتاب الكشاف المجلد الأول في تفسير سورة النساء. حيث نجد: "وقيل لعيسى "كلمة منه"؛ لأنه وُجِدَ بكلمته وأمْرِه لا غير. من غير واسطة أب ولا نطفة.

أما ما تعنونه بالكلمة فهذا ما لا يقبله عقل ولا منطق وفقًا لمعنى الكلمة عندكم في عقيدة الثالوث. فالإله عندكم هو (الآب. والابن. والروح القدس). فالآب الذات... والابن الكلمة... والروح القدس هي الحياة. ومعنى تجسد الكلمة في عيسى عليه السلام وفق مفهومكم عنها أن اللّه قد فارقته كلمته منذ وجود عيسى على الأرض. فكيف نتصور الإله بدون علم وحكمة. وبدون حياةٍ هذه الفترةَ الزمنيةَ. فإن هذا يُسْقِط عنه الربوبية. وإذا قلتم أن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة له هذه الصفات. أصبحنا نتحدث عن التاسوع وليس الثالوث.... وإذا كان كل منهم له نفس القوة والأبدية اشترط ذلك تساوي معرفة كل منهم. وقدرة كل منهم. ولكن هذا ليس هو الكائن. فإننا نجد أن عيسى عليه السلام يقول: "لا يعلم القيامة إلا الآب وحده". ويقول: "من يجدف على ابن الإنسان يغفر له. أما من يجدف على الروح القدس لا يغفر له". وهذا يعني أن الروح القدس أرفع منزلة من الابن. ويقول أن الابن لا يقدر أن يفعل شيئا بدون الآب. وبالتالي فالآب أعظم شأنا من الابن والروح القدس، وبالتالي فهم غير متساوين في القوة والأبدية.

*** ادعاء**

(٢) روح اللّه: جاء في سورة النساء ٤: ١٧١ ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾. لم تكتف الآية بنعت المسيح بالرسالة،

بل شهدت أنه كلمة اللّه، ولكي لا نتوهم خلاف المقصود باللفظ "كلمة" فإن اللّه أتْبعها بما يزيل الشك وهو "روحٌ منه"، لنفهم أن المسيح ليس مجرد رسولٍ عادي، بل ابنٌ مرسَل من أبيه إلى عالم الدنيا، كأشعة الشمس المنبعثة إلى الأرض من الشمس، وما الفرق بين القول إن المسيح نور من نور إله حق من إله حق، والقول روح اللّه أو روحٌ من اللّه؟ أليس أنه من ذات اللّه ومن جوهره؟

*** الرد:**

ولكم أقول: لم يكن المسيح هو الآدمي الوحيد الذي فيه هذه النفخة، فها هو آدم، قد نفخ اللّه فيه من روحه بعد خلقه من طين وفينا جميعًا جزء من هذه النفخة، فنقرأ في سفر التكوين الإصحاح (٢ – ٧) "**وجبل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفسا حية**". والمقصود هنا بنسمة الحياة الروح، كما قال المولى سبحانه وتعالى للملائكة: ﴿**إني خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾.

إذًا فقضية النفخ من روح اللّه لم تكن قصرًا على المسيح وإلا لما كانت لك حياة الآن، فنحن جميعًا لنا جزء من هذه النفخة لنحيا وهو ما يسمى بالروح، ونقرأ في الكشاف في المجلد الأول في تفسير سورة النساء: وقيل لعيسى روح اللّه، وروح منه؛ لأنه ذو روح وُجِدَ من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحي، وإنما اخترع اختراعًا من عند اللّه وقدرته الخالصة.

أما بشأن قولكم أن المسيح قد تجسد من الروح القدس.... فهذا مردود عليه من كتابكم المقدس، فنقرأ في الإنجيل أن الروح القدس لم تأتِ إلى المسيح إلا حينما تعمد من نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان، حيث جاءته على شكل حمامة من السماء، بعد ثلاثين سنة من ميلاده، ولذلك فزعمكم تجسد المسيح من الروح القدس هو زعم باطل، وخاصة أن زعمكم بتجسد المسيح من الروح القدس يعطي

معنى مفارقة صفة الحياة للآب حتى رفع المسيح. أي أنه كان ميتًا طوال هذه الفترة.

*** ادعاء**

(٣) ولادته بالروح القدس من عذراء: انفرد المسيح عن سائر البشر بولادته من عذراء! فلماذا تميّز عن سائر الأنبياء بدخوله عالمنا بهذه الطريقة المعجزية؟ إنه كلمة اللهّ وروح اللهّ حل في أحشاء العذراء وتجسد وظهر بين الناس آية ورحمة للعالمين. فهو ابنّ مَن أمه مريم، ومَن أبيه اللهّ. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء ٢١: ٩١).

*** الرد:**

ولكم أقول: لم يكن ميلاد المسيح بهذه الطريقة هو المعجزة الوحيدة الفريدة من نوعها. فقد كان ما هو أعظم منها ولكنكم لا تعلمون أو لا تريدون أن تبصروا. فميلاد آدم قمة الإعجاز. فها هو آدم يخلق بلا أب وبلا أم. وها هي حواء خلقت من ضلع رجل وهو آدم. خلقت أنثى كاملة الأنوثة بغير مثال سابق لها. ومن أين؟ من ضلعه فلم تُخلَق حتى بالطريقة العادية التي أعلمنا اللهّ بها فيما بعد كقانون حياتي وبشري لإنجاب الأطفال كما حدث في حالة المسيح.

فإذا أراد اللهّ أن يخلق بشرًا من أم بلا أب جعلنا منه إلهًا. وكأن ما حدث له في ميلاده كان خرقا لكل النواميس الإلهية ولم يسبق له مثيل. فأنا أرى أن خلق آدم وحواء أعظم بكثير وعلى قياسكم فإنه بالأحرى أن نجعل من آدم وحواء آلهة أيضا.

ويحدثنا الدكتور أحمد بهجت عن رأيه تجاه هذه الحادثة. حيث يقول في كتابه "أنبياء اللهّ": إن اللهّ قد خلق آدم من العدم. وجعل اللهّ من القوانين السارية على هذا المخلوق أن يجيء نسله من اتصاله بحواء. أي من اتصال رجل بامرأة. ثم شاء أن يولد طفل من امرأة فقط بغير أن يلمسها رجل. فالأصل هو أن يخلق اللهّ الإنسان من غير

أب أو أم أو مثال سابق. والاستثناء أو المعجزة أن يجيء الإنسان من اتصال رجل بامرأة. وهذه هي الخارقة. أئذا عاد القانون من استثنائه إلى طبيعته الأصلية سمينا هذه خارقة أو استثناء أو معجزة... أليس هذا غريبًا؟

*** ادعاء**

(٤) قدوس بلا شر: شهد القرآن بقداسة المسيح المطلقة دون سائر البشر. أنه لم يخطئ قط. جاء في سورة آل عمران ٣: ٣٦ ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. وجاء في حديث الإمام مسلم عن محمد أن محمدًا قال لعائشة: "ما مِن مولود يولد لابن آدم إلا نخسه الشيطان عند ولادته. فيستهل صارخًا مِن نخسة الشيطان. إلا ابن مريم وأمه".

وتقولون: فما سر هذه القداسة المطلقة والكمال الفائق؟ ولماذا لا يذكر القرآن للمسيح خطأً كما ذكر لغيره من الأنبياء؟ ولماذا لا توجد في القرآن إشارةٌ إلى أن المسيح تاب إلى الله ولا أن الله تاب عليه. ولا قدَّم استغفارًا. ولا أن الله غفر له كما جاء عن سائر الأنبياء والرسل؟ أليس لأن المسيح ذاتٌ قدسيةٌ وهو كلمة الله وروحه؟

*** الرد:**

ولكم أقول: هل تعلم أن الفترة التي قضاها المسيح في هداية قومه لم تتجاوز الثلاث سنوات. ثم رفعه الله إليه. هل تعلم كم من الوقت مكث نوح في قومه؟ أكثر من ٩٠٠ سنة. هل تعلم كم من الوقت مكث محمد في قومه؟ ٢٣ سنة تقريبًا. هل تعلم كم من الوقت مكث موسى في قومه. يكفي أن نقول لكم أن فترة التيه كانت أربعين سنة. وكان قبلها فترة طويلة من الزمن كان فيها موسى نبيًّا.... وغيرهم من الأنبياء.

فطول الفترة الزمنية التي يقضيها النبي داعيا قد يترتب عليها تعدد المواقف وكذلك العقبات التي يقابلها هذا النبي والتي قد ينتج عنها أخطاء حتمًا. ثم ألم

تكن لكم عقول؟ فإذا كان هذا القرآن من عند محمد ما هو دافعه الفعلي إلى أن يذكر هذا عن ابن مريم في أكثر من موضع، بينما يدين نفسه كما في سورة عبس، فهل تعتقدون أن نفسية مدعي نبوة تجعله كريم الأخلاق إلى هذا الحد، تجعله منكرًا لذاته مُؤْثِرًا لغيره إلى هذا الحد؟!... فما تذكرونه هو لمحمد لا عليه.

*** ادعاء**

(٥) قدرته على إتيان المعجزات: يشهد القرآن للمسيح بقدرته المطلقة على إتيان المعجزات بصورة ليس لها مثيل بين سائر الأنبياء، فنسب له العِلم بالغيب في قوله في سورة آل عمران ٣: ٤٩ ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. مع أن العلم بالغيب خاصّ بالله وحده. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ (سورة يونس ١٠: ٢٠). ونسب القرآن للمسيح القدرة على الخَلق، فقال في سورة آل عمران ٣: ٤٩ ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. ونسب له القدرة على شفاء المرض وإحياء الموتى، فجاء في الآية السابقة ﴿وأبرئُ الأكمهَ والأبرصَ وأُحيي الموتى بإذن الله﴾. ومعلوم أن الخلق خاص بالله وحده. ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾؟ (سورة النحل ١٦: ١٧). وكذلك إحياء الموتى ﴿وَهُوَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ (سورة المؤمنون ٢٣: ٨٠).

*** الرد:**

ولكم أقول: نعم، العلم بالغيب لله وحده، ولكنه قد يكشف غيبه لمن يشاء من عباده كما قال تعالى في سورة الجن: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**﴾. فهذا الأمر ليس دليلا على ألوهية عيسى كما تزعمون، فها هو محمد يُبَشِّر سراقة بن مالك بأنه سيلبس سِوَارَيْ كسرى ملك الفرس على الرغم من أنه كان ما زال على الكفر، والإسلام كان ما زال ضعيفًا، وكان كسرى في أوج قوته وليس من المتوقع أن ينتصر

العرب على الفرس في معركة حربية، ولكنه النبي الذي لا ينطق عن الهوى، وقد لبسها بالفعل بعد أكثر من عشر سنوات في زمن عمر بن الخطاب... كما أنه أخبر بعض الصحابه في إحدى الغزوات أن شخصًا كانوا يتوسمون فيه أنه أفضلهم أنه من أصحاب النار، ولم يمضِ وقت طويل حتى تثبتوا من هذا الأمر، فقد طُعِنَ هذا الرجل في المعركة، فجرح جرحًا شديدًا وفقد قدرته على تحمل ألمه فاتكأ على سيفه وقتل نفسه فاستحق بذلك أن يكون من أصحاب الجحيم، وقد شرحت القصتين باستفاضة آنفًا.

كما أن إتيان عيسى بالمعجزات ليس دليلًا على ألوهيته أيضا بدليل ما يكتظ به كتابكم المقدس من معجزات الأنبياء مثل موسى وإيليا وغيرهم والتي قد تفوق في عظمتها وإبهارها معجزات عيسى نفسه.

فقد كانت لعيسى معجزات كثيرة حقًّا مثل (إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والمشي على الماء، والصعود إلى السماء، وتحويل الماء إلى خمر، وتكثير القليل)، ولكن السؤال الآن: هل كل من يأتي بمعجزات كهذه يكون إلهًا؟!

إذن فإلينا أمثلة لآلهة آخرين إذا كان هذا هو المقياس للإله عند الإخوة النصارى، فقد أخبرنا كتاب سفر الملوك في "إحياء الموتى" أن إلياس أحيى ابن الأرملة، وأن اليسع أحيى ابن الإسرائيلية، وأن حزقيال أحيى بشرًا كثيرا (جيشًا بأكمله)....... وإلينا قصة حزقيال كما وردت بالكتاب المقدس بالعهد القديم إصحاح ٣٧-١:

"١ كانت على يد الرب فأخرجني بروح الرب وأنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظما ٢ وأمرني عليها من حولها وإذا هي كثيرة جدًا على وجه البقعة وإذا هي يابسة جدًا ٣ فقال لي يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ فقلت يا سيدي الرب أنت تعلم ٤ فقال لي: تنبأ على هذه العظام وقل لها: أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب ٥ هكذا قال السيد الرب لهذه العظام ها أنا ذا... أدخل فيكم روحا فتحيون

وتعلمون إني أنا الرب ٧ فتنبأت كما أمرت وبينما أنا أتنبأ إذ صوت رعش فتقارب العظام كل عظم عظمة ٨ ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح ٩ فقال لي تنبأ للروح يابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيشا عظيمًا جدا جدا).

وعندما نتكلم عن إحياء الموتى فلا يفوتنا ما فعل نبي الله موسى حينما أحال العصا إلى ثعبان، أي حول ما لا روح فيه إلى كائن تدب فيه الروح، حول العصا من مملكة النبات إلى حية من مملكة الزواحف، ولم يكن هذا بسحر بل هو قدرة الله، فالسحر هو ما يسحر أعين الناس، ولكننا نجد أن ملوك السحر قد أسلموا له، فلو كان ساحرا لما صدقوه، فهم من يعرفون عن السحر كل مداخله ومخارجه.

وعن "**إبراء الأكمه**" فهذه التوراة تخبر أن يوسف أبرأ عين أبيه يعقوب بعد أن ذهبت، ويخبرنا بذلك (سفر التكوين ٤٦:٤): "**أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضا، ويضع يوسف يده على عينيك**". وهذا موسى طرح العصا فصارت حية لها عينان تبصر بهما وقد حدثنا (سفر الخروج بهذا ٣: ٤):

"**فقال اطرحها إلى الأرض. فطرحها إلى الأرض. فصارت حية. فهرب موسى منها**". وضرب بها الرمل فصار قملا، لكل واحدة منها عينان تبصر بهما وقد أخبرنا بذلك (سفر الخروج ١٦: ٨): "**ثم قال الرب لموسى: قل لهارون: مد عصاك واضرب تراب الأرض، ليصير بعوضا في جميع أرض مصر ففعلا كذلك. مد هارون يده بعصاه، وضرب تراب الأرض، فصار البعوض على الناس وعلى البهائم. كل تراب الأرض صار بعوضا في جميع أرض مصر**). وعلى الرغم من ذلك لم نعتبر أيًّا منهم إلهًا.

وأما "إبراء الأبرص". فإن كتاب سفر الملوك يخبر بأن رجلا من عظماء الروم برص، فرحل من بلده قاصدًا اليسع عليه السلام ليبرئه من برصه. فأخبر الكتاب بأن الرجل وقف بباب اليسع أياما لا يؤذن له، فقيل لليسع: إن ببابك رجلا يقال له نعمان، وهو أجلّ عظماء الروم، به برص، وقد قصدك لتبرئه من مرضه، فإن أذنت له دخل إليك، فلم يأذن له، وقال لرجل من أصحابه: اخرج إلى هذا الرجل، فقل له ينغمس في الأردن سبع مرات، فأبلغ الرسول النعمان ما أمره به اليسع ففعل ذلك فذهب عنه البرص، ورجع قافلا إلى بلده، فأتبعه خادم اليسع، فأوهمه أن اليسع وجّه به إليه، يطلب منه مالًا، فسُرّ الرجل بذلك، ودفع إلى الخادم مالا وجواهر، ورجع فأخفى ذلك وستره، ثم دخل إلى اليسع، فلما مثل بين يديه قال له: تَبِعْتَ نعمان وأوهمته عني كذا وكذا، وأخذت منه كذا، وأخفيته في موضع كذا، إذ فعلتَ الذي فعلتَ به فليصر برصه عليك وعلى نسلك، فبرص ذلك الخادم على المكان.

فها هو اليسع يعلم الغيب، ويشفي مريضًا بالبرص، ويصيب سليمًا بنفس المرض لغضبه من فعلته، وهو أكبر مما فعله المسيح عليه السلام، فهل معنى هذا أن اليسع كان إلهًا.

أما عن معجزة "المشى على الماء". فها هو كتاب سفر الملوك يخبرنا بأن إلياس عليه السلام مشى على الماء ومعه اليسع تلميذه، فأخذ عمامته فضرب بها الأردن، فاستيبس له الماء حتى مشى عليه هو واليسع، ثم صعد إلى السماء على فرس من نور واليسع يراه، ودفع عمامته إلى اليسع، فلما رجع اليسع إلى الأردن ضرب بها الماء، فاستيبس له حتى مشى عليه راجعا.

وهنا نرى معجزتين وهما المشي على الماء والصعود إلى السماء، والسؤال الآن: هل كان أي منهما إلهًا؟ والإجابة بالقطع لا، فلم نعرف أن التوراة قد سجلتهما كإلهين لما قاما به من معجزات.

أما معجزة "تحويل الماء إلى خمر". فها هو كتاب سفر الملوك يخبر بأن اليسع نزل بامرأة إسرائيلية. فأضافته وأحسنت إليه. فلما أراد الانصراف قال لها: هل لك من حاجة؟ فقالت المرأة: يا نبي اللهّ إن على زوجي دَيْنًا قد فدحه. فإن رأيت أن تدعو اللهّ لنا بقضاء ديننا فافعل. فقال لها اليسع: اجمعي كل ما عندك من الآنية واستعيري من جيرانك جميع ما قدرت عليه من آنيتهم. ففعلت. ثم أمرها فملأت الآنية كلها ماء. فقال: اتركيه ليلتك هذه. ومضى من عندها. فأصبحت المرأة وقد صار ذلك الماء كله زيتًا. فباعوه فقضوا دَيْنَهم.

وتحويل الماء إلى زيت أقوى من تحويله خمرًا. فهل كان اليسع إلهًا بما فعل؟

أما عن معجزة "**تكثير القليل**" فقد أخبرنا سفر الملوك بأن إلياس نزل بامرأة أرملة. وكان القحط قد عم الناس. وأجدبت البلاد. ومات الخلق ضرًّا وهزالًا. وكان الناس في ضيق. فقال للأرملة: هل عندك طعام؟ فقالت: واللهّ ما عندي إلا كف من دقيق في قلة أردت أن أخبزه لطفل لي. وقد أيقنا الهلاك لما الناس فيه من القحط. فقال لها: أحضريه فلا عليك! فأتته به فبارك عليه. فمكث عندها ثلاث سنين وستة أشهر تأكل هي وأهلها وجيرانها حتى فرّج اللهّ على الناس.... وهنا نجد أن إلياس قد كثر القليل وأدامه. ففعل بذلك أكثر مما فعل عيسى عليه السلام. فهل كان إلياس بذلك الفعل إلهًا؟!

وإذا قلتم أن ما قام به عيسى من المعجزات كان من صنعه هو أما ما قام به الآخرون من الأنبياء فكان بعد طلب العون من اللهّ.

فها هو عيسى عليه السلام نفسه كان لا يقدر على عمل أي معجزة من تلقاء نفسه. فعندما أحيا (لعاذر) رفع عينيه إلى السماء وقال كما هو وارد في إنجيل يوحنا ١١:٤١ "**فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعًا. ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الأب! أشكرك لأنك سمعت لي ١١:٤٢ وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي.**

ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني".

وطالما أن المسيح لا يستطيع أن يفعل معجزة من تلقاء نفسه، فبالتالي نحن لا نستطيع أن نصدق ما تقولونه بشأن أن المسيح أحد الأقانيم الثلاثة وأنه مشترك في الأبدية والقدرة مع باقي الأقانيم.

أما بالنسبة لقولكم أن القرآن قد نسب الخلق لعيسى عليه السلام، فلكم أقول: لو أنكم تمعّنتم في الآية جيدا لقرأتم أن قدرته على الخلق مقرونة ومشروطة بمشيئة اللّه وإرادته، في قوله (بإذن اللّه).

*** ادعاء**

(٦) (وجيهًا في الدنيا والآخِرة): يشهد القرآن بوجاهة المسيح في الدنيا والآخِرة. فجاء في سورة آل عمران ٣: ٤٥ (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ).

قال صاحب تفسير الجلالين: (وجيهًا): ذا جاه، (في الدنيا): بسبب النبوة، (والآخرة): بالشفاعة والدّرجات العُلا. فلماذا يخص القرآن المسيح بالوجاهة في الدنيا والآخِرة؟

جاء في سورة السجدة ٣٢: ٤ (اللّهُ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بينهما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ مَا لكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ). فلماذا لم يعطِ اللّه سلطان الشفاعة لأحد من البشر إلا المسيح؟ أليس لأنه ابن اللّه المتجسد والوسيط الوحيد بين اللّه والناس، وهو الذي يحيي الأموات والقلوب، لأنه حياة أجسادنا وأرواحنا؟

*** الرد:**

ولكم أقول: لم يعطِ اللّه الشفاعة للمسيح فحسب، فمحمد شفيع في قومه، وإبراهيم شفيع في قومه، وموسى شفيع في قومه، وكل الأنبياء شفعاء فيمن نزلوا

فيهم، وهذا ما هو مذكور عندنا في الأثر، وفي الأحاديث التي رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ونأسف إذا كان هذا على عكس ما تبغون ولكن هذا هو الواقع، فمعذرة!

أما بشأن قولكم أن عيسى وجيهًا في الدنيا والآخرة، **فها هو تفسير الجلالين الذي ذكرتموه: ﴿وجيهًا﴾: ذا جاه، ﴿في الدنيا﴾: بسبب النبوة، ﴿والآخرة﴾: بالشفاعة والدّرجات العُلا.**

فقد كان عيسى نبيًّا، وأيضًا له الشفاعة فيمن نزل فيهم من آمنوا بما جاء به حقًّا ولم يفتروا عليه، فلِمَ لا تكون له الوجاهة في الدنيا والآخرة طبقًا لتفسير الجلالين.

وهل يسوءنا وصف عيسى بالوجاهة؟ فهو نبي الله وله كل الحب والتقدير والاحترام، ونحن نشهد له بالوجاهة معكم ونحبه معكم ونجله معكم، بل ونحن أولى به منكم، فقد قال المولى سبحانه وتعالى في سورة البقرة **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾**، ونحن لا نفرق بينه وبين غيره من الرسل، أما أنتم فتفرقون، فنحن أولى به منكم لانطباق شرط الإيمان علينا.

*** ادعاء**

(٧) المخلّص: دعا القرآن المسيح باسم عيسى أي يسوع ومعناه المخلص ٢٥ مرة، ودعاه باسمه المسيح، أي الممسوح أو المعيّن ملكًا ونبيًّا وكاهنًا ثماني مرات، وذلك لتعيينه مخلِّصا للجنس البشري وهو الذي أتى بالإنجيل وهي كلمة يونانية "إيفانجيليون"، أي: الخبر المُفرِح. ووردت كلمة إنجيل في القرآن ١٢ مرة، فلماذا اختص القرآن المسيح بالأخبار المفرحة؟ إن الذي ذكره القرآن عن المسيح يفوق ما ذكره عن

سائر البشر بمن فيهم محمد، ألا يشير هذا إلى تفرّد المسيح عن سائر البشر؟ وهذا ما يقوله الإنجيل عن لاهوت المسيح.

*** الرد:**

ولكم أقول: **فلتجيبوا أنتم**، إذا كان هذا القرآن من عند محمد فلتبرروا لنا احتفاءه بعيسى في كتابه بالقدر الذي لم يحتفِ فيه بنفسه، ولا بأهله مثلما تحدث عن السيد المسيح، وعن السيدة مريم العذراء.

وأريد منكم أحدًا يضع نفسه في موضع مدعي نبوة يصدر كتابًا، فماذا سيقول فيه وعن أي شيء سيتحدث؟ هل سيفرد هذا القدر للغير من مضاديه من المدح والثناء له ولأهله دون نفسه؟ فهل هذه نفسية تليق بمدعي نبوة من المفترض أن هدفه الأول هو حب الظهور؟! فما تقولونه هذا إنما هو عليكم، وعليكم أن تجلسوا جلسة صدق مع أنفسكم لتحللوا هذا الرجل الذي طالما آذيتموه بألسنتكم وأقلامكم لتصلوا بالعقل والدليل والبرهان إلى صدق رسالته.

أما بشأن قولكم أن القرآن دعا المسيح بعيسى ٢٥ مرة وتعني المُخَلِّص، فلكم أقول: نعم لقد كان عيسى مُخَلِّصًا، جاء مُخَلِّصًا من سطوة الجسد على العقول والقلوب، ذلك الرجل الذي جاء في قوم ينكرون معنى الروح، لا يعرفون سوى الجسد، فقد جاء بمعجزة إحيائه للموتى للتأكيد على قيمة الروح، وبالتالي، فقد جاء مُخَلِّصًا ولكن من معتقدات خاطئة، وقد جاء كل نبي لخلاص قومه من الشرك بالله، فلم يكن عيسى وحده هو المُخَلِّص... بل كان كل نبي مُخَلِّصًا.

أما بشأن قولكم أن القرآن دعا عيسى بالمسيح، فلكم أقول: فلتعودوا إلى كتابكم المقدس لتعلموا أن كلمة المسيح لم تطلق على عيسى فحسب، فقد أطلقت قبله على داود وسليمان، وغيرهم من المرسلين.

وعيسى عندنا مكرم وله كل الاحترام والقدسية مثله مثل باقي الأنبياء،

فعندنا الإيمان بالأنبياء والمرسلين شرط عقائدي أساسي، وهو بالأمر الإجباري حتى تصح العقيدة، ولله أن يطلق على أنبيائه ما يشاء من الأسماء. فقد سمى يونس بيونس وذا النون، وسمى محمدًا بمحمد وأحمد. وله من الأسماء الأخرى التي لم ترد في القرآن مثل محمود، وأبي القاسم وغير ذلك. فهل لنا أن نسأل الله عما يقوله ويفعله؟ فليهديكم الله.

أما بشأن قولكم أن الإنجيل ذُكِرَ ١٢ مرة في القرآن، فلكم أقول: إن الإنجيل كتاب من عند الله، فليس معنى تحريفه أن الله لم ينزل شيئا يدعى الإنجيل. فإذا كان الإنجيل قد ذكر في القرآن فقد ذكرت التوراة في أكثر من موضع، كما ذكر القرآن والزبور أيضا ككتب أنزلها الله على أنبيائه لهداية أقوامهم. فأنا لا أرى عجبًا في ذكر الإنجيل ككتاب سماوي من عند الله في كتاب آخر من عند الله وهو القرآن، بغض النظر عن التلاعب الذي حدث به أكثر من مرة، والذي تثبته الدراسة المتأنية لهذه الكتب وتؤكده التضاربات التي تملأ صفحاتها.

* ادعاء

وتسألون: هل توفي المسيح أم لا ؟

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء ٤- ١٥٧).

وتقولون: تناقضها ثلاث سور؟! انظر كيف يعترف القرآن بأن المسيح توفي! ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم ١٩ - ٣٣). ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمران ٣- ٥٥). لاحظ النص الكتابي: ﴿إني متوفيك

وارافعك إلي).

(مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). (المائدة ٥ - ١١٧).

(فلما توفيتني) فعل ماضٍ تأييدًا للحدث.

* الرد:

ولكم أقول: إن الموت شيء والقتل شيء آخر، فما يشير إليه القرآن ويؤكد عليه هو أن المسيح لم يُقْتَل، أما بشأن موته فتشير الآية (٥٥) من سورة آل عمران إلى موت عيسى، وقد اختلفت الآراء حول كنه هذا الموت، فنقرأ في الكشاف الجزء الأول: (**إني متوفيك**) أي: مستوفٍ أجلك ومعناه: إني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته لك، ومميتك حتف أنفك لا قتلًا بأيديهم، وقيل: (متوفيك) أي: قابضك من الأرض، وقيل: متوفي نفسك بالنوم، من قوله (**والتي لم تمت في منامها**).

فالوفاة في كتاب اللّه على أنواع هي:

- وفاة الموت لقوله تعالى: (**اللّه يتوفى الأنفس حين موتها**). يعني: حين انقضاء أجلها.
- وفاة النوم لقوله تعالى: (**وهو الذي يتوفاكم بالليل**). ويعني: الذي يُنيمُكم.

أما وفاة الرفع في قوله تعالى: (**يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي**)، فقد أجمع أكثرية العلماء على أنها وفاة النوم، أي أن المسيح قد رُفِعَ وهو نائم ولم يمت.

وبيت القصيد هنا وما نبغي تأكيده هو أن عيسى لم يُقْتَل، فالصلب يعني القتل، وقد يكون قد أماته ثم رفعه، وقد يكون قد أنامه اللّه ثم رفعه، وما يعنينا أنه لم يُقتل أو يُصلب، فهذا ما يؤكد عليه القرآن، أما بشأن موته ومعناه هل هو نوم،

أو موت حقيقي ورفع ثم إحياء في السماء. فأيا كان المعنى فهو لم ولن يؤثر في الأمر الأساسي الذي تناوله القرآن بشأن عدم صلب المسيح، وأنه رُفِعَ إلى اللّه، وأنه حي الآن في السماء، وأن من صُلِبَ هو يهوذا الإسخريوطي الذي وشى به، والذي اختفى بعد حادثة الصلب، لا لأنه شنق نفسه كما تدّعون، ولكن لأنه هو الذي صلب بدلًا عن المسيح بعد أن جعله اللّه على هيئة وشكل المسيح عقابا له على وشايته به.

إنكار الصَّلب!

* ادعاء

جاء في سورة النساء ٤: ١٥٧-١٥٨ (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا).

وتقولون: فلماذا ينكر القرآن صلب المسيح وقتله بأيدي اليهود، مع أن اليهود يعترفون بذلك والنصارى يؤكدونه ويفتخرون به؟ والإنجيل كله هو خبر صلب المسيح والبشارة به كفادٍ للبشر؟ وفي القرآن عشرات الآيات التي تفيد أن القرآن جاء مصادقا لما مع اليهود والمسيحيين من التوراة والإنجيل؟ ويذكر القرآن في مواضع أخرى موت المسيح وقيامته وارتفاعه إلى السماء.

وتقولون: أليس غريبًا أن يجيء من ينكر صلب المسيح بعد حدوثه بستمائة سنة؟ إن حادثة الصلب حقيقة تاريخيّة سجّلها الرّومان واليونان واليهود والمسيحيون، وفي مجمع نيقية الذي انعقد سنة ٣٢٥م كتب أساقفة العالم المسيحي قانون الإيمان مقررًا صلب المسيح لأجل خلاصنا. فكيف ينكر أحدٌ تاريخيّة الصليب؟"

* **الرد:**

ولكم أقول: نعم إن حادثة الصلب هي حادثة تاريخية كما تقول. فقد كانت حادثة فيها خرق للعادة. حينما ألقى اللّه شبه المسيح على يهوذا الإسخريوطي ليُصلب بدلًا عنه عقابًا له على وشايته. ولم تكن حادثة إلقاء الشبه هذه هي الأولى من نوعها. فها هو المولى سبحانه وتعالى يلقي شبه القردة على اليهود نتاج شرورهم وآثامهم. وهي الحادثة الشهيرة التي نعلمها جميعًا. وهذا هو ما عندنا... أما بشأن معتقداتكم فهي لكم. فالإسلام قد أقر شيئًا آخر وهو أن المسيح لم يُصلب. وقد أثبت القرآن مصداقيته في أكثر من موضع. والذي معه يمكننا الجزم بمصداقية ما ذكر به بشأن رفع المسيح وعدم صلبه.

وقد اجتمع الأكثرية من جمهور العلماء والمفسرين على أن وفاة المسيح هي وفاة النوم. أي أن اللّه قد رفعه وهو في حالة نوم. أما بشأن الآية ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾. فلو أننا ربطناها بما قبلها لوجدناها كالآتي: **﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا. وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.**

فهي تقص لنا حديث المسيح في المهد. فهذه الآية ما هي إلا إقرار من عيسى وهو في المهد لطبيعته البشرية. كما أنه قد تحدث بالصيغة التي قد يفهمها القوم الذين يتحدث معهم المسيح. فهم يعلمون أن كل إنسان يولد ويموت ويبعث كما حدثهم الأنبياء قبل عيسى. فإذا تحدث المسيح عما سيحدث له بعد ذلك من رفع. وصلب رجل على شبهه وهيئته بدلا منه وهو يهوذا. ما فهمه أحد.

فسيقولون: من هو يهوذا وعن أي شيء يتحدث هذا الطفل. فحديثه على هذه الشاكلة سيكون حديثًا عن أشياء مستقبلية يَندّ عليهم فهمها إلا في حينها وما استطاعوا استيعاب كلامه في هذه الفترة التي تمتلئ بمنكري حتى البعث والقيامة.... فما كان يبغيه الله من حديث عيسى في مهده هو التأكيد على نبوته، وتبرئة العذراء أمام قومها، وليس الحديث عن أشياء مستقبلية. ولكن ما حدث أنهم أنكروا المسيح واضطهدوه، حتى سولت لهم أنفسهم قتله فيما بعد. لولا أن رفعه الله، وألقى شبهه على غيره ليُصلب عنه جزاء له، وعقابا من الله على فعلته ووشايته.

هامان وزير فرعون!!

* ادعاء

جاء في سورة القصص ٢٨: ٨ و٣٨ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾. وجاء في سورة غافر ٤٠: ٣٦ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾.

يقول القرآن: إن هامان كان وزير فرعون، بينما يثبت التاريخ أن هامان كان وزيرًا لأحشويرش، وأن بين فرعون وهامان زهاء ألف سنة! ثم إن فرعون كان ملك مصر وكان هامان وزيرًا في بابل! وما أبعد الزمان والمكان بين فرعون وهامان! فكيف يكون هذا وزيرًا لذاك؟ ويقول سفر أستير في التوراة: إن هامان كان وزيرًا وخليلا لأحشويرش ملك الفرس الذي يدعوه اليونان زركيس.

* الرد:

ولكم أقول: ما هو مبرركم للجزم بأن هامان القرآن هو هامان التوراة؟ فهل كان

اسم هامان قصرًا على وزير ملك الفرس؟ ألا يصح أن يكون هناك شخص آخر يحمل نفس الاسم؟ هل استأثر بالاسم لنفسه دون غيره من الخلائق؟

وإننا نرى أن كتابكم المقدس يعج بمثل هذه التشابهات في الأسماء، وليس في فترات زمنية متباعدة كما في هذه القصة، ولكن في فترات زمنية متقاربة إلى الحد الذي يحدث معه التشويش والتداخل.

فنجد مثلا (في سفر الملوك الأول الإصحاح ٢٢: ٥١) "**أن أخزيا بن آخاب ملك على إسرائيل في السامرة في السنة السابعة عشرة ليهوشافاط ملك يهوذا**". وهذا الأخير ملك على يهوذا في السنة الرابعة لآخاب ملك إسرائيل.... وقد ملك يورام بن آخاب بعد أخزيا.

(وفي سفر الملوك الثاني الإصحاح ٨: ١٦) نقرأ الآتي: "**وفي السنة الخامسة ليورام بن آخاب ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا ملك يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا**".

ثم نقرأ في نفس السفر ونفس الإصحاح الفقرة ٢٥ الآتي: "**في السنة الثانية عشرة ليورام بن آخاب ملك إسرائيل ملك أخزيا بن يهورام ملك يهوذا**".

ومعنى هذا أنه كانت هناك فترة وجيزة من الزمن بين ملكين يحملان نفس الاسم (أخزيا)، أحدهما ملك ليهوذا والآخر ملك لإسرائيل.

كما نجد (في سفر الملوك الثاني أيضا الإصحاح ١٣: ١) الآتي: "**في السنة الثالثة والعشرين ليوآش بن أخزيا ملك يهوذا ملك يهوأحاز بن ياهو على إسرائيل في السامرة سبع عشرة سنة**".

ونجد في نفس السفر (الإصحاح ٢٣: ٣٠) أنه بعد مقتل يوشيا ملك أورشليم – التي كانت لملوك يهوذا – "**أخذ شعب الأرض يهوآحاز بن يوشيا ومسحوه وملكوه عوضا عن أبيه**".

وما سبق أيضًا نجد أنه كان هناك ملكين يحملون نفس الاسم (يهوأحاز)، أحدهما ملك ليهوذا والآخر ملك لإسرائيل في فترات زمنية متقاربة.. فلماذا تجزمون بأن هامان أستير هو هامان الذي كان في زمن موسى عليه السلام .

قارون وهامان مصريان؟!

*** ادعاء**

جاء في سورة العنكبوت ٢٩: ٣٩ (وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ).... وجاء في سورة غافر ٤٠: ٢٣-٢٥ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ).

وتقولون: ويتبادر إلى الذهن من هذه الآيات أن قارون وهامان مصريان من قوم فرعون، وأنهما مع فرعون قاوموا موسى في مصر، ولكن هذا خطأ؛ لأن قارون إسرائيلي لا مصري، ومن قوم موسى لا من قوم فرعون، كما جاء في سورة القصص ٢٨: ٧٦ (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ)!!

*** الرد:**

ولكم أقول: إنه من الواضح أنك بنيت حكمك بناء على ما تبادر إلى ذهنك، فلا حجة ولا دليل عندك، وإنني في الحقيقة لا أجد تعارضًا بين كون قارون من قوم موسى، وبين نزول الآية في حقه هو وفرعون مصر، والسؤال لك: ألم يكن موسى إسرائيليًّا، وعلى الرغم من ذلك تربى في قصر الفرعون، وولد بمصر؟ ألم يذكر كتابكم المقدس أن يعقوب وأبناءه الإحدى عشر نزلوا إلى مصر ليوسف الصديق، وعاشوا على أرض مصر حوالى ٤٥٠ سنة؟ ألم تكن هذه فترة كافية لإنتاج عشرات

مثل قارون الذي هو من قوم موسى؟ فقد كان قارون من قوم موسى، ولكنه كان أقرب طبقيًّا وعاطفيًّا إلى نظام الفرعون، فيحدثنا اللهّ عن كنوز قارون التي كانت مفاتيح الحجرات التي تضمها ثقيلة حتى أنه يصعب على مجموعة من الرجال الأشداء حملها. وكان موكبه أشهر موكب بعد موكب الفرعون وموكب هامان، فذهبت به الظنون أنه أفضل من موسى عليه السلام، فموسى فقير، أما قارون فشديد الثراء. فلما أرسل اللهّ موسى إلى قومه استعلى عليه قارون كاستعلاء الفرعون عليه. فلما أرسل اللهّ موسى أرسله لتأديب العصاة، على حد سواء، سواء الفرعون أو هامان أو قارون، فما هو المثير للشك في ذلك؟! أم أنك ستحاسبنا على ضيق أفقك؟!

العجل الذهبي من صنع السامري!!

*** ادعاء**

جاء في سورة طه ٢٠: ٨٥-٨٨ ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾.

وتقولون: إن السامرة مدينة في فلسطين لم يكن لها وجود لما خرج بنو إسرائيل من مصر وسافروا في سيناء، فكيف نتخيل سامريًّا يصنع لهم العجل قبل أن يكون للسامريين وجود؟

*** الرد:**

ولكم أقول: قرأنا في كتابكم المقدس عن أناس كثيرين ممن خرجوا مع موسى من مصر بأنهم عبدوا آلهة أخرى غير اللّه، مثل العشتاروث والبلعيم في مدن كثيرة من التي دخلوها تأثرًا بعبادة أهل هذه البلاد وحنينًا إلى حياة الذل والعبودية وعبادة الأوثان في مصر، ولكننا حينما أتينا إلى بلدة تدعى السامرة في كتابكم المقدس وجدنا أن ما عبد فيها لم يكن البلعيم والعشتاروث، ولكنهم عبدوا العجل الذهبي.

والسؤال لك الآن: ألم يستوقفك هذا الأمر؟ لقد استوقفني كثيرا وخاصة بعدما قرأت ما لم يستسيغه أي عقل واع في كتابكم المقدس، من أن نبي اللّه هارون هو الذي صنع العجل الذهبي الذي عبده قوم موسى حينما ذهب موسى لمناجاة ربه على جبل المناجاة، فكيف لي أن أصدق أن هذه اليد التي فُعِلَت بها كل هذه المعجزات التي رآها بنو إسرائيل في أثناء رحلتهم من مصر إلى الأرض المقدسة هي نفس اليد التي صنعت هذا العجل الذهبي؟!

أما بشأن قولك أن السامرة هذه لم تأخذ اسمها إلا بعد دخول الإسرائيليين فلسطين فلكم أقول: إذا كانت هذه البلدة لم تأخذ مسماها إلا بعد دخول الإسرائيليين فلسطين، فلابد أن هذه البلدة قد انتسب اسمها إلى السامري الذي كان أول من صنع هذا العجل الذهبي الذي عبدوه فيما بعد في هذه البقعة من الأرض وأسموها على اسمه، ولنا في ذلك حجة.

فتسمية مكان باسم رجل ذي معنى بالنسبة لأهل بلدته هو حادثة مكررة، ولتأتوا معي كي أصطحبكم إلى شارع طلعت حرب في القاهرة، وإلى شارع فؤاد، وإلى محطة حسني مبارك في مترو الأنفاق، وإلى محطة محمد نجيب، وإلى محطة سعد زغلول، وإلى محطة السادات، فكل هذه الأماكن اتخذت أسماءها من أسماء أعلام سجّلهم التاريخ لما كان لهم من الأثر في حياتنا والأهمية، وإلى منطقة الهرم

التي اتخذت اسمها لوجود الأهرامات الثلاثة بها، وإلى مدينة الشيخ زايد.. وغيرهما الكثير من الأماكن.

ولو أردنا أن نحصي أسماء الشوارع والقرى والمدن التي سميت بأسماء مشاهير فيها لوجدنا ذلك مرهقًا جدًّا ولذا سأكتفي بهذا القدر، فهو كافٍ لأولي الألباب.

ولأن السامري كان أول من صنع العجل الذهبي في سيناء فقد أصبح رمزًا لهذه العبادة، ولذا فمن البديهي أن معتنقي مذهبه يسعون إلى إجلاله بحفر اسمه في قلوبهم وعلى مدخل مدينتهم، فالقرآن صادق بمقياس العقل والمنطق لإثبات صدقه في كل المواطن والأحداث.

آزر أبو إبراهيم!!

*** ادعاء**

جاء في سورة الأنعام ٦: ٧٤ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. والصواب في التاريخ كما يشهد الكتاب المقدس أن والد إبراهيم اسمه تارح كما جاء في (تكوين ١١: ٢٧).

*** الرد:**

يقول الدكتور أحمد بهجت في كتابه "أنبياء الله": يقال أن إبراهيم ولد في أسرة من أسر ذلك الزمان البعيد، لم يكن رب الأسرة كافرًا عاديًّا من عبدة الأصنام، بل كان كافرًا ممتازًا يصنع بيديه تماثيل الآلهة، وقيل أن أباه مات قبل ولادته فربّاه عمه، وكان له بمثابة الأب، وكان إبراهيم يدعوه بلفظ الأبوة.

وقيل في كتاب "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" المجلد الثاني ص (٢٩، ٣٠) أن آزر اسم صنم اشتهر أبوه بصناعته، فنبز به للزومه

عبادته، كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل: ابن قيس الرقيات، وفي شعر بعض المحدثين نقرأ:

أُدْعَى بأسماء نبزًا في قبائلها كأن أسماء أضحت بعض أسمائي

وهناك قول آخر: أنه قد أريد "عابد آزر"، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فتكون: "**وإذ قال إبراهيم لأبيه عابد آزر**"، وقد يكون أي من هذه الأقاويل السابقة هو الصدق فقد يكون آزر اسم عم إبراهيم، فها نحن نقرأ في كتابكم المقدس كيف تحمل الأبوة والبنوة المعنى المجازي وليس المعنى الحرفي، فهذا وارد، وقد يكون اسم الصنم الذي يشتهر أبوه أو عمه بصناعته فنبز به، أو قد يكون تقديرًا "عابد آزر".

أما أنا فلكم أقول: إننا شاهدنا بأعيننا التضارب في نسب المسيح نفسه في كتابكم المقدس، فهل من الممكن أن نأخذ ما جاء بشأن اسم أبي إبراهيم على أنه الحقيقة أو عين الحقيقة...... فإننا إذا استعرضنا الإنجيل المنسوب إلى (لوقا) نجده يفسح مجالًا مناسبًا لطفولة عيسى، كما يسرد شجرة أنسابه إلى ما بعد سيدنا إبراهيم، ولكنه يتناقض مع كاتب إنجيل (متى) ابتداء من داود، فهناك خلاف في الأنساب، ولا نستطيع أن نصدق أحدهما، ففي (متى ١/٦) نجد أن المسيح من نسل سليمان بن داود عليهما السلام، أما في كتاب (لوقا ٣/٣١) فنجد أنه من نسل ناثان بن داود عليه السلام، وإذا كان هذا التضارب في الأناجيل التي يرجع تاريخ تدوينها إلى فترة أقرب من فترة تدوين التوراة أو العهد القديم، فهل بالجزم أن يكون إبراهيم ابن تارح؟!.... أشك.

نوح يدعو للضلال!

*** ادعاء**

جاء في سورة نوح ٧١: ٢٤ ﴿وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلًا﴾. فكيف يدعو نوح ربه أن يزيد الناس ضلالًا؟ كما أن الله ليس مصدر الضلال، ونوح نفسه لا يحب الضلال، فالتاريخ المقدس يشهد له "كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ" (تكوين ٦: ٩) و"أنه كان كارزًا للبر" (٢ بطرس ٢: ٥).

*** الرد:**

ولكم أقول: هل تعلمون كم مكث نوح في الدعوة إلى الله؟ كم من السنين طلب الهداية لقومه؟ لقد مكث نوح يدعو قومه أكثر من ٩٠٠ سنة، ولكن ما من مجيب، والدليل على ذلك هو معاقبة الله لهم بالطوفان والأمر الإلهي بإهلاكهم، ونجد في سورة نوح توضيحًا لهذا الأمر؛ إذ يقول نوح محدثا ربه: **﴿قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا، فلم يزدهم دعائي إلا فرارا، وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا... قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا﴾.**

فلم يدعو عليهم نوح إلا بعد أن علم وتأكد أن لا فائدة من نصحهم وتوجيههم، ولكم أقول: إن الأب قد يدعو على ابنه من فرط غضبه عليه، بل وقد يدعو الله أن يريحه منه بموته من فرط تعذيبه له، فهذا الأمر وارد حتى مع الأب الذي هو رمز الرحمة، فما بالكم بداعٍ أخذ يدعو قومه إلى الله سنوات عديدة ولا من مجيب... فماذا تنتظرون منه؟

ثم ألم تقرءوا في إنجيل مرقس الإصحاح (٤ – ١٠: ١٢) أن المسيح تحدث بمَثَل إلى

الجموع من حوله، وبعد أن انفض الجمع سأله تلاميذه عن سبب تكلمه بالأمثال: "١١ فقال لهم: قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله. وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء، ١٢ لكي يبصروا مبصرين ولا ينظروا، ويسمعوا سامعين ولا يفهموا، لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم".

ونحن لا نجد مبررًا لموقف عيسى هذا من قومه، فموقف نوح له مبرراته، فطول الفترة التي مكث فيها نوح في قومه داعيا إلى الله، والتي قدرت بحوالى ٩٣٠ سنة، مع العناد الشديد للقوم وإصرارهم على المعصية، هي التي دفعته إلى أن يدعو عليهم، فكلما دعاهم ليغفر لهم الله جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا، أما المسيح فما هي المبررات التي تدفعه لذلك وهو رمز الرحمة والتسامح والحب والخير، مع العلم أن فترة دعوة المسيح لم تزد عن الثلاث سنوات، بل قد تقلّ، فقد قيل أنها كانت عامين فقط.

هذا إذا فتشنا في العهد الجديد، أما إذا فتشنا في العهد القديم فسنجد أن سفر يونان يروي لنا رواية غاية في الغرابة، فحينما أمر الله يونان (يونس) أن يذهب إلى مدينة نينوى لهدايتهم؛ لما يفعلونه من شر، نجده يرفض الدعوة إلى الله، ويحاول الهرب عبر البحر، ولكنه لما ركب البحر حدث نَوْء عظيم، لغضب الله مما فعله يونان، وأُلْقِيَ يونان في البحر فالتقمه الحوت ثلاثة أيام، فصلى لله، فأنقذه، وبعد أن أنقذه الله أمره ثانية بالذهاب إلى نينوى فذهب، ودعا الناس هناك فامتثلوا وأطاعوا، فعفا الله عنهم، والغريب أننا قد وجدنا أن نبي الله يونان بدلا من أن يفرح من أجل عودة القوم إلى الله كان سلوكه غير متوقع، ففي الإصحاح (٣ – ١٠) نقرأ الآتي: "فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه".

ونجد في الإصحاح (٤ – ١: ٤) موقف يونان من عودة القوم إلى الله "فغم ذلك

يونان غما شديدا فاغتاظ. ٢ وصلى إلى الرب، وقال: آه يا رب، أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضي؟ لذلك بادرت إلى الهرب إلى ترشيش لأني علمت أنك إله رءوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة، ونادم على الشر. ٣ فالآن يا رب، خذ نفسي مني، لأن موتي خير من حياتي. ٤ فقال الرب: هل اغتظت بالصواب؟".

وها نحن نقرأ في سفر الملوك الثاني الإصحاح (٢ – ٢٣: ٢٤) ما فعله إليشع حينما قال له الصبيان: يا أقرع، حيث جاء ذلك في الكتاب المقدس كالآتي: **"وفيما هو صاعد في الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له: "اصعد يا أقرع! اصعد يا أقرع! ٢٤ فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب، فخرجت دبتان من الوعر وافترستا منهم اثنين وأربعين ولدا".**

ألم تؤمنوا بالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد؟ فإذا كان نوح في القرآن قد دعا على القوم بالضلال من فرط تعذيبهم له، ولرفضهم المطلق لطريق الحق، وذلك نظرا لطول المدة التي مكث فيهم داعيا إلى الله دون استجابة، فها هو يونان في العهد القديم يغتاظ؛ لأن القوم عادوا إلى طريق الله، واغتاظ لغفران الله لخطايهم، فهو عندكم في عهدكم القديم كان يريد لهم الضلالة لا الهداية، وها هو عيسى يحدث الناس بالأمثال لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم.

ومعذرة حينما أقول هذا الكلام على نبي الله عيسى الذي كان رمزًا للمحبة والتسامح، ولكني لست إلا ناقلة للحديث... ومعذرة أيضا لنبي الله يونس، فهو عندنا نبي يعرف مقام ربه، وإن أخطأ فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، وهو بالطبع ليس بالصورة السيئة التي يصورها لنا العهد القديم، بل ومنعنا النبي صلى الله عليه وسلم في قول له أن نفضله على يونس بن متى فقال: **"مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ"**. وكأنه صلى الله عليه وسلم يحذرنا من الانتقاص من قدر يونس عليه السلام.

فرعون ينجو من الغرق؟

* ادعاء

جاء في سورة يونس ١٠: ٩٠-٩٢ ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾. وهذه الآية تقول: إن فرعون الظالم نجا من الغرق، ولكن القرآن يقول في موضع آخر: إن فرعون غرق! فتقول سورة القصص ٢٨: ٣٨-٤٠ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

وتقولون: إن القرآن يناقض نفسه، ويخالف قول داود النبي "وَدَفَعَ فِرْعَوْنَ وَقُوَّتَهُ فِي بَحْرِ سُوفٍ" (مزمور ١٣٦: ١٥)

* الرد:

ولكم أقول: نحن لسنا مسئولين عن سوء فهمك، فالوارد عندنا في الإسلام أن فرعون مات غريقًا، ولكن ما حدث هو أن فرعون حينما أدركه الغرق دخل في سكرات الموت ورأى مقعده من النار، فأدرك أنه كان على خطأ وقال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، ولكن هيهات أن تُقْبَل توبته، فعندنا التوبة لا تقبل عند الموت أو عند معاينة العذاب، لذا فرد عليه المولى سبحانه وتعالى عن طريق ملك الوحي جبريل قائلا: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: بعد كل ما فعلت؟! لا توبة لك، قضي الأمر، ولكننا سننجيك بجسدك فلن

نتركه فريسة لأسماك القرش أو حيوانات البحر، ولِمَ؟ لتكون آية لمن خلفك ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾، أي: عبرة وعظة حينما يرون جثة ذلك الطاغية الذي كان يقول: أنا ربكم الأعلى، فيعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وقد حدثنا الله سبحانه وتعالى في سورة غافر عن عدم قبوله توبة هؤلاء في الآية (٨٤)..... ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأو بأسنا، سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾

مريم العذراء أخت هارون وبنت عمران!!

* ادعاء

جاء في سورة التحريم ٦٦: ١٢ ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ التي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾. وجاء في سورة مريم٢:١ ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

وتقولون: يقول الإنجيل إن مريم العذراء هي بنت هالي (لوقا ٣: ٢٣). فكيف يقول القرآن إنها بنت عمران أبي موسى النبي، وأنها أخت هارون، مع أن بينها وبين عمران وهارون وموسى ألف وستمائة سنة؟!

* الرد:

ولكم أقول: حينما نجدكم لا تفهمون المعاني الصحيحة للقرآن نقول أنه ليس كتابكم، وقد نلتمس المعذرة لكم، ونحاول جاهدين أن نفهمكم المعنى الصحيح الذي نشأنا وتربينا عليه، ولكن ما هو مثير للدهشة أن نجدكم لا تعون كتابكم ولا

تجيدونه. فإذا رجعنا إلى إنجيل لوقا الإصحاح (٣): ٢٣ نجد الآتي حرفيًّا: "**ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي**". فهالي كما ذكره الإنجيل هو أبو يوسف وليس أبا مريم. فقد كان يظن أن السيدة مريم قد حملت بعيسى من يوسف بن هالي قبل زواجهما. وهو اعتقاد خاطئ كما تجدونه أنتم وأيضا كما نجده نحن. لذلك فقد أتت العبارة في الآية ٢٣ على ما يظن، أي على ما كان يعتقد أنه ابن يوسف بن هالي. فكانوا لا يعرفون أنه ولد من غير أب. أو لا يريدون تصديق ذلك.

وما ذكره الكتاب المقدس بالفعل أن أبا موسى وهارون كان يدعى عمرام وليس عمران، وأن موسى كان له أخت تدعى مريم غير أخيه هارون الذي خرج معه من أرض مصر إلى الأراضي المقدسة، وليس معنى هذا أن السيدة مريم أم المسيح لم يكن لها أخ يدعى هارون. فهل كان هذان الاسمان مقتصران على إخوة موسى فحسب. أليس من الممكن أن تكون تسمية مريم العذراء وأخيها بهذين الاسمين من باب الاحتذاء بإخوة موسى، لما كان أبوهما يدعى عمران هو الآخر.

فأنا مثلا: أختي التي تكبرني تدعى غادة، وتوجد ثلاث أسر أخرى مجاورين لنا أسماء أبنائهم غادة ولبنى، احتذاء بي أنا وأختي. وابنة خالتي تدعى نجلاء فتحي، أسماها والدها هكذا حتى تصبح على اسم الفنانة المشهورة نجلاء فتحي. فكل هذه الأمور واردة وخاصة عندما تتعلق الأسماء بالمشاهير. وليس أشهر من نبي اللّه موسى وهارون وأبيهما عمران.

وقد قيل قول في هذا وهو أن السيدة مريم من ذرية موسى عليه السلام وهو أخو هارون. فلذلك قيل لها "أخت هارون".

كما قيل: أنه كان في زمانها عابد يسمى هارون، وكانت السيدة مريم في غاية العبادة. فلما أنجبت المسيح قبل أن يدخل بها يوسف النجار اتهموها بالزنا. فقالوا

لها ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ أي: في العبادة. ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

وقد أطلق الله في أكثر من موضع في القرآن لفظة "أخت" لمساواة الشيء بالشيء. فنقرأ في سورة الزخرف الآية (٣) **﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾**. ونقرأ في سورة الأعراف الآية ٣٨:

﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ أي: أختها مساويتها في الكفر.

أما بشأن قولكم كيف تكون مريم ابنة لعمران وبينها وبين موسى وعمران ألف وستمائة سنة. فلكم أقول: كما قلت آنفًا ليس معنى أن أبا موسى يدعى عمران أن هناك استحالة في أن يكون أبو مريم أم المسيح يحمل نفس الاسم. ولكن إذا افترضنا جدلا أن أبا مريم كان له اسم آخر غير عمران فما هو المانع أن تكنى مريم بجدها. فقد قيل أنها من ذرية موسى بن عمران. ونحن نجد أن اليهود حتى اليوم ما زالوا يطلقون على أنفسهم أبناء إسرائيل. أي (يعقوب). ونحن نقول على كل إنسان إنه (ابن لآدم). ونحن جميعا نعلم ما بين اليهود وإسرائيل من سنين. وما بيننا وبين آدم من سنين. فعلامَ تختلفون؟!

تحليل إنكار الله!

*** ادعاء**

جاء في سورة النحل ١٦: ١٠٦.﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وتقولون: لقد فسرها البيضاوي بقوله: "روي أن قريشًا أكرهوا عمارًا وأباه ياسرًا وأمه سُميّة على الارتداد. فربطوا سميّة بين بعيرين وجيء بحربة بقلبها وقالوا إنك أسلمتِ من أجل الرجال. فقُتلتْ. وقتلوا ياسرًا. وهما أول قتيلين في الإسلام.

وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مُكرَهًا. فقيل: يا رسول اللهّ، إن عمارًا كفر. فقال: كلا، إن عمارًا مليء إيمانًا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. فأتى عمار رسول اللهّ وهو يبكي، فجعل رسول اللهّ يمسح عينيه وهو يقول: إن عادوا إليك فعُد لهم بما قلت. وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه".

ونحن نسأل: هل من الأمانة أن يزوِّر الإنسان في عقيدته وينكر إلهه الحي في سبيل إرضاء الناس؟ قال المسيح "وَمَنْ أَنْكَرَنِي قُدَّامَ النَّاسِ يُنْكَرُ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللّهِ". (لوقا ١٢: ٩).

* الرد:

ولكم أقول: إننا إذا قارنا موقف هؤلاء الصحابة بموقف بطرس صحابي عيسى عليه السلام لوجدنا الموقفين متشابهين، غير أن موقف عمار وياسر وسمية هو أفضل بكثير من موقف بطرس، فإنكار الإله من شدة التعذيب والقلبُ مطمئن بالإيمان هو أفضل بكثير من إنكار بطرس لمن تعتبرونه إلهكم – عيسى – خوفا من التعذيب، فقد أنكر بطرس عيسى ثلاث مرات يوم صلبه. ومع ذلك فله رسالتان في كتابكم المقدس، وهما رسالة بطرس الأولى والثانية... فأنتم لم تنكروا رسائل تتحدث عن المسيح من أنكر المسيح، وضمّنتموهما كتابكم المقدس، ومعنى هذا أن بطرس لم يكن مرفوضًا عندكم رغم إنكاره للمسيح، ولم تسقطوه من حواري عيسى مع يهوذا الإسخريوطي، وها هو كتابكم المقدس يحدثنا عن هذه الحادثة في أناجيلكم الأربعة متى ولوقا ومرقس ويوحنا، ولنرى سويًّا إنكار بطرس للمسيح في أحد هذه الأناجيل وهو إنجيل مرقس الإصحاح (١٤): ٦٦- ٧٢ "٦٦ وبينما كان بطرس في الدار أسفل جاءت إحدى جواري رئيس الكهنة. ٦٧ فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت إليه وقالت: وأنت كنت مع يسوع الناصري؟ ٦٨ فأنكر قائلا: لست أدري ولا أفهم ما تقولين! وخرج خارجا إلى الدهليز فصاح الديك. ٦٩ فرأته الجارية أيضا

وابتدأت تقول للحاضرين: إن هذا منهم ! ٧٠ فأنكر أيضا. وبعد قليل أيضا قال الحاضرون لبطرس: حقا أنت منهم؛ لأنك جليلي أيضا ولغتك تشبه لغتهم! ٧١ فابتدأ يلعن ويحلف: إني لا أعرف هذا الرجل الذي تقولون عنه! ٧٢ وصاح الديك ثانية. فتذكر بطرس القول الذي قاله له يسوع: إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات. فلما تفكر به بكى".

والسؤال الآن: هل من الأمانة أن يزوّر بطرس في عقيدته وينكر إلهه الحي في سبيل إرضاء الناس؟ وهل سينكر أمام الملائكة كما قال المسيح: "وَمَنْ أَنْكَرَنِي قُدَّامَ النَّاسِ يُنْكَرُ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللّهِ). وهل من ينكر قدام ملائكة الله ينبغي لكم أن تعترفوا به في كتابكم المقدس، وإذا كان ما جاء في كتابكم المقدس من خلال الرسل بوحي سماوي كما تزعمون فهل يوحي الله إلى من تنكره الملائكة؟ فأى تناقض هذا!!

فأعتقد أن ما سبق سبب كافٍ لأن نسقط عهدكم الجديد على الأقل... لأنكم ضمّنتوه أقوال من ستنكره الملائكة وادعيتم أنها بوحي سماوي.

هل ولد في المهد أم تحت نخلة؟

*** ادعاء**

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم ٢٨ - ٣٠).

وتقولون: تناقضها سورة آل عمران، وسورة مريم.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا. فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ

قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا. فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (مريم ٢٠- ٢٤).

*** الرد:**

ولكم أقول: لو أننا نظرنا إلى الآية الأولى لوجدنا أنكم قد اقتلعتموها من جذورها، فالآية كالآتي:

﴿فأتت به قومها تحمله، قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم ٢٧ -٣٠).

فالولادة بالفعل كانت تحت النخلة، ولكن هل من المفترض أن تكمل مريم ورضيعها حياتهما أسفل النخلة؟ بالطبع لا. فحملت الصبي بعد أن ولدته تحت النخلة ثم أتت به قومها وهي تحمله، فقالوا لها: لقد اقترفت ذنبًا عظيمًا، يا شبيهة هارون في الصلاح والورع – حيث كان هارون عندهم تقيًّا وورعًا – لم يفعل هذا الإثم أبوك أو أمك من قبل، فأشارت إليه وهو في حجرها، فقالوا لها كيف نكلمه وهو ما زال لم يبلغ سن الكلام، ولكن عيسى عليه السلام قد أدهشهم بأول معجزاته حينما تحدث وهو في هذه السن التي لا يتحدث فيها أقرانه ممن هم في مثل عمره، فقال لهم **﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾**.

*** ادعاء**

تقولون: أيّ من القصتين نقبل؛ العجل الجسدي له خوار أم البقرة الصفراء لا شية فيها؟

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾. (الأعراف ٧-١٤٨).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ

أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ. قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ. قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ. وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: ٦٧ - ٧٢).

*** الرد:**

ولكم أقول: إن قصة العجل قصة تختلف في موضوعها ومضمونها تماما عن قصة البقرة الصفراء، وإليكم القصتين من كتاب "أنبياء الله" لأحمد بهجت.

(أولا) قصة العجل:

لم يكد موسى يغادر قومه إلى ميقات ربه حتى وقعت فتنة السامري، وتفصيل هذه الفتنة أن بني إسرائيل حين خرجوا من مصر صحبوا معهم كثيرًا من حلي المصريين وذهبهم، أخذوه للتمتع به في احتفالهم الذي ادعوه، ثم نجوا بعد معجزة شق البحر، وانطبق البحر على فرعون وجنوده فغرقوا، وصار ما معهم من الذهب مِلْكًا لهم، ويبدو أن هارون عليه السلام أدرك أن هذا الذهب ليس من حقهم، فأخذه منهم ودفنه في الأرض، لم يكن القوم في حاجة إليه، كانوا يعيشون في التيه، يسيرون وسط صحراء لا ينفعهم فيها الذهب، حفر هارون شقيق موسى حفرة وألقى فيها الذهب وأهال عليه التراب، ورآه السامري وهو يدفن الذهب فاستخرجه بعد ذلك، وصهره، وصنع منه تمثالا لعجل يشبه العجل أبيس معبود المصريين، وكان السامري فيما يبدو نحاتًا محترفًا أو صائغًا سابقًا، فصنع العجل مجوفًا من الداخل، ووضعه في اتجاه الريح، بحيث يدخل الهواء من فتحته الخلفية ويخرج من

أنفه فيحدث صوتًا يشبه خوار العجول الحقيقية.

ويقال أن سر هذا الخوار أن السامري كان قد أخذ قبضة من تراب سار عليه جبريل عليه السلام حين نزل إلى الأرض في معجزة شق البحر.. أي أن السامري أبصر بما لم يبصروا به. فقبض قبضة من أثر الرسول جبريل عليه السلام. فوضعها مع الذهب وهو يصنع منه العجل. وكان جبريل عليه السلام لا يسير على شيء إلا دبت الحياة فيه. فلما أضاف السامري التراب إلى الذهب وصنع منه العجل خار العجل كالعجول الحقيقية. ولكننا نعلم الآن أن التراب إذا أضيف إلى الذهب وصُهِرَ انفصل التراب من الذهب وترك تجويفًا في مكان انفصاله. وأغلب الظن أن السامري استخدم هذا التراب كأي تراب آخر في صنع تجويف داخل العجل. بحيث تحول التمثال إلى تمثال له صوت.

فسألوه: ما هذا يا سامري؟

قال: هذا إلهكم وإله موسى! قالوا ألم يذهب موسى لميقات إلهه؟

قال السامري: لقد نسي موسى. ذهب للقاء ربه هناك. بينما ربه هنا.

وهبّت موجة من الرياح فدخلت من دبر العجل الذهب وخرجت من فمه. فخار العجل.

فعبد بنو إسرائيل هذا العجل. وهذه كانت هي قصة العجل الذهبي المذكور في القصة الأولى.

(ثانيا) قصة البقرة الصفراء:

والأصل في قصة البقرة أن قتيلًا ثريًّا وجد يوما في بني إسرائيل. واختصم أهله ولم يعرفوا قاتله. وحين أعياهم الأمر لجأوا لموسى. ويبدو أن هذا القتيل كان رجلًا له مركزه في بني إسرائيل. ويبدو أن خفاء قتله كان دافعًا لشيء يشبه الفتنة. ولجأ بنو إسرائيل لموسى ليلجأ لربه. ولجأ موسى لربه فأمره أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة.

وكان المفروض هنا أن يذبح القوم أول بقرة تصادفهم، غير أنهم بدأوا مفاوضاتهم باللجاجة، اتهموا موسى بأنه يسخر منهم ويتخذهم هزوًا، واستعاذ موسى بالله أن يكون من الجاهلين ويسخر منهم، وأفهمهم أن حل القضية يكمن في ذبح بقرة.

إن الأمر هنا أمر معجزة، لا علاقة لها بالمألوف في الحياة، أو المعتاد بين الناس، فليست هناك علاقة بين ذبح البقرة ومعرفة القاتل في الجريمة الغامضة التي وقعت، ولكن متى كانت الأسباب المنطقية هي التي تحكم حياة بني إسرائيل، إن المعجزات الخارقة هي القانون السائد في حياتهم، وليس استمرارها في حادث البقرة أمرًا يوحي بالعجب أو يثير الدهشة.

لكن بني إسرائيل هم بنو إسرائيل، مجرد التعامل معهم عنت، تستوي في ذلك الأمور الدنيوية المعتادة، وشئون العقيدة الهامة، لا بد أن يعاني من يتصدى لأمر من أمور بني إسرائيل، وهكذا يعاني موسى من إيذائهم له واتهامه بالسخرية منهم، ثم ينبئهم أنه جاد فيما حدثهم به، ويعاود أمره أن يذبحوا بقرة، وتعود الطبيعة المراوغة لبني إسرائيل إلى الظهور، تعود اللجاجة والالتواء، فيتساءلون: أهي بقرة عادية كما عهدنا من هذا الجنس من الحيوان؟ أم أنها خلق آخر تفرد بمزية، فليدع موسى ربه ليبين لهم ما هي، ويدعو موسى ربه فيزداد التشديد عليهم، وتحدد البقرة أكثر من ذي قبل، بأنها بقرة وسط ليست بقرة مُسِنّة، وليست بقرة فتية، بقرة متوسطة، إلى هنا كان ينبغي أن ينتهي الأمر، غير أن المفاوضات لم تزل مستمرة، ومراوغة بني إسرائيل لم تزل هي التي تحكم مائدة المفاوضات، والأسئلة الغريبة لم تزل تطرح، ما هو لون هذه البقرة؟ لماذا لا يدعو موسى ربه ليسأله عن لون هذه البقرة؟ لا يراعون مقتضيات الأدب والوقار اللازمين في حق الله تعالى وحق نبيه الكريم، وكيف أنهم ينبغي أن يخجلوا من تكليف موسى بهذا الاتصال المتكرر حول موضوع بسيط لا يستحق كل هذه اللجاجة والمراوغة، ويسأل موسى ربه ثم

يحدثهم عن لون البقرة المطلوبة، فيقول: إنها بقرة صفراء، فاقع لونها، تسر الناظرين.

وهكذا حددت البقرة بأنها صفراء، لونها مشرب بحمرة، ورغم وضوح الأمر فقد عادوا إلى المراوغة، فشدد الله عليهم كما شددوا على نبيه وآذوه، عادوا يسألون موسى أن يدعو الله ليبين ما هي، فإن البقر تشابه عليهم، وحدثهم موسى عن بقرة ليست مُعَدَّة لحرث ولا لسقي، سَلِمَت من العيوب، صفراء لا شية فيها، بمعنى خالصة الصفرة، انتهت بهم اللجاجة إلى التشديد، وبدءوا بحثهم عن بقرة بهذه الصفات الخاصة، وأخيرا وجدوها عند يتيم فاشتروها منه وذبحوها، وأمسك موسى ذيل البقرة وضرب به القتيل فنهض من موته، فسأله موسى عن قاتله فحدثهم عنه ثم عاد إلى الموت.

وشاهد بنو إسرائيل معجزة إحياء الموتى أمام أعينهم، استمعوا بآذانهم إلى اسم القاتل، انكشف غموض القضية التي حيّرتهم زمنًا طويلا بسبب لجاجتهم وتعنتهم، وهذه كانت قصة البقرة الصفراء.

أما زلتم تعانون من الحيرة بشأن العجل الجسدي والبقرة الصفراء؟!

*** ادعاء**

وتسألون: من هو عُزَيْر في اليهودية؟

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة ٣٠- ٣١)

*** الرد:**

ويحدثنا أحمد بهجت عن عزير في كتابه "أنبياء الله" حيث قال: قال تعالى في

سورة البقرة: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

وصاحب هذه القصة كما يذكر عند جمهور السلف والخلف هو عُزَيْر، الذي نهض من موته بعد مائة عام، وراح يبحث لنفسه عن رجل عجوز أو امرأة عجوز تذكره، وظل يبحث حتى عثر على خادمته التي تركها في العشرين من عمرها، كان عمرها الآن ١٢٠ سنة، تهدمت قواها وسقطت أسنانها، وراح بصرها، وكانت تشبه مجموعة من العظام المكسوة بالجلد، فدعا لها عُزَيْر أن تبصر وتمشي، فرد الله إليها بصرها وقوتها، وأذاعت الخبر في البلدة، فبدأ الناس يرجعون إلى قصة عُزَيْر الذي خرج يومًا منذ مائة عام واختفى، وأنه كان في آبائهم وأجدادهم نبيًّا وكان يحفظ التوراة في صدره، وقد ضاعت التوراة في حرب بختنصر، حيث أحرقها وقتل العلماء والقُرّاء، فقال الناس لعزير: لقد وقع هذا في المائة عام التي تقول أنك مت فيها أو نمت، فلو كنت تحفظ التوراة لصدّقنا أنك عُزَيْر، وجلس عزير في ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله فنسخ لهم التوراة، نسخها حرفًا بحرف، حتى انتهى منها، ثم قال لنفسه: أستخرج الآن التوراة التي دفنتها لأضاهيها على ما حدّثت عند القوم، انطلق إلى ذلك الموضع فاستخرج التوراة، وكان الورق قد تحلل وتعفن، وأدرك لماذا أماته الله مائة عام ثم بعثه.

وانتشرت أخبار معجزة عزير بين بني إسرائيل، وحملت المعجزة معها فتنة قاسية لقومه، فادعى أناس من قومه أن عزيرًا ابن الله... ومن هنا كان قول الله تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾.

*** ادعاء**

وتقولون: ثعبان أم جان؟

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل ٢٧-١٠).

وتقولون: تناقضها سورة الأعراف: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾. (الأعراف ٧- ١٠٧).

وتقولون: والأغرب من ذلك عندما أطرح هذا السؤال على مسمع بعض المسلمين يقولون: إن العصى تحوّلت الى تعبان كشبه جان، أي أن العصى تحولت إلى الحية ثم تشبّهت في الجان!!! وهذا تناقض أيضًا.

*** الرد:**

ولك أقول: لو أنك تعرف اللغة العربية جيدا لما احترت كل هذه الحيرة. فالأمر واضح وضوح الشمس وقت الظهيرة ولا يحتاج إلى كل هذه الحيرة. ويستطيع أن يجيبك عليه طالب في الثانوية العامة دارس فقط لقشور في علم البلاغة. فلا تناقض بين الآيتين.

ففي الآية الأولى الآية (١٠) من سورة النمل نجد المولى سبحانه وتعالى يقول ﴿رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾. فإذا نظرت إلى كلمة (كأنها). تفيد أن ما بعدها ليس هو حقيقة الأمر. كأن نقول: البنت جميلة كأنها القمر ليلة تمامه. فهل معنى هذا أن البنت قمر حقيقي أم أنها تشبه القمر في جماله؟ فالمعنى المراد أنها تشبه القمر في جماله. ففي هذه الآية أيضا نجد أن المولى سبحانه وتعالى قد صور لنا العصا حال تحولها إلى ثعبان كأنها جان. وقد أوضح لنا مختصر التفسير لابن كثير أن الجان هو نوع من الحيات أسرعه حركة وأكثره اضطرابًا. فالمولى يشبه لنا العصى في سرعتها وكثرة اضطرابها بعد تحولها إلى ثعبان بالجان الذي هو أكثر الحيات سرعة

واضطرابا.

أما في الآية الثانية الآية (١٠٧) من سورة الأعراف، فنجد جملة خبرية تقريرية ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾، جملة تقر وتخبر بتحول العصا إلى ثعبان، دون اللجوء إلى صور بلاغية من تشبيه أو استعارة، وما شابه ذلك، وهذا الأسلوب هو نوع آخر من أنواع الكلام، فلا تعارض ولا تناقض بين الآيتين.

هل حكم سليمان مع داود أم بعده؟

*** ادعاء**

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل ١٦).

وتقولون: تناقضها سورة الأنبياء.

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (الانبياء ٧٨).

*** الرد:**

ولكم أقول: إنه لا يوجد تناقض بين الآيتين، فالآية الثانية تشير إلى المعاصرة والاشتراك بين داود وسليمان، فكثيرًا نجد أن رئيسًا يحكم بلدًا ما وقد يشترك معه أحد أبنائه في الأمور السياسية كنائب للرئيس مثلا، فإذا مات الأب رفض الشعب الابن وانتقل الحكم إلى آخر غيره، فالآية الكريمة أوضحت لنا عدم رفض الشعب للابن ونيابة الابن عن أبيه، فهي تريد أن تخبرنا أن الحكم انتقل إلى سليمان بعد موت أبيه داود ولم يذهب لغيره، أي أن سليمان ورث الحكم من أبيه وهذا ما أشارت إليه الآية الأولى، فأين التناقض؟

كما أننا إذا نظرنا إلى الآيتين جيدًا فسوف نرى أن الأية الأولى تذكر أنه تولى الحكم العام في البلاد بعد أبيه. أما الثانية فهي تشير إلى واقعة محددة وهي الحكم في قضية الغنم التي أكلت الزرع. فحكم داود بحكم لم يكن هو الحكم الصائب. فعُرِضَ الأمر على سليمان فحكم فيها الحكم الصائب كما يذكر ذلك ربنا تبارك وتعالى في نفس الآية الثانية ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. ومن أراد مزيدًا في ذلك يرجع إلى تفسير الآية والقصة التي وردت فيها.

الأرض ثابتة لا تتحرك!

*** ادعاء**

جاء في سورة لقمان ٣١: ١٠ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾. وجاء في الرعد ١٣: ٣ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾... وجاء في سورة الحجر ١٥: ١٩ ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾... وجاء في سورة النحل ١٦: ١٥ ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾... وجاء في سورة الأنبياء ٢١: ٣١ ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

وتقولون: قال البيضاوي في تفسير الآية من سورة الأنبياء: ﴿أن تميد بهم﴾ كراهة أن تميد بهم وتضطرب. وقال في تفسير الآية من سورة الرعد: ﴿وهو الذي مدّ الأرض﴾: بسطها طولًا وعرضا لتثبت عليها الأقدام وينقلب عليها الحيوان. وأجمل البيضاوي تفسير هذه الآيات بما فسر به النحل ١٦: ١٥ فقال: ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾: جبالًا رواسي، ﴿أن تميد بكم﴾: كراهة أن تميل بكم وتضطرب؛ لأن الأرض قبل أن تُخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها أن

تتحرك بالاستدارة كالأفلاك أو أن تتحرك بأدنى سبب للتحريك، فلما خُلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت الأوتاد التي تمنعها عن الحركة، وقيل: لما خلق اللّه الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: ما هي بمقر أحدٍ على ظهرها، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال.

وتقولون: إذا كان واضحًا أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة، وينشأ عن تلك الحركة الليل والنهار، وتدور حول الشمس مرة كل سنة، وينشأ عن ذلك الدوران الفصول الأربعة، فكيف تكون الأرض ممدودة مبسوطة ثابتة لا تتحرك، وأن الجبال تمنعها عن أن تميد؟

*** الرد:**

ولكم أقول: بداية أحب أن أوضح أن كلمة "تميد" في اللغة بمعنى تضطرب، وشتان الفارق بين معنى الاضطراب والدوران.... فإنشاء الجبال قد حمى الأرض من الاضطراب وليس من الدوران، ولا أدل على ذلك من تلك الآيات القرآنية التي أكدت على أن الأرض ليست ثابتة، والأكثر من ذلك إشارتها إلى دورانها حول نفسها، والذي ينشأ عنه تعاقب الليل والنهار، تلك الحقيقة التي أقرها القرآن منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة.... فالحركة أنواع، فمنها الحركة المحورية، ومنها الاضطراب الذي أُنْشِئَت الجبال الرواسي للتحكم فيه وضمان الثبات والاستقرار للأرض بحيث تسمح بوجود حياة عليها، وهناك نوع آخر من الحركة والتي أشار إليها القرآن وأقرها في بعض الآيات التي سنوردها تفصيلا والتي ستشرح لنا كيف أن الأرض تتحرك في كل يوم حول نفسها والذي ينشأ عنه تعاقب الليل والنهار، وهي كالآتي: فنجد المولى سبحانه وتعالى قد استخدم لفظ التكوير ليصف انزلاق الليل والنهار كنصف كرة فقال:

﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾.

ثم الآية التي تصف دحو الأرض.... ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾.

و"دحاها" هي الكلمة الوحيدة في القاموس التي تعني البسط والتكوير معًا. والأرض كما هو معلوم مبسوطة في الظاهر ومكورة في الحقيقة. بل هي أشبه بالدحية "البيضة" في تكويرها.

ونجد في سورة يونس ﴿**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها آتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس**﴾.

وفى قوله ﴿**ليلا أو نهارا**﴾ تأكيد لهذا التواقت الذي لا تفسير له إلا أن نِصْفَ الأرض محجوب عن الشمس ومظلم. والآخر مواجه للشمس ومضيء بحكم كونها كروية. ولو كانت مسطحة لكان لها في كل وقت وجه واحد. فأمر الله حينما يأتي يكون ليلا عند البعض بينما نهارًا عند البعض الآخر. (فليلًا في الأماكن التي بها الليل. ونهارًا في الأماكن التي بها نهار في نفس الوقت).

ونجد الآية التي تشير إلى حركة الأرض وعدم ثباتها في سورة النمل الآية (٨٨).... ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء**﴾.

فنجد الآية توضح لنا أن الجبال تسبح في الفضاء. أي تتحرك. وبالتالي فالأرض ليست ثابتة. فالأرض كلها تسبح بجبالها حيث هي والجبال كتلة واحدة.

وتشبيه الجبال بالسحب فيه لمحة أخرى عن التكوين الهش للمادة التي تعرف الآن أنها مؤلفة من ذرّات. كما أن السحب مؤلفة من قطيرات.

أما بشأن ما قاله البيضاوي فما فهمته مما قاله هو أن الجبال أنشئت لتحمي الأرض من الاضطراب أو الحركة بأدنى سبب للتحريك. وعلى كلٍّ فتفسير المفسرين في بعض الآيات بالذات التي لم تفهم إلا بعد الدراسات التي أجراها العلم الحديث لم تكن سوى اجتهاد في التفسير. فإذا هو أساء الفهم في بعض الأمور فها هي آيات القرآن توضح لنا المعنى الحقيقي والفعلي.

أسئلة لغوية

* ادعاء

تقولون: رفع المعطوف على المنصوب

س: جاء في سورة المائدة ٥: ٦٩ ﴿إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَالذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾. وكان يجب أن ينصب المعطوف على اسم "إن" فيقول: والصابئين، كما فعل هذا في سورة البقرة ٢: ٦٢ والحج ٢٢: ١٧.

* الرد:

وقد قال الشيخ الشعراوي: تكسر القاعدة أحيانًا في القرآن الكريم لعلة بلاغية وهي (جذب الانتباه).

ونجد الإجابة على هذا السؤال في المجلد الأول من (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، ص (١٣١، ١٣٢)... حيث نقرأ الآتي:

(الصابئون) رفع على الابتداء وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز "إن" من اسمها وخبرها كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك.

وأنشد سيبويه شاهدًا له:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

والتقديم والتأخير للتنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظن بغيرهم، وذلك أن الصابئين أَبْيَن هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيًّا، وما سُمُّوا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها، أي: خرجوا، كما أن الشاعر قدم قوله: "وأنتم" تنبيهًا على أن المخاطبين أفعل في الوصف بالبغاة من قومه، حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو "بغاة" لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم

مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدمًا.

فإن قلت: فلو قيل "والصابئين وإياكم" لكان التقديم حاصلًا؟ قلت: لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء؛ لأنه لا إزالة فيه عن موضعه، وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقارّ في مكانه.

وفائدة التقديم على الخبر أن يكون توسطُ هذا المبتدأِ المحذوفِ الخبرِ بين الجزأين أدلَّ على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقصي الكلام وتمامه.

أما في سورة الحج **(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن اللّه يفصل بينهم يوم القيامة إن اللّه على كل شيء شهيد)**.

فيجيبنا الأستاذ أنور القاضي أحد أساتذة اللغة العربية قائلا: إن الآية لمطلق العطف والجمع بينهم: إذ إن أمرهم مردود إلى اللّه يوم القيامة في إنزال الرحمة بهم ورفع العذاب عنهم، فإلى اللّه مرجعهم والحكم بينهم، فنجد هنا أن اللّه سبحانه وتعالى جعل الصابئين مع النصارى؛ لأنهم نوع منهم، وقيل (يفصل بينهم): يقضي بينهم، أي بين المؤمنين والكافرين، وأدخلت "إن" على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التوكيد.

* ادعاء

تقولون: نصب الفاعل

س: جاء في سورة البقرة ٢: ١٢٤ (لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)، وكان يجب أن يرفع الفاعل فيقول "الظالمون".

* الرد:

(لا ينال عهدى الظالمين)، قُرِئت هكذا في رواية حفص بالنصب، وهذا صواب لا شك فيه، وتأويله: لا يلحق عهدُ اللّه الظالمين، والفاعل قوله (عهدي) مرفوع بضمة

مقدرة لاعتلال آخره.

ونقرأ في المجلد الأول من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ص (٣٠٩) الآتي: قُرِئَت: "**لا ينال عهدي الظالمون**" في إحدى القراءات، أي: من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة، وإنما ينال من كان عادلا بريئًا من الظلم، وقالوا: في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة، وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته، ولا يقدم للصلاة؟ فإذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر: من استرعى الذئب ظلم.

*** ادعاء**

تقولون: ذكّر خبر الاسم المؤنث

س: جاء في سورة الأعراف ٧: ٥٦ ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. وكان يجب أن يتبع خبر "إن" اسمها في التأنيث فيقول "قريبة".

*** الرد:**

ونقرأ في المجلد الثاني من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٨٣) الآتي: ﴿**إن رحمة الله قريب من المحسنين**﴾ كقوله: ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا**﴾، وإنما ذكّر "قريب" على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم، أو لأنه صفة موصوف محذوف، أي: شيء قريب، أي أن **رحمة الله شيء قريب من المحسنين**، أو على تشبيهه بـ"فعيل" الذي هو بمعنى مفعول، كما شبّه ذاك به فقيل قتلاء وأسراء، أو على أنه بِزِنَةِ المصدر الذي هو النقيض والضغيب[٢]، أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي، فكل ما سبق جائز وصحيح، ولذا فالجملة صحيحة لأكثر من

---

[٢] - قوله «هو النقيض والضغيب» النقيض: هو صوت العقاب وصوت المحمل، والضغيب: صوت الأرنب.

وجه وتأويل.

تأنيث العدد وجمع المعدود

* ادعاء

س: جاء في سورة الأعراف ٧: ١٦٠ (وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا). وكان يجب أن يذكر العدد ويأتي بمفرد المعدود فيقول: اثني عشر سبطًا.

* الرد:

ونقرأ في الجلد الثاني من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (١٢٤) الآتي:

(وقطعناهم)... وصيّرناهم قطعًا، أي: فِرَقًا ومَيَّزْنَا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم. وقرئ "وقَطَعْنَاهُمْ" بالتخفيف (**اثنتي عشرة أسباطا**) كقولك: اثنتي عشرة قبيلة. والأسباط أولاد الولد جمع سبط. وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدًا من ولد يعقوب عليه السلام. فإن قلت: مميز ما عدا العشرة مفرد، فما وجه مجيئه مجموعًا اثني عشر سبطا؟ قلت: لو قيل ذلك لم يكن تحقيقًا؛ لأن المراد: وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة، وكل قبيلة أسباط، لا سبط. فوضع أسباطًا موضع قبيلة. ونظيره "بين رماح مالك ونهشل". و(**أمما**) بدل من "اثنتي عشرة"، بمعنى: وقطعناهم أممًا، لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة، وجماعة كثيفة العدد، وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى لا تكاد تأتلف.

وقال الأستاذ أنور القاضي أستاذ اللغة العربية: يراد بكلمة "أسباط" أولاد الولد، ومفردها سبط، وكانوا اثنتي عشر ولدًا من ولد يعقوب، فإن قيل أن تمييز العدد من (١١) مفرد منصوب، فلِمَ جاء جمعًا؟ يُرَدّ على ذلك بأنه لم يرد تحقيقًا؛ لأنه قصد المراد منها القبيلة، وكل قبيلة (أسباطا) لا سبط، فوضعت أسباط موضع قبيلة فلا عيب.

جمع الضمير العائد على المثنى

* ادعاء

س: جاء في سورة الحج ٢٢: ١٩ (هذانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ). وكان يجب أن يثنّي الضمير العائد على المثنّى فيقول: خصمان اختصما في ربهما.

* الرد:

ونقرأ في المجلد الثالث من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٩) الآتي:

"الخصم" صفة وصف بها الفوج أو الفريق، فكأنه قيل: هذان فوجان أو فريقان مختصمان أو اختصما. يراد المؤمنون والكافرون. فالمقصود هنا جمع من المؤمنين وجمع من الكافرين، فالخصمان هنا تحمل شكل المثنى ولكن المقصود بها الجمع.

وقد قال الشيخ سليمان الشيمي أحد علماء الأزهر القدامى: إن كل ما فوق الواحد جاز أن يطلق عليه صيغة الجمع. مثل (**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**)

أتى باسم الموصول العائد على الجمع مفردًا

* ادعاء

س: جاء في سورة التوبة ٩: ٦٩ (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا). وكان يجب أن يجمع اسم الموصول العائد على ضمير الجمع فيقول: خضتم كالذين خاضوا.

* الرد:

يقول الشيخ الشيمي: (**وخضتم كالذي خاضوا**) اسم موصول يطلق على المفرد والجمع كقول: "إيه الكلام اللي انت بتقوله ده". ونقرأ في المجلد الثاني من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٢٠١) الآتي:

الخوض: الدخول في الباطل واللهو (كالذي خاضوا) كالفوج الذي خاضوا، أو كالخوض الذي خاضوه.

ونقرأ حالة شبيهة في الكتاب المقدس، في أخبار الأيام الثاني (٧: ١٤):

"فإذا تواضع شعبي الذين دعى اسمى عليهم وصلوا وطلبوا وجهي ورجعوا عن طرقهم الردية فإنني أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم"..... وكان يجب أن تكون **"شعبي الذي"**.

جزم الفعل المعطوف على المنصوب

*** ادعاء**

س: جاء في سورة المنافقون ٦٣: ١٠ ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. وكان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المنصوب "فأصدق" و"أكون".

*** الرد:**

وقد أجابنا عن هذا السؤال الأستاذ أنور القاضي أستاذ اللغة العربية قائلًا: جزم "أكن" (ظاهرا) إلا أنه منصوب على المحل، فالجزم ظاهرًا على اللفظ، والنصب مقدرًا على المحل، كأنه قيل تأويلا: "إن أخَّرْتَنِ أصدق وأكن".

جعل الضمير العائد على المفرد جمعًا

*** ادعاء**

س: جاء في سورة البقرة ٢: ١٧ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾. وكان يجب أن يجعل الضمير العائد على المفرد مفردًا فيقول: استوقد... ذهب الله بنوره.

*** الرد:**

وأجاب عن هذا السؤال الشيخ الشيمي حيث قال: إن الكلام عائد على الجمع فـ (بنورهم) عائدة على (مثلهم). وهذا واضح وجلي.

نصب المعطوف على المرفوع

*** ادعاء**

س: جاء في سورة النساء ٤: ١٦٢ (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا). وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول والمقيمون الصلاة.

*** الرد:**

ونقرأ في المجلد الأول من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٥٨٢) الآتي: ارتفع الراسخون على الابتداء و(يؤمنون) خبره. (والمقيمين) نصب على المدح لبيان فضل الصلاة. وبيان أن المقيمين الصلاة لهم منزلة عظمى عند الله سبحانه وتعالى، وكأنه يختصهم بالمنزلة والمكانة العليا. وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد. ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنًا في خط المصحف. وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص. وغاب عنهم أن السابقين كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام. ودفع المطاعن. فما كانوا ليتركوا ثغرة ليسدها مَن بعدهم.

وقيل أنها عطف على "بما أنزل إليك". تأويله "أي: يؤمنون بالكتاب. وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء".

نصب المضاف إليه

*** ادعاء**

س: جاء في سورة هود ١١: ١٠ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾. وكان يجب أن يجرَّ المضاف إليه فيقول بعد ضراءٍ.

* الرد:

قال الشيخ سليمان الشيمي في هذا السؤال أن: (ضراء) ممنوعة من الصرف (لألف التأنيث الممدودة كصحراء وقوباء، وحمراء).

أتى بجمع كثرة حيث أريد القلة

*** ادعاء**

س: جاء في سورة البقرة ٢: ٨٠ ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾. وكان يجب أن يجمعها جمع قلة حيث إنه أراد القلة فيقول أيامًا معدودات.

*** الرد:**

قال الشيخ الشيمي في هذا السؤال: إن القلة مفهومة من سياق الكلام (حيث هي أيام عبادة العجل) التي هي أربعين يوما، وذلك لاحترام عقل العبد.

أتى بجمع قلة حيث أريد الكثرة

*** ادعاء**

س: جاء في سورة البقرة (٢: ١٨٣ و١٨٤) ﴿كُتِبَ عَلَى الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَات﴾. وكان يجب أن يجمعها جمع كثرة حيث إن المراد جمع كثرة عدته ٣٠ يومًا فيقول أيامًا معدودة.

*** الرد:**

قال الشيخ الشيمي: إن الجمع والمفرد أحيانا يتعاوران (أي ينوبا عن بعضهما

البعض) وهو جمال في اللغة واتساع. ونقرأ في المجلد الأول من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٣٣٥) أن (معدودات).... تعني مُوَقَّتَات بعدد معلوم أو قلائل كقوله: دراهم معدودة. وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه. والكثير يهال هيلا ويحثى حثيًا.

جمع اسم علم حيث يجب إفراده

*** ادعاء**

س: جاء في سورة الصافات (٣٧: ١٢٣-١٣٢) ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ... سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ... إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. فلماذا قال إلياسين بالجمع عن إلياس المفرد؟ فمن الخطا لغويًّا تغيير اسم العلَم حبًّا في السجع المتكلّف. وجاء في سورة التين (٩٥: ١-٣) ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾. فلماذا قال سينين بالجمع عن سيناء؟ فمن الخطأ لغويًّا تغيير اسم العلَم حبًّا في السجع المتكلف.

*** الرد:**

وقد ورد في المجلد الرابع من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص ٢٦٨ أن الطور هو الجبل إلى سينين وهي البقعة.

وقال الشيخ الشيمي عن إلياسين. أنها (ليست جمعًا) وإنما هي آل ياسين. وهذه النون هي نون تلى الإعراب أو تنوين ما تضاف أو تحذف.

أتى باسم الفاعل بدل المصدر

*** ادعاء**

س: جاء في سورة البقرة ٢: ١٧٧ ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾. والصواب أن يُقال: ولكن البر أن تؤمنوا بالله؛ لأن البر هو الإيمان لا المؤمن.

* **الرد:**

ونقرأ في المجلد الأول من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٣٣٠): ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ أي: أن الآية فيها تأويل تقديره: "ولكن البر بِرُّ من آمن" فهو تأويل على حذف المضاف.

وفي قراءة أخرى، ولكن (البارّ) باستخدام اسم الفاعل.

نصب المعطوف على المرفوع

* **ادعاء**

س: جاء في سورة البقرة ٢: ١٧٧ ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾. وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول والموفون... والصابرون.

* **الرد:**

ونقرأ في المجلد الأول من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٣٣١) (والموفون) عطف على (من آمن) في الآية السابقة التي بالسؤال السابق، وأخرج (الصابرين) منصوبًا على الاختصاص والمدح إظهارًا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال.

وقال الشيخ الشيمي أنها مفعول لفعل محذوف تقديره: (وأخص الصابرين).

وضع الفعل المضارع بدل الماضي

* **ادعاء**

س: جاء في سورة آل عمران ٣: ٥٩ ﴿إنّ مثَل عيسى عند الله كمثَل آدمَ خلقه من ترابٍ ثم قال له كن فيكون﴾. وكان يجب أن يعتبر المقام الذي يقتضي صيغة الماضي لا المضارع فيقول: قال له كن فكان.

*** الرد:**

ونقرأ في المجلد الأول من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٤٣٣) (خلقه من تراب) أي: قدّره جسدًا من طين (ثم قال له كن) أي أنشأه بشرًا كقوله: ثم أنشأناه خلقًا آخر.

(فيكون حكاية حال ماضية).

وقال الأستاذ أنور القاضي أستاذ اللغة العربية: عبّر اللّه تعالى بالمضارع تقديرًا على (حكاية حال ماضية) وكثيرًا ما ورد ذلك في القرآن كقوله تعالى: ﴿أتى أمر اللّه فلا تستعجلوه﴾ فهو يوم القيامة. وعبّر بالماضي لتحقق وقوعه رغم عدم وقوعه. وكذا يجوز أن التعبير بالمضارع حالًّا محل الماضي تأويلا على الحكاية.

لم يأت بجواب لمّا

*** ادعاء**

س: جاء في سورة يوسف ١٢: ١٥ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾. فأين جواب "لمّا"؟ ولو حذف الواو التي قبل "أوحينا" لاستقام المعنى.

*** الرد:**

وقد أجابنا عن هذا السؤال الأستاذ أنور القاضي أستاذ اللغة العربية قائلا: جواب (لما) محذوف ومعناه: فعلوا به ما فعلوا من الأذى. فقد روى أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة، وأخذوا يهينونه ويضربونه، وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه.

أتى بتركيب يؤدي إلى اضطراب المعنى

* ادعاء

س: جاء في سورة الفتح ٤٨: ٨ و٩ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾. وهنا ترى اضطرابًا في المعنى بسبب الالتفات من خطاب محمد إلى خطاب غيره، ولأن الضمير المنصوب في قوله "تعزّروه وتوقروه" عائد على الرسول المذكور آخرًا، وفي قوله "تسبحوه" عائد على اسم الجلالة المذكور أولًا، هذا ما يقتضيه المعنى، وليس في اللفظ ما يُعَيِّنُه تعيينًا يزيل اللبس، فإن كان القول "تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلًا" عائدًا على الرسول يكون كفرًا؛ لأن التسبيح للّه فقط، وإن كان القول "تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلًا" عائدًا على اللّه يكون كفرًا؛ لأنه تعالى لا يحتاج لمن يعزره ويقويه!!

* الرد:

في المجلد الثالث من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٥٤٢) ﴿ليؤمنوا﴾ الضمير للناس ﴿وتعزروه﴾: وتقووه بالنصرة، ﴿وتوقروه﴾: وتعظموه، ﴿وتسبحوه﴾: من التسبيح أو من السبحة، والضمائر للّه عز وجل، والمراد بتعزير اللّه تعزير دينه ورسوله صلى اللّه عليه وسلم، ومَن فرّق الضمائر فقد أبعد.

وقال الشيخ الشيمي: هو جمال في القرآن عن طريق الالتفات.

نوَّن الممنوع من الصرف

* ادعاء

س: جاء في سورة الإنسان ٧٦: ١٥ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾، بالتنوين مع أنها لا تُنَوَّن لامتناعها عن الصرف، لأنها على وزن مصابيح.

* **الرد:**

قال الشيخ الشيمي يجوز فيها الصرف وعدمه (فهي ممنوعة من الصرف صيغة منتهى الجموع)

(ويجوز أن تصرف فيقال "قواريرا" إحدى القراءات).

تذكير خبر الاسم المؤنث

* **ادعاء**

س: جاء في سورة الشورى ٤٢: ١٧ (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ). فلماذا لم يتبع خبر "لعل" اسمها في التأنيث فيقول "قريبة"؟

* **الرد:**

نقرأ في المجلد الثالث من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٤٦٥): **(وما يدريك لعل الساعة قريب)**.... (الساعة) في تأويل البعث، فلذلك قيل (قريب). فتحمل معنى: "**وما يدريك لعل البعث قريب**". أو تحمل معنى "**وما يدريك لعل مجيء الساعة قريب**". فإن قلت: كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع إنزال الكتاب والميزان؟ قلت: لأن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط، فكأنه قيل: أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم ويوفي لمن أوفى، ويطفف لمن طفف. والساعة مجازي التأنيث فيجوز تذكير ما بعدها وتأنيثه).

أتى بتوضيح الواضح

* **ادعاء**

س: جاء في سورة البقرة ٢: ١٩٦ (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ). فلماذا لم يقل تلك عشرة مع حذف كلمة

"كاملة" تلافيا لإيضاح الواضح: لأنه من يظن العشرة تسعة؟

*** الرد:**

نقرأ في المجلد الأول من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٣٤٥): (كاملة) تأكيد آخر. وفيه زيادة توصية بصيامها. وأن لا يتهاون بها. ولا ينقص من عددها.

وقال الشيخ الشيمي: إن هذا من باب زيادة التأكيد مثل (جاء زيد عينه).

أتى بضمير فاعل مع وجود فاعل

⋆ ادعاء

س: جاء في سورة الأنبياء ٢١: ٣ ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الذِينَ ظَلَمُوا﴾ مع حذف ضمير الفاعل في "أسرّوا" لوجود الفاعل ظاهرًا وهو "الذين".

*** الرد:**

نقرأ في المجلد الثاني من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٥٦٢): أبدل (الذين ظلموا) من واو "وأسروا" إشعارًا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسرُّوا به. أو جاء على لغة من قال: أكلوني البراغيث. أو هو مبتدأ خبره "وأسروا النجوى" قُدِّم عليه. والمعنى: هؤلاء أسروا النجوى. فوضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم.

الالتفات من المخاطب إلى الغائب قبل إتمام المعنى

⋆ ادعاء

س: جاء في سورة يونس ١٠: ٢١ ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾. فلماذا التفت عن المخاطب إلى الغائب قبل تمام المعنى؟ والأصحّ أن يستمر على خطاب المخاطب.

* الـر ::

نقرأ في الجلد الثاني من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (٢٣١): إن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد "حتى" بما في حيزها كأنه قيل: يُسَيِّرُكم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن بالهلاك والدعاء بالإنجاء، جاءتها ريح عاصف. فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح.

وقال الشيخ الشيمي: كل هذا معترض بين الشرط والجواب حتى جاء الجواب (جاءتها).

أتى بضمير المفرد للعائد على المثنى

⋆ ادعاء

س: جاء في سورة التوبة ٩: ٦٢ ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾. فلماذا لم يُثَنّ الضمير العائد على الاثنين اسم الجلالة ورسوله فيقول: أن يرضوهما؟

* الـرد:

في الجلد الثاني من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (١٩٩): توحيد الضمير هنا نابع من أنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم، فكانا في حكم مَرْضِيّ واحد، كقولك: إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني، أو: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك.

أتى باسم جمع بدل المثنى

س: جاء في سورة التحريم ٦٦: ٤ ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. والخطاب (كما يقول البيضاوي) موجّه لحفصة وعائشة. فلماذا لم يقل: صغا

قلباكما، بدل صغت قلوبكما؛ إذ إنه ليس للاثنتين أكثر من قلبين؟

*** الرد:**

نقرأ في المجلد الرابع من "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ص (١٢٧): (إن تتوبا) الضمير للخطاب عائد على حفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما. وعن ابن عباس: لم أزل حريصًا أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه. فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة. فسكبت الماء على يده فتوضأ. فقلت: من هما؟ فقال: عجبا يا ابن عباس. كأنه كره ما سألته عنه، ثم قال: هما حفصة وعائشة... (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما ما يوجب التوبة. وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه. وقد جاء الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما... إلخ.

ويقول الشيخ الشيمي: يطلق على ما فوق الواحد جمع (للتعظيم) مثل: نحن فاروق الأول. و"قلوب" إذا اجتمعت تكون مؤنثة أو مذكرة.

وختامًا

فإن أي محاولة للتشكيك في إعجاز القرآن وبلاغته إنما هي محاولة فاشلة يائسة. فقد اجتمع في كفار قريش أقوى عامِلَيْن للتشكيك في القرآن الكريم: العامل الأول: كونهم أهل اللغة العربية وفيهم فطاحل الشعراء والخطباء. والعامل الثاني: رغبتهم الجامحة في إطفاء نور الله تعالى والصد عن سبيله.

ومع ذلك كله لم يستطيعوا أن ينكروا الإعجاز القرآني وبلاغته وقوته. بل نسبوا إعجازه إلى ما لا يحسبه كل أحد كالسحر والكهانة. فأي تشكيك بعدهم في بلاغة القرآن الكريم وإعجازه إنما هو ضرب من الكذب والهذيان؛ إذ إن أولى الناس بهذا التشكيك - وهم كفار قريش - وقفوا حائرين أمام عبارات القرآن وآياته. فكيف بالمولودين بعدهم ممن لا يحسن أحدهم إعراب جملة، أو بناء قصيدة. فضلًا عن أن يعارض معلقة من المعلقات المشهورة ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ (الصف: ٨).

ولكم أقول أخيرًا

إن كنتُ أحسنت ففضل من الله ونعمة.....

وإن كنت أسأت..

فحسبي أنني بشر أخطئ وأصيب

أهم المراجع

١. القرآن الكريم

٢. السنة النبوية المطهرة

٣. حوار مع صديقي الملحد، الدكتور مصطفى محمود، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، جمهورية مصر العربية.

٤. أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الريان للتراث ودار الشروق، الطبعة الخامسة عشرة، القاهرة، الإسكندرية، سنة ١٩٨٧.

٥. مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين، محمود المصري "أبو عمار"، دار التقوى للتراث، جمهورية مصر العربية، شبرا الخيمة، سنة ٢٠٠٠ م.

٦. صور من حياة الصحابة، الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٧.

٧. التبيان "مجلة أسبوعية"، العدد السابع والعشرون، دار الجمهورية للصحافة، سنه ٢٠٠٦ م، ١٤٢٧ هـ.

٨. مجموعة مجلدات مختصر التفسير لابن كثير.

٩. مجموعة مجلدات (الكشاف) عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٠. مجموعة مجلدات تفسير الشعراوي.

١١. أية بلاغة؟!! وأية لغة؟!! مجلة العربي، يوليو، ١٩٩٦.

١٢. الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي، دكتور محمد ياسين مظهر صدقي، ترجمة الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، رابطة الجامعات الإسلامية.

١٣. لا تحزن، عائض القرني، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥م.

١٤. القرآن الكريم وشعر امرئ القيس، فضيلة الإمام عبد الوهاب الطريري، الشبكة الإسلامية، إسلام ويب.

١٥. امرؤ القيس وجهل النصارى، المهتدي بالله، منتديات أتباع المرسلين الإسلامية.

١٦. الكتاب المقدس، الطبعة السادسة، دار الكتاب المقدس، ٢٠٠٦م.

١٧. الكتاب المقدس، الأسفار اليونانية المسيحية، ترجمة العالم الجديد، الولايات المتحدة الأمريكية.

المحتويات



مكتبة النافذة